

وزارة التعليم العالي

جامعة سرت



كلية الآداب – قسم اللغة العربية

الدراسات العليا – شعبة الأدبيات

النزعة القومية والوطنية في شعر حسن السوسي

بحث مقدّم استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالبة

فاطمة علي عمر الفليدني

إشراف الدكتور

محمد محمد يوسف الجطلاوي

العام الجامعي

2023-2024.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾

الآيات من 1 إلى 5 من سورة العلق

الإهداء

إلى ...

والذي أطال الله في عمره وروح أمي الطاهرة تغمدھا الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته.

من أضاءوا لي الطريق الذين عاشوا معي الحياة حلوها ومرها، من انتظروا هذه اللحظة السعيدة ليفرحوا لفرحتي، من ساندوني في طريقي زوجي وإخوتي وأبنائهم.
من أخذ بيدي في رحلتي العلمية الدكتور / محمد محمد يوسف الجطلاوي.
كل من قدّم يد العون والمساعدة صديقاتي الوفيات.

روح شقيقي عرفاناً مني بما قدّمه من تضحية في سبيل الوطن رحمه الله وأدخله فسيح جناته.

روح الشاعر حسن السوسي وفاءً لذكراه وتقديراً لمكانته في دنيا الشعر الليبي.

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي المتواضع

الباحثة

الشكر والتقدير

لا يسعني بعد الانتهاء من هذا الجهد المتواضع إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمنهل العلم والخلق والأدب الدكتور الفاضل/ محمد محمد يوسف الجطلاوي، لما غمرني به من توجيهات وتوصيات وإيضاحات سديدة ساهمت في إظهار رسالتي إلى حيز الوجود.

وأقدم بوافر شكري وامتناني إلى كل من مد يد العون من أصحاب الفضل. والشكر الموصول لكل من قدم لي خدمة من موظفي المكتبة المركزية بالجامعة أو الكليات أو المراكز الثقافية.

لكم جميعاً أقدم جزيل شكري وعظيم تقديري سائلة الله عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحثة

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف خلق الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

تدور هذه الدراسة حول موضوع (النزعة القومية والوطنية) في شعر أحد أعلام الشعر في ليبيا ألا وهو الشاعر حسن أحمد محمد السوسي الذي حمل لواء الحركة الشعرية في ليبيا، وتجشم الأعباء، وأعطى كل وقته وجهده في سبيل إظهارها في قالب العمل الإبداعي المتكامل، فهو من الشعراء الذين تغنوا بالقومية والوطنية وواجهوا أحداث العصر، ويمثّل علامة بارزة في الشعر الليبي خاصة وفي الشعر العربي عامة.

وتُعَدّ دراسة شعر السوسي أرضاً بكرّاً لم يتطرق إليها الباحثون إلاّ القليل النادر على الرغم من كثافة شعره، وتعدد مميزاته، وتنوع خصائصه، ومزجه بين القديم والحديث في إشعاره، وتنوّع قوافيه، وأوزانه، ومضامينه الشعرية.

وإنّه لجدير أن يكون بهذا الصنيع معدوداً من رواد الشعر في الأدب الليبي الحديث، ولا سيما في شطره القومي والوطني.

فمن تطلّعنا على إبداعه الشعري لم نجد حوله دراسات مستفيضة سوى ما نشر في بعض الصحف، والدوريات، والمجلات الليبية كـ(مجلة الفصول الأربعة، ومجلة الثقافة العربية) اللتين خصصتا لهذا الشاعر مساحة مرموقة للاهتمام ببعض النماذج والتحليلات التي لم ترتقِ إلى مستوى تكشف فيه عن أبعاد شعره الدلالية.

أمّا عن الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الشاعر وبعض إنتاجه الإبداعي في ثلاثة رسائل -على حد علم الباحثة- سُجِلَت الأولى بجامعة قاريونس، بنغازي جاءت تحت عنوان: حسن السوسي حياته وشعره، نهض بها الباحث محمد جاب الله عبد الله الفرجاني عام 1998.

وكانت الثانية بعنوان: الصورة الشعرية في شعر حسن السوسي التي نهض بها الباحث مسعود محمد الصيد الزنتاني، أشرفت عليها جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب والعلوم بالزنتان فرع يفرن عام 2002.

وكانت الثالثة تحمل عنوان: (دور التعالق النصي في إنتاج شعر حسن السوسي من خلال ديوانيه "الحن ليبيية والجسور") التي قدّمها الباحث عبد السلام أبو بكر سالم شغشوف، وأشرفت عليها جامعة سبها، كلية الآداب عام 2007.

وواجهت الباحثة العديد من الصعوبات في إنجاز هذا البحث منها:

1. افتقار المكتبات الليبية خاصة والعربية عامة لدراسات حول الشاعر حسن السوسي، وأعماله الشعرية.

2. صعوبة جمع المادة العلمية المتناثرة بين صفحات الكتب، والمجلات، والصحف.

3. عدم وجود دراسات كافية لهذا الموضوع للاستفادة منها في إنجاز هذا البحث.

مشكلة البحث:

عندما أردت استكمال دراستي في مرحلة الماجستير راودتني فكرة دراسة النزعة القومية والوطنية في شعر حسن السوسي، فنصب اختياري على دراسة دواوينه لتكون بداية الانطلاقة لدارستي هذه، واطلعت على العديد من الرسائل العلمية لمن سبقوني في ذلك، ولم أجد إلا القليل من التنوع في دراستهم، فمنهم من اقتصر على حياته وشعره، ومنهم من تناول الصورة الشعرية، فطاب لي أن أقف

على ما لم يقف عليه هؤلاء للإسهام في فتح آفاق جديدة لدراسة أخرى، ووقع اختياري على النزعة لما تحمله من تنوع الأغراض، والقضايا والأساليب، والصورة، والاتجاهات، والدلالات الفنية.

أسئلة البحث:

وفقاً لما تقدّم من مشكلة البحث وأسباب اختياره فيمكنني أن أبحث عن:

- ما هو أثر عوامل التكوين الفكري والأدبي في شعر السوسي ؟
- ما هي الظروف والعوامل المتعددة التي أسهمت في هذا التكوين الفكري ؟ وكيف انعكست في شعره ؟
- ما هي أبعاد تطور الحركة الشعرية في ليبيا ومكانة السوسي من هذه الحركة ؟
- ما مدى تأثر الحركة الأدبية بالأوضاع السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية في ليبيا ؟
- كيف عبّر السوسي فناً عن الأغراض والاتجاهات الشعرية ؟ وكيف انعكست على بناء القصيدة مروراً بالاتجاه الرومانسي، والاتجاه الرمزي، والشعر الجديد ؟
- ما المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنزعة ؟
- ما مفهوم القومية ؟ وما هي أبعادها وما حقيقتها ؟ وما قضاياها ؟
- هل وجود القومية مقترن بوجود الأمة ؟
- ما هي الملامح التاريخية التي ارتكز عليها في إبداعه الشعري ؟
- ما المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوطنية ؟ وما هي دلالاته ومضامينه وقضاياها ؟

- ما هي مظاهر النزعة الوطنية في شعره ؟

- كيف وظّف السوسي الخصائص والسمات الفنية مرورًا بالصورة ودلالاتها المتمثلة في التشبيه والاستعارة والرمز ثم اللغة الشعرية والتي تجسدت في المفردات الفنية بال تكرار، والتضمنين، ولغة الحياة اليومية.

أهداف البحث:

السبب في اختيار هذا الموضوع الرغبة الأكيدة في دراسة الشعر في الأدب الليبي الحديث ولا سيما في شطره القومي والوطني، والتعريف بدور الشاعر حسن السوسي في إثراء الحركة الشعرية في ليبيا، وتناول بعض أعماله بالدراسة الأدبية.

وتهدف الدراسة إلى:

- 1- تتبع مراحل تطور الحركة الأدبية بليبيا، وأثرها على النتائج الشعرية للشاعر حسن السوسي.
- 2- كشف وإيضاح أهم القضايا والاتجاهات الشعرية للشاعر حسن السوسي ممّا قدّم من أعمال شعرية.
- 3- إبراز معالم النزعة القومية والوطنية للشاعر حسن السوسي، والتعرّف على أهم الأحداث التي دفعت قريحته لتجود بما جادت به من قصائد فكانت سجلًا تاريخيًا حافلًا.
- 4- الكشف عن مظاهر الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية وأثرها في المسيرة الشعرية الأدبية في شعره.

5- تهدف الدراسة إلى أن تكون لبنة في بناء البحث العلمي الذي يحاول جاهداً تقديم الدراسات الوافية حول الشاعر وما قدّمه من أعمال شعرية.

6- توثيق بعض النصوص ممّا يمهد الطريق أمام دراسات أوسع وأكثر شمولاً.

7- الكشف عن إبداعات شعرية جديدة؛ لمعرفة مواطن الجمال والإبداع الفني في الأعمال الشعرية، ومقدرته على صوغ التجربة الشعرية من أساليب وصور مما يفسح أمامه المجال لدراسات أدبية أرحب في خضم دراسات الأدب العربي.

8- العمل على جعل هذه الدراسة مصدرًا من مصادر التوثيق التي تضاف إلى غيرها من الدراسات السابقة التي تناولت الشاعر وأعماله الشعرية بالدراسة.

أسباب اختيار البحث:

السبب الكامن وراء اختياري لدواوين الشاعر حسن أحمد السوسي لعدة أسباب منها:

1- رغبة الباحثة الجامحة في الاستزادة من التعمق في فهم النتاج الشعري، ومدى مقدرتها على تجاوزها للمناهج القديمة بتطبيقه على شعر هذا الشاعر الذي لم تحظ إبداعاته الشعرية في ليبيا بدراسات معمقة تكشف أبعاد مراميه، وتطلعاته، وآراءه التي تكشف عن القدرة الإبداعية لديه على مستوى الشعر الليبي، وعلى مستوى شعراء جيله في الوطن العربي قديماً وحديثاً.

2- فتح آفاق المعرفة بإثراء الثقافة في الأدب الليبي ورواده.

3- تركيز المسار على الجوانب الشعرية التي لم تحظ بالدراسات الأكاديمية.

4- رفع مستوى الشعر والشعراء بإثراء الحركة الشعرية في ليبيا.

5- أن يكون هذا البحث مكملاً للدراسات والبحوث السابقة.

6- الرغبة الأكيدة لدراسة شعر الشاعر حسن السوسي، والتعرّف على الكم الهائل من دواوينه.

7- الكشف عن مواطن الجمال والإبداع في الأعمال الشعرية للشاعر.

8- هذه الدراسة محاولة للتعرف على شعره القومي والوطني في الأدب العربي عامة وفي الأدب الليبي خاصة.

9- لهذه الدراسة دور بارز في زيادة توثيق النصوص والأعمال الشعرية في شعر الشاعر.

أهمية البحث:

1- إبراز نشاط الحركة الأدبية في ليبيا، وتطور تاريخ مسيرتها الحافلة بالأحداث الجسام التي ألهمت قرائح الشعراء.

2- إعطاء الشعراء الليبيين مساحة أرحب للتعريف بهم ومنتجاتهم الشعري.

3- الكشف عن الإبداع الشعري في مقدرته على صوغ التجربة الشعرية من صور، وأغراض، وأساليب أدبية في نتاجه الشعري.

4- التعرف على إبداع الشاعر ومدى مقدرته على الكشف عن مواطن الجمال في أعماله الشعرية.

5- الشعر الليبي حافل بالكثير من الموضوعات والقضايا والصور الشعرية ذات أهمية في تكوين النشاط الأدبي والفكري.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على النزعة القومية والوطنية في شعر حسن السوسي، وذلك للأسباب الآتية:

1- توضّح تطور الحركة الشعرية الليبية وأهم الأحداث القومية والوطنية التي جسدت حقبة مهمة في تاريخ الشعر في ليبيا.

2- إظهار الصورة الشعرية ودلالاتها لنقل التجربة الشعرية نقلاً فنياً واقعياً صادقاً.

3- استخدام اللغة الشعرية في خدمة النص الشعري وإبراز قيمتها الجمالية وأبعادها الفنية وقضاياها وظواهرها وأثرها في الشعر الليبي.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي، وهذا يعني أنّ الباحثة لم تتهج منهجاً واحداً بل جمعت بين المنهج التاريخي تارة، والتحليلي تارة أخرى، والمنهج الفني، وذلك للاستفادة منه في خدمة النصوص الشعرية التي اشتملتها هذه الدراسة دون استثناء.

- فالمنهج التاريخي: تكمن فائدته في تتبع مسيرة الحركة الأدبية في الوطن العربي وأثرها على الحركة الأدبية في ليبيا، كذلك تتبع سير الحركة الفنية للشاعر ومدى نضج التجربة الشعرية عنده.

- أمّا المنهج التحليلي: فيعمل على قراءة وتحليل النصوص الأدبية الشعرية ورصد الظواهر الفكرية والفنية من تفاعل النص مع المعاني والمفردات في القصائد المستهدفة بالدراسة.

- والمنهج الفني: يقوم على تفسير النص الأدبي تفسيراً كلياً، والكشف عن القيمة الفنية والجمالية داخل النص الشعري في الصورة الشعرية.

خطوات تحليل البحث:

بُنيت خطة البحث في هذه الدراسة على النحو الآتي:

- المقدمة: وتناولت معالم الموضوع الرئيسة، وتضمنت التعريف بالبحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وأهم الصعوبات.

- التمهيد: وتضمن عرضًا موجزًا لتطور الحركة الأدبية في ليبيا في القرن العشرين وذلك بتتبع النشاط الفكري في العهد العثماني في أوائل القرن، ثم في فترة الاحتلال الإيطالي، ونختم بالمرحلة التي بدأت مع استقلال ليبيا، وعُرض هذا في مطلبين، **المطلب الأول:** عوامل التكوين الفكري والأدبي، **والمطلب الثاني:** تطور الحركة الأدبية في ليبيا.

- الفصل الأول: دراسة الموضوعات والأغراض الشعرية عند السوسي، وجاء في:

- **المبحث الأول:** عرض أهم الأغراض الشعرية التجديدية المعاصرة التي سار على خطاها الشاعر حسن السوسي لنظم قصائده معبرًا عن الواقع وأحداثه وتقصد قضايا العصر ومعالجتها.

- **المبحث الثاني:** تناول فيه أهم الاتجاهات الشعرية التي سار على نهجها الشاعر حسن السوسي في نظم قصائده، وإظهار مدى تأثره بالمدارس الشعرية في الأدب العربي القديم والحديث منها.

- الفصل الثاني: النزعة القومية في شعر السوسي. وفيه:

- **المبحث الأول:** تُعرض فيه أهم القضايا القومية والتي تتمثل في قضية فلسطين، مصر، تونس، والجزائر، والمغرب.

- **المبحث الثاني:** تضمن دراسة الأمة العربية عبر التاريخ مستعرضًا أهم الشخصيات، والمدن، والمعارك التاريخية.

- الفصل الثالث: خُصص للحديث عن النزعة الوطنية في شعر السوسي، وفيه:

- المبحث الأول: وفيه تمت دراسة القضايا الوطنية منها حب الوطن، وقضية الحرية، والتحريض على الثورة، والصمود.

- المبحث الثاني: وتناول الجوانب الوجدانية المتمثلة في التغزل بالوطن، حب الديار ووصف حالها، ووصف الطبيعة، والفخر بالوطن.

- الفصل الرابع: تناول دراسة الخصائص والسمات الفنية في شعر السوسي. وحوى على:

- المبحث الأول: تضمن دراسة الصورة الشعرية ودلالاتها عند السوسي والمتمثلة في التشبيه، والاستعارة، والرمز.

- المبحث الثاني: تضمن دراسة اللغة الشعرية عند السوسي وتناول فيه التكرار، والتضمنين، ولغة الحياة اليومية.

- الخاتمة: تمّ فيها تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

- الفهارس: وتضم فهرساً للمصادر والمراجع التي تمت الاستعانة بها في الدراسة.

وأخيراً فإني أعدّ دراستي هذه محاولة متواضعة في دراسة النزعة القومية والوطنية في شعر السوسي، بذلت فيها جهداً متواصلاً في البحث والتنقيب، واستقرأ النصوص وتحليلها فإذا كنت أصبت شيئاً من النجاح فهو فضل من الله ونعمة، وأمّا دون ذلك فهو مما جنته يداي.

وختاماً لا يفوتني في هذا المقام إلا أن أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الذي غمرني بفيض علمه وتواضعه، داعية العلي القدير أن يجزيه عني خير الجزاء فإليه أكرر شكري وعميق احترامي.

والله ولي التوفيق

الباحثة

التمهيد

المطلب الأول

عوامل التكوين الفكري والأدبي

طاب لوالد الشاعر المقام بالكفرة، فارتبط بأسرته الجديدة وبيئته برباط الدين والدعوة إليه،... وتزوج والده بابنة مواطنه الشيخ بن علي السوسي فأنجب شاعراً بواحة (التاج) إحدى واحات الكفرة بالجنوب الليبي سنة 1924. توفيت والدته مبكراً وهو في الثالثة من عمره، واستمرت ذكراها في عقله الباطن⁽¹⁾ على الرغم من قوله: "أنا لا أذكر علاقتي بوالدتي كنت صغيراً جداً، عشت في بيت كبير^(*) فيه نوع من الحنان، وفيه نساء كثيرات، بعد وفاة أمي إحداهن^(**) تكفلت بتربيتي وهي كانت بمثابة الأم الثانية، أنا لا أذكر أمي⁽²⁾"، "إذ كانت المساكن في تلك الآونة تضم مجموعة من الأسر ذات صلة دم يربطها تآلف أسري قوي يعيش فيه أبناء العم وأبناء الأخوال وذوو القربى في سكنٍ واحد كبير تكون فسحته سعة الصدور ورحابة النفوس، والبعد عن الأنانية وحب التفرد والنفور من الآخرين."⁽³⁾ ونظم الشاعر قصيدةً عن المرأة التي تولّت تربيته ورعايته في صغره من بعد وفاة أمه، ولذا نجده الشاعر يذكر تلك السيدة التي عوضته حناناً جعله يسميها^(***) بالأم الثانية؛ لذلك يقول الشاعر عن تلك المرأة التي قامت بتربيته وتنشئته في صغره:

لَمْ أُنْسَ نَظْرَةَ عَظْفٍ كَانَ يَغْمُرُنِي	حَنَانُهَا وَابْتِسَامَاتٍ عَلَى فَيْكِ
وَلَا مُلَاطَفَتِي إِنْ جِئْتُ مُكْتَتِباً	وَلَا التَّوَدُّدَ لِي لَمَّا أُنَاجِيكَ
إِذَا تَأَلَّمْتُ مِنْ شَيْءٍ أَلِمْتُ لَهُ	وَإِنْ بَكَيْتُ بُكَائِي كَانَ يُبْكِيكَ

إلى قوله:

فَإِنْ فَقَدْتُ حَنَانَ الْأُمِّ فِي صِغَرِي	فَقَدْ وَجَدْتُ الَّذِي ضَيَعْتُهُ فَيْكِ ⁽⁴⁾
--	--

1- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا، 1998، ص9.

* البيت الكبير هو بيت السيد أحمد الشريف.

** وهي زوجة السيد محمد أحمد الريفي أحد رفاق السيد أحمد الشريف.

2- مجلة الفصول الأربعة، العددان 64 - 65، ملف خاص عن الشاعر، حوار مع الشاعر، 1993، ص162.

3- الصورة الشعرية في شعر حسن السوسي، مسعود محمد الصيد الزنتاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم بالزنتان، جامعة السابع من أبريل، فرع بفرن-ليبيا، 2002، ص9.

*** توفيت والدته الشاعر وهو في عامه الثالث، فتولّت بعض السيدات الفضليات رعايته، فلما تُوفيت قال فيها.

4- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، منشورات دار الكتاب الليبي، 1970، ص65-66.

حين بلغ الشاعر الرابعة من عمره هاجر الشاعر مع أهله إلى مصر تحديداً إلى واحة (سيوة)⁽¹⁾ قبل احتلال الكفرة من قبل الطليان،⁽²⁾ حيث بقيت الأسرة بحي الزيتون مدة سنة، والتحق الشاعر فيها (بكتّاب القرية) لحفظ القرآن الكريم، ولكن لم يطول للأسرة المقام حتى غادرت سيوة، واستقر بها المقام في مرسى مطروح بصحراء مصر الغربية عام 1928، ولقد تتلمذ الشاعر منذ صغره على يد والده، وكانت أولى مراحل تعليمه القرآن الكريم الذي تلقى بواكيره على يد والده الذي كان معلماً للقرآن الكريم في تلك الواحة (الكفرة)،⁽³⁾ حيث قال عنه: "أبي لم يكن قاسياً بل كانت علاقته معي حميمة إلى حد كبير. أبي أول من علمني القرآن الكريم"،⁽⁴⁾ مما سهّل عليه الدراسة بالمدرسة الأولية بمرسى مطروح ليدرس فيها الصفين الأول والثاني، بعدها انتقل إلى مدرسة (كوم الدكة) بالإسكندرية ليدرس بها الصف الثالث ثم يعود إلى مدرسته السابقة بمرسى مطروح لدراسة علوم الصف الرابع، وما انتهت دراسة السوسي الأولية إلا وقد وافى والده الأجل المحتوم، وذلك حين بلغ الشاعر عامه الثالث عشر.⁽⁵⁾ فوجئ الشاعر وتأثر لوفاة والده الذي كان يحنو عليه ويدلله، ولكن استطاع الشاعر أن يتغلب على أحزانه وآلامه على الرغم من صغر سنه، وهذا لم يمنعه من مواصلة تعليمه، فالتحق بالأزهر سنة 1939 ليتلقى علومه، وحقق الشاعر جزءاً كبيراً من طموحه وشغفه إلى المعرفة رغم الظروف الصعبة آنذاك.⁽⁶⁾

1- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص9.

2- معجم الشعراء الليبيين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد، طرابلس- ليبيا، الطبعة الأولى، 2008، ص213.

3- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص9. والفصول الأربعة، حوار مع ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص 64 - 65.

4- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64 - 65، حوار مع الشاعر، ص 162.

5- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص9.

6- انظر: المرجع السابق نفسه، ص10.

واستمر بالأزهر أربع سنوات تحصّل في نهايتها على شهادة (الأهلية الأزهرية)^(*) سنة 1943، وكان الشاعر في نيته مواصلة مشواره العلمي، ولظروف الحنين الذي شده إلى وطنه من ناحية، وقطع المنحة التي كان يحصل عليها الطلاب الليبيون من مكتب شؤونهم من ناحية أخرى.⁽¹⁾

ونظراً لهذه الروافد التي ضيّقت على الشاعر قرر العودة إلى أرض الوطن سنة 1944⁽²⁾، وتحصّل على فرصة عمل بمهنة التدريس فعُيّن مدرساً بمدرسة الأبيار مدة أحد عشر عاماً وكان عمره حينها عشرين عاماً، وانتقل بعدها ناظراً لمدرسة (مسة)، ثم مديراً لمدرسة (عمر المختار الداخلية) بالجبل الأخضر إلى سنة 1956، فمدير لمدرسة (سيدي خليفة) أيضاً التي استمر بها إلى أن عُيّن مفتشاً للغة العربية والتربية الإسلامية في مدارس بنغازي، وظل في هذا العمل حتى أحالته على المعاش الضماني سنة 1988، والتي أحالته بدورها إلى التفرغ لهمه الأول المتمثّل في الشعر.⁽³⁾

إبداعه الشعري:

علاقته الأولى بالشعر:

كانت البداية الأولى لتكوينه الثقافي على يد والده بقرية التاج بالكفرة حيث "كان والده من حفظة القرآن الكريم، وكان معلماً ومرتبلاً له"⁽⁴⁾ ففي ظروف كهذه تفتّحت قريحة شاعرنا على تراتيل القرآن الكريم صباحاً مساءً، ويقول شاعرنا "كنت استمع إلى القصائد والمدائح النبوية"⁽⁵⁾ في المناسبات الدينية (المولد النبوي) مما زاد في تفتّح قريحته ومال إلى نظم الشعر.

* تعادل الثانوية في الوقت الحاضر.

- 1- انظر: مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص160.
- 2- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص10.
- 3- انظر: مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص160 - 161. وانظر: مجلة الثقافة العربية، تكريم الشاعر حسن السوسي، عبد السلام شلوف، العدد 273-274، سنة 2006، ص118.
- 4- حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص10.
- 5- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص161.

وساعدت البيئة التي عاش فيها الشاعر سنوات طفولته الأولى -والتي كانت بيئة علم وأدب- في أن يكون موفقاً في إبداعاته الشعرية، وذلك من خلال دراسته بالأزهر، إذ عايش بعضاً من المثقفين، كما عايش بعضاً من علماء العصر، كذلك عايش عشرات من جنسيات مختلفة من أجل اكتساب العلم والمعرفة المختلفة.⁽¹⁾ وساهم مجال عمله ورفقته لبعض المثقفين في تكوينه الثقافي، حيث يقول شاعرنا: "كذلك قرأت شعر شوقي، وحافظ إبراهيم، فصار عندي ميول إلى الشعر، ولكن أدواتي لم تمكّني من الكتابة."⁽²⁾

وفي حديث له في مجلة الفصول الأربعة يقول: "أول محاولة لي عندما رجعت إلى الأبيار بعثت بقصيدة من عشرة أو اثنتي عشر بيتاً تقريباً وصفت فيها القطار والحنين."⁽³⁾

وابتداً قطار الشعر يتحرك بالسوسي في أول رحلة له مع قصيدة القطار التي نظّمها حين عاد من مصر واتخذها وسيلة لعودته سنة 1944،⁽⁴⁾ التي يقول في مطلعها:

أَشَاقَكَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالنَّخْلِ مَوْضِعُ فَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّقِيمُ الْمُوجَّعُ⁽⁵⁾

"وقد يكون تأثر - حينها - بقصيدة القطار الشعبية التي ألفها الشيخ حسين الأحلافي،^(*) حيث كانت تربط بينهما مودة، وقرأ الشاعر القصيدة مرات عديدة. وأول نصّ نشره كان سنة 1997، بصحيفة (برقة) التي كان يرأس تحريرها الأستاذ المرحوم صالح بو يصير"⁽⁶⁾ وكان ذلك في (الخمسينيات).⁽⁷⁾

1- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص11.

2- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص161.

3- المرجع السابق نفسه، ص161.

4- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص17.

5- الفصول الأربعة، العدد 64-65، لقاء مع حسن السوسي، ص211.

* من كبار شعراء العامية ولد سنة 1905.

6- مجلة الثقافة العربية، العدد 273-274، تكريم الشاعر الكبير حسن السوسي، ص 118.

7- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص164.

ولا ننسى دور كتب التراث ودواوين الشعر⁽¹⁾ التي اطلع عليها الشاعر مما زاد من ثقافته وترسخ هذا المجال في ذهنه. ويذكر في حديث له لمجلة الفصول الأربعة يقول: "كانت لدي اهتمامات خاصة بالشعر، كنت أحفظ الكثير من الأشعار إضافة إلى حفظ مقطوعات خاصة من بعض الدواوين البسيطة. اطلعت على ديوان ابن الفارض وديوان شوقي، وكتاب أدبيات اللغة العربية(*)... وعندما كنت بالأبيار كمدرس في أوائل عام 1945 وفي نفس العام جاء الأستاذ إبراهيم الهوني (رحمة الله عليه) وكان أكبر مني بكثير كنت أستمع إلى أشعاره وأتبادل معه بعض الكتابات".⁽²⁾

وأعجب شاعرنا بالشاعر عنتر بن شداد من شعراء العصر الجاهلي فقرأ معلقته كلها، كما أعجب أيضاً بشاعرين من شعراء العصر الأموي وهما جرير وعمر بن أبي ربيعة، لِمَا لهما من جماليات غزلية في أعمالهم الشعرية وكذلك أعجب شاعرنا بشاعرين من بين شعراء العصر العباسي وهم أبو نواس، والمتنبي. واهتم بقراءة الأشعار فحفظ الكثير منها ومن شعراء الأندلس الذين أعجب بهم الشاعر (ابن زيدون)، و(ابن خفاجة) و(ابن حزم)،⁽³⁾ كما قرأ الكامل للمبرد وأجزاء من الأغاني والأمالى وحياة الحيوان، وكذلك الجاحظ.⁽⁴⁾

أمّا الشعر الحديث فقد قرأ منه ديوان شوقي وديوان حافظ إبراهيم، وديوان إيليا أبي ماضي الذي حفظ عنه الكثير من أشعاره حتى قلده في الصياغة،⁽⁵⁾ واهتم بالنقائض خاصة شعر الأخطل، كما قرأ إصدارات سلسلة (اقرأ) ... وخاصة ما يتعلق منها بالجانب الأدبي، وقرأ ما كان يصدر من دراسات أدبية.⁽⁶⁾

1- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص11.

* وهو مؤلف لعدد من الدارسين ينقسم إلى عدة أجزاء حيث يشكّل موسوعة مقسمة إلى فترات أدبية أموية إسلامية عباسية وأندلسية.

2- انظر: مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع شاعر، ص161-162.

3- انظر: المرجع السابق نفسه، ص167-168.

4- حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص11.

5- انظر: مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، حوار مع الشاعر، ص168.

6- حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص11-12.

ومن الواضح أنّ الشعراء الليبيين جميعاً قد تأثروا بالحركات الأدبية والفكرية فانخرطوا نحو كتب التراث ينهلون من فيضها ويروون نهمهم بهذا الموروث العظيم الذي خلفه الأجداد .

علاقته بمعاصريه:

إذا كان شاعرنا قد اتصل بالقدامى من الشعراء والأدباء العرب عن طريق كتب التراث، فإنّه لم يقف عند أولئك، ولكنه اتصل ببعض من معاصريه من الشعراء الليبيين الذين تعرّف عليهم، وأعجب بشعرهم، وجمعت بينه وبينهم الأيام، ومن هؤلاء الذين اتصل بهم ومدوا له يد العون من شعراء الستينيات الأستاذ إبراهيم الهوني⁽¹⁾ الذي قال الشاعر في حقه: "إبراهيم الهوني له دور في تشجيعي، فهو الذي أعطاني دفعا للكتابة بالرغم من أنّ أدواتي كانت بسيطة ... كثيراً ما كنّا نتنافس ونتحاجى بالشعر، كنت أخالفه في شيء وأؤيده في شيء آخر."⁽²⁾ ولم ينس فضل الأستاذ الزبير السنوسي عليه الذي يقول عنه شاعرنا: "كان أول من وجّهني إلى القراءات الشعرية وخاصة في المناسبات الدينية والموالد، والمدائح والأذكار."⁽³⁾

وكذلك الشيخ حسين الأحلافي الذي أثار فيه من خلال تقليده لقصيدة القطار -كما ورد ذكرها سابقاً-، ومن شعراء الستينيات الذين عاصروه وأعجب بهم وكانت علاقته بهم وثيقة وتأثر بهم وأثروا فيه: أحمد رفيق المهدي، علي الفزاني، وعلي الرقيعي، وعلي صدقي عبد القادر، وعلي الخرم⁽⁴⁾ وآخرون.*⁽⁵⁾

وفي حوار له في مجلة الفصول الأربعة يذكر تجاربه الجديدة مع بعض الشعراء الليبيين فيقول: "من التجارب الجديدة قرأت لفرج العربي، ومفتاح العماري، ومحمد الكيش وهؤلاء جيل واحد وطبقة واحد."⁽⁵⁾ ومن مشاركاته الشعرية داخل ليبيا وخارجها حضر عدة مؤتمرات ومهرجانات أدبية من بينها: مهرجان الأدباء المغاربة عام 1967، ثم توالى المهرجانات والمؤتمرات فحضر مؤتمر الأدباء العرب بالقاهرة عام 1967،

1- انظر: حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، ص12.

2- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64- 65، حوار مع شاعر، ص162.

3- المرجع السابق نفسه، ص161.

4- انظر: مجلة الفصول الأربعة، العدد 64- 65، حوار مع شاعر، ص 168- 169.

* خالد زغبية، ونزار قباني، والسياب، ونازك الملائكة.

5- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64- 65، حوار مع الشاعر، ص169.

ومؤتمر الأدباء العرب ببغداد عام 1969، وتونس عام 1973، وطرابلس عام 1975، والجزائر عام 1984، والمربد عام 1986.⁽¹⁾

أما عن منشوراته " فنشر نتاجه الشعري في العديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية من بينها: برقة الجديدة، والحقيقة، والأسبوع الثقافي، والثقافة العربية، والعرب الصادرة في لندن، والمناهل، والعلم بالمغرب، والفصول الأربعة."⁽²⁾

واستمر شاعرنا منذ تجربته الأولى في كتابة أشعاره حتى ظل سيل شعره يتدفق مما جعله يجمع هذا النتاج في مجموعات شعرية، فله عدد ليس بالقليل من الدواوين المطبوعة يصل عددها إلى ثلاثة عشر ديواناً، كان أولها: "ديوان الركب التائه سنة 1963، وليالي الصيف سنة 1970، ونماذج سنة 1981، والمواسم سنة 1986، ونوافذ سنة 1987، والفراشة سنة 1988، والزهرة والعصفور سنة 1992، وتقاسيم على أوتار مغربية سنة 1998، وألحان ليبية سنة 1998، والرسم من الذاكرة سنة 2004، صدى السنين سنة 2006، وإشارات سنة 2008."⁽³⁾

وأقام الشاعر حسن السوسي بمدينة بنغازي وتحصل على وسام الريادة وجائزة الدولة التقديرية؛ وذلك من خلال ما قامت به (جامعة قاريونس) الليبية بتكريم شاعرنا حسن أحمد السوسي عبر كلية الآداب والعلوم بواحة الجوف بشعبية واحات الكفرة، وذلك التكريم كان يوم الاثنين 2006/5/22م بقاعة الشهداء.⁽⁴⁾

"والشاعر حسن السوسي ينتمي إلى جيل الكلاسيكيين أولئك الذين يتخاطبون مع العقل مباشرة، ويغلب على شعرهم القول الرصين والصياغة المحكمة والألفاظ المنقاة ... كما ينتمي إلى جيل المجددين الذين حافظوا على

1- انظر: معجم الشعراء الليبيين، عبد الله سالم مليطان، ص213.

2- المرجع السابق نفسه، ص213.

3- معجم الشعراء الليبيين، عبد الله سالم مليطان، ص213.

4- انظر: مجلة الثقافة العربية، رحيل شيخ المحبين: الأستاذ الشاعر حسن السوسي، العدد 290، 2007، ص105، 108، 121.

عمود الشعر والوزن ونوعوا في القافية ... وترخّصوا بعض الشيء في جزالة الألفاظ وجنحوا بطبعهم إلى رقة الشعور وسلاسة المعنى فجاء شعره رقيقاً قريباً من القلب والعاطفة أكثر من كونه عقلانياً.⁽¹⁾

وفاته:

فقدت الساحة الثقافية الليبية وتداً من أبرز أوتادها الشعرية الأصيلة، ومن أبرز العلامات الدالة في تاريخ الشعر الليبي على مدى أكثر من نصف قرن. حيث تُوفي شاعرنا حسن أحمد السوسي يوم الأربعاء الموافق 2007/11/21 عن عمر ناهز الثلاثة والثمانين عاماً وذلك بإحدى مستشفيات تونس العاصمة على أثر مرض عضال لازمه طيلة السنوات الأخيرة،⁽²⁾ ودفن في مدينة بنغازي عصر يوم الخميس 2007/11/22.

1- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، ص178.

2- انظر: مجلة الثقافة العربية، رحيل شيخ المحبين: الأستاذ الشاعر حسن السوسي، العدد 290، 2007، ص9.

المطلب الثاني

تطور الحركة الأدبية في ليبيا

الأدب العربي في حقيقته نابع عن أمة عربية تربط بين أفرادها روابط مختلفة ومتعددة منها: روابط الأصل، والدم، والدين، والوحدة القومية والوطنية، وجمعتهم الرقعة الجغرافية، وهذا دليل قاطع على صلة التقارب بين أبناء الأمة العربية مما دفع إلى تطور الحركة الأدبية في ليبيا؛ نتيجة ارتباط تلك المُجريات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، وتقوية أواصر التواصل الثقافي، والفكري بين الشعراء والأدباء في ليبيا، وبين شعراء وأدباء العرب على حد سواء على الرغم من اختلاف أقطارهم وبيئاتهم.

ومن هنا نصل بقولنا إلى أنّ الأدب في أي قُطر أو بيئة ما هو إلّا خليطٌ لإسهامات عربية متعددة، ف"تطور الأدب في ليبيا ارتبط بالتطور العام للأدب العربي في عصوره الحديثة... وإنّ البيئات العربية الإسلامية ارتبطت منذ القدم بواقع حضاري واحد كَوّن وحدة ثقافية دعمت ظاهرة التفاعل والتجارب بين أطراف هذه البيئات، وكلّما برزت ظاهرة ثقافية في بلد عربي خاصة - تلك التي تنصدر الحركة الفكرية - انعكس تأثيرها على أجزاء الوطن العربي."⁽¹⁾ والدليل على ذلك "خضوع البلدان العربية بعد زوال الخلافة العباسية للسيادة العثمانية، وارتباطها بواقع واحد، وتشابه الخصائص مع التفاوت الزمني، فما تكاد مطالع النهضة تظهر في بلد حتى تظهر في آخر، ووُجدت اتجاهات أدبية تشبه ما قام في مصر وسوريا والعراق وتونس، وكان حافظ وشوقي والرصافي والزهاوي في العراق يعاصرهما في ليبيا أحمد الشارف ورفيق المهدي، وقد أحرّ الاستعمار الإيطالي الحركة الأدبية - في ليبيا - عن مثيلاتها أكثر من ثلاثين عاماً، ونشأت حركة الشعر الليبي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقامت تلمذة مباشرة بين الشعراء الليبيين وغيرهم من شعراء البيئات العربية، فانقلت إلى شعراء ليبيا موجات رومانسية من شعراء المهجر أبولو وبعض شعراء سوريا، والعراق، ولبنان ... فالليبيون يتعلمون في الأزهر بمصر والزيتونة بتونس."⁽²⁾ ولهذا ارتبط الأدب الليبي بالأدب العربية الأخرى، فالاتصال بين ليبيا والبلدان العربية المجاورة يُعدّ أحد العوامل المؤثرة في إثراء الحركة الأدبية وتطورها في ليبيا.

1- بيئات الأدب العربي، يوسف حسن نوفل، دار المريح للنشر، الرياض، 1984، ص158.

2- المرجع السابق نفسه، ص160.

ومع تطور الحركة الأدبية ظهرت الروح القومية في العرب، فتحرّكت المشاعر في نفوس الشعراء الليبيين في خضمّ التحولات التي عاشتها الأمة العربية، مما ولّد لديهم شعور بالإحساس الوجداني الموحد تجاه بعضهم البعض فهذا الإحساس الموحد بين الأدباء العرب دفع بالشعراء الليبيين إلى مشاركة إخوتهم في الأقطار العربية الأخرى، والتضامن معهم في أفراحهم وأحزانهم فهم إخوة. ومن الأحداث العربية التي هزت وجدان شعراء ليبيا وجعلتهم يتفاعلون مع المشهد التاريخي لواقع الاحتلال المرّ لفلسطين، ومن بينهم الشاعر حسن السوسي الذي أصبحت أحاسيسه ومشاعره بكائية حزينة عندما قال:

فَلَسْطِينُ فِي حَلَقْنَا غُصَّةٌ *** وَفِي بَالِنَا طُفْلُهَا وَالْحَبَرُ

حَمَلْنَا قَضِيَّتَهَا فِي الْقُلُوبِ *** فَكَادَتْ مِنَ الْحُزْنِ أَنْ تَنْقَطِرَ

وَيُبْصِرُهَا غَيْرُنَا سِلْعَةً *** يُرَابِي بِهَا وَبِهَا يَتَجَرُّ⁽¹⁾

وشاعت قصائد القضية الفلسطينية على لسان الشعراء الليبيين والعرب في البلاد العربية. كما أشعل وجدان الشعراء الليبيين أحداث عربية أخرى على طول الساحة العربية ضد الاستعمار البغيض، وهي تقارع الظلم من بينها ثورة الشعب المصري، والجزائري، والتونسي، والمغربي وغيرها الكثير من الأحداث التي طُبعت بالطابع القومي نتيجة لتأثرهم بقضايا الأمة العربية. وهكذا تفاعل الأدباء والشعراء في الأدب الليبي مع غيرهم من أدباء وشعراء الأدب العربي، فالأدب الليبي حلقة من حلقات الأدب العربي.

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998، ص96.

انطلاقة الأدب الحديث في ليبيا

يمكننا القول إنّ الأدب في ليبيا قد عُرف منذ القدم، كما عُرف في بقية أجزاء الوطن العربي، وهناك الكثير من العوامل التي ساعدت على انتشار الأدب من بينها دخول الدين الإسلامي إلى ليبيا ضمن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا إذ فُتحت أمام الشعراء الليبيين فرصة الاندماج والتوسع في شتى المجالات العلمية والثقافية من خلال الانفتاح على الثقافات العربية والأجنبية. وهي نقطة مهمة ضمن العوامل التي أسهمت في تعميق الأدب وانتشاره في ليبيا، "كما تشهد أطلال مدن لبدة وصبراتة وقورينا في برقة وجرمة في فزان على مدى الانتعاش الحضاري الذي لا يخلو من ازدهار ثقافي ... وفي العصور الإسلامية الأولى كانت البلاد نقطة انطلاق وتموين للجيش الإسلامي، وكانت المهمة الأولى هي نشر الدين الجديد في هذه الربوع، فأنشئت المساجد، ومع المساجد ظهرت حلقات العلم والمعرفة،"⁽¹⁾ ومن هنا انتشرت الزوايا في أغلب أنحاء ليبيا لتبرز دورها الفعّال في نشر الوعي الثقافي والديني "وكان من أهم هذه الزوايا والمدارس زاوية السوداني وزاوية عبد النبي بالخير بمدينة بني وليد، وزاوية الدوكالي بمدينة مسلاتة، ومدرسة ميزران بمدينة طرابلس، والمعهد الأسمرى بمدينة زليتن، ومدرسة الزروق بمصراتة، ومدرستا أحمد باشا وعثمان باشا بطرابلس، وزاوية الأبشات بمدينة الزاوية الغربية..."⁽²⁾ و"زاوية أبي ماضي بالجبل الغربي ... والجغبوب والزوايا الدينية، وهذه الزوايا أدت دوراً مهماً في المحيط العلمي والأدبي وحفظ اللغة، وكان لها أثر كبير في البلاد."⁽³⁾

"غير أنّ الأدب الليبي المعاصر وهو ككل الآداب التي نشأت في مراحل عصيبة وتحت ظروف القهر والاستعباد الأجنبي، فكان الشعر هو السجل المعبر عن الوضع المتخبط بأسباب الضغوطات والمعوقات. فقد ولد رواد الأدب الليبي الحديث في مرحلة عسيرة اشتد فيها القمع وكُرست فيها قوى الشر لإبادة الشعب الليبي

1- التعريف بالأدب الليبي، الطاهر بن عريفة، منشورات دار الحكمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1997، ص1.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2004، ص38.

3- أحمد الشارف دراسة وديوان، علي مصطفى المصراطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثالثة، 2000، ص23.

وحرمانه من أبسط حقوقه الإنسانية. وبقدر ما كانت المرحلة حبلً بألوان من الضغوطات والمعوقات كانت الاستجابة قوية والنتائج معبرة والأعمال كبيرة.⁽¹⁾

وتأثرت الحركة الأدبية بصفة عامة بالأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية التي مرّت بها البلاد مصحوبة بالظلم والتعسف، وهكذا يتضح أنّ الأدب في حقيقته مرآة تعكس معاناة أهله نتيجة لما تأثروا به من أحداث وظروف مرّ بها الوطن؛ لذلك فهو أصدق ترجمان ليظهر تلك الأوضاع على تطور الأدب وما صاحبها من هزات عنيفة أيقظت الأصوات وحركت الأقلام بعد الصمت الطويل، فأصبحت أقلامهم تعبر بكل صدق وحرارة- عما يعانيه المواطن من هموم واضطهاد وتعسف من قبل الاستعمار الغاشم، ومن هنا نشطت حركة الجهاد والمقاومة في ليبيا ضد المستعمر الدخيل، وتميّزت هذه الحقبة بعدم الاستقرار السياسي؛ نتيجة الصراعات القائمة في البلاد بين الشعب الليبي والمستعمر، حيث ارتبط الشعر بحركة الجهاد مصوراً ملاحمه الجهادية التي بعثت روح الحماس في نفوس الشعراء، وطُبعت بطابع روح وطنية وجهادية وحماسية، وعمد الأستاذ خليفة محمد التليسي في كتابه "رفيق شاعر الوطن" إلى تقسيم المراحل التاريخية التي مرّت بها ليبيا في العصر الحديث إلى ثلاث فترات كالاتي:

1. الفترة الأولى: امتدت من أواخر القرن التاسع عشر إلى سنة 1911، أي العهد العثماني.
 2. الفترة الثانية: امتدت من سنة 1951 إلى سنة 1943، أي العهد الإيطالي.
 3. الفترة الثالثة: امتدت من إعلان الاستقلال إلى يومنا الحاضر.⁽²⁾
- وعلى الرغم من هذا "فإنّ الكفاح المقدس ضد الطليان الذي بدأ مع العام 1911 بعث في نفوس الشعراء الحماس ليتغنوا بوطنهم وحرّيتهم وليلهبوا حماس كل العرب ليقضوا معهم تأكيداً على حرية البلاد وكرامتها."⁽³⁾

1- دراسات في أدب خليفة التليسي بأقلام مجموعة من الكتاب العرب، المنشأة العامة والتوزيع والإعلان، طرابلس - الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1984، ص73.

2- انظر: رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د. ط ، 1988، ص107.

3- الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، مجلس الثقافة العام، د. ط ، 2008، ص28.

وطُبع الأدب الليبي في كل فترة من هذه الفترات بطابع الظروف التي مرت بها البلاد من ضغوطات ومعوقات الاستبداد الأجنبي مما جعل شعر هذه الفترة معبراً بألوان العطاء ومصوراً للدمار والخراب، والاعتقالات، والإعدامات، والنفي والقمع والقهر، والتكيل والتعذيب، ما دفع بالشعراء لزيادة عنفوانهم، وقوتهم نحو تحقيق طموحاتهم؛ تطلعاً إلى الحرية والاستقلال. "ولعل خير ما يضرب به المثل في هذا المجال هو شعر أحمد رفيق المهدي، وأحمد قنابة، وأحمد الشارف، والأسطى عمر، وغيرهم ممن تجلّت فيهم بواكير العطاء الأدبي المعبر عن التصدي للتسلط الأجنبي المشبوب بالمواجهة النضالية لسلطات الفاشي الإيطالي. ويُسكّل الشعر العربي الشعبي رافداً مهماً في أدب المرحلة، غير أنّ تنوع العطاء الأدبي جاء مع بداية السنوات الأربعينية، حيث تفجّرت قرائح الكتاب بشتى الألوان الأدبية، وكان أبرزها المقالة السياسية التي راحت تخوض في شتى الموضوعات، وتتناول بالنقاش القضايا الوطنية التي يعبر أصحابها عن رؤاهم لليبيا المتحررة من الاستعمار والمتحدثة عن تقرير المصير (1943-1951)"⁽¹⁾، "ففي مطلع الخمسينات تنفس المواطنون الصعداء بانقشاع ليل الاستعمار وزواله، فظهرت مواهب شابة ساهمت مساهمة فعّالة في مجال الثقافة والأدب، بعضهم كان مهاجراً في مصر، أو سوريا، أو تونس، وبعضهم كان يزاول تعليمه في هذه البلدان أو غيرها. وبرجوع هؤلاء وأولئك ازدانت الحياة الثقافية في القطر بشباب يملؤه الحماس وتقويض منه الغيرة على وطنه وأُمته."⁽²⁾

وهكذا طويت الفترة الأولى بعد عهد الاستقلال لتشهد تحولاً تاريخياً جديداً في الأدب الحديث لهذا الشأن قد أتاح "فرصة أمام ولادة ألوان أدبية أخرى على يد فئة من الشباب الذين تمارسوا بثقافة جديدة، واطلعوا على نماذج من الأدب الحديث الذي تضطلع بنشره صحف ومجلات تصدر عن بعض العواصم العربية، وكانت البيئة الليبية من الناحية الثقافية خرجت لتوها من مرحلة التجهيل الذي مارسه الإيطاليون على مدى سنوات حكمهم الثلاثين، ولم يكن هنالك إلا القليل من النخبة المثقفة ... لكن ليبيا التي عرفت أقسى أنواع الاستعمار عتواً،

1- دراسات في أدب خليفة التليسي، ص 73-74.

2- التعريف بالأدب الليبي، الطاهر بن عريفة، ص 3.

وأشدّه بطشاً خرجت من بين حطام الحرب العالمية الثانية وأخذت تتلمس طريقها معتمدة على طموحات شبابها لانتشالها من براثن الجهل، وبعثها بعثاً جديداً، فكان الإغراء يحدو مثقفها على ابتكار ألوان من الأدب، فكان بعضهم متأثراً- التأثر كله- بقراءته لما نُشر في الصحف والمجالات العربية فجاء على شكل إرهابات أو صدى لما استطاع المشرقيون أن ينتجوه في النقد، والشعر، والقصة القصيرة وحتى الطويلة.⁽¹⁾

ولأهمية الأدب عند الأدباء الليبيين انخرط معظمهم في تحولات كثيرة ولهذا الأمر "جاءت التحولات بالكثير من القضايا المطروحة للنقاش، فقامت خصومات كثيرة في الصحف والمجلات حول قضايا (الالتزام في الأدب)، و(الفن للفن أم للحياة)، (الشعر الحر) و(العامية والفصحى)، و(القديم والجديد)، واستطاعت تلك المجادلات التي أُثيرت في الصحافة الليبية حول هذه القضايا أن تُحرّك الوضع الرّاكد في الأدب، وتتمكن من هزّه هزّاً عنيفاً فتُخرج بعض الأقلام عن عادة التفكير بأسلوب الأقدمين، وتفتح الباب أمام النقاش الحرّ المليء بالجدل والحوار البناء. والحقيقة أنّ هذه المرحلة كشفت عن مواهب كانت مغمورة، وصقلت بعض الأقلام وأتت بها إلى ساحة الأدب لتُسهم في وضع اللبنة الأولى في بناء الأدب الليبي الناشئ.⁽²⁾ وحظيت الثقافة الليبية في القرن العشرين بتنوّع مجالاتها، وكان من أهم العوامل المساعدة على النهضة الثقافية والأدبية في ليبيا:

1- التعليم ودوره في نهضة الحركة الأدبية:

يعتمد التعليم في ليبيا قديماً على نظام تدريس القرآن الكريم لذا ظهر واضحاً جلياً في الكتابات (الكتاب) والزوايا والمساجد، ويؤكد ذلك أحمد محمد القماطي في كتابه تطور تعليم البنات بقوله: "لقد كان التعليم في بلادنا منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى العصر الحديث تعليمًا دينياً صرفاً يهدف إلى تأكيد الدين الإسلامي

1- دراسات في أدب خليفة التليسي، ص74.

2- المرجع السابق نفسه، ص76.

والشخصية الإسلامية العربية للمجتمع العربي الليبي،⁽¹⁾ ولذلك اقتصر التعليم في ليبيا آنذاك على صنفين أساسيين هما:

أ. **التعليم التقليدي:** ويتمثل هذا النوع من التعليم في الكتاتيب والزوايا والمساجد والمعاهد الدينية وهناك يقوم الطلاب بتعلّم العلوم المختلفة، فتمكّن هذا النوع من التعليم من ترسيخ جذور اللغة العربية والمحافظة عليها، ونشرت تعاليم الدين الإسلامي في ربوع ليبيا. فالكاتيب أو (الكتاب)^(*) "لعبت دوراً مهماً في نشر العلوم الدينية واللغة العربية، سواء في المدن أو في القرى والمناطق الريفية والنجوع الصحراوية، وكان يدير الكتاب شيخ فقيه يلتف حوله مجموعة من الأطفال على ألواحهم ما يلقنهم إياه شيخهم من مبادئ اللغة العربية والإملاء ومبادئ الحساب، بالإضافة إلى حفظ سور من القرآن الكريم وقواعد الصلاة والوضوء، ويستمر الطفل في الكتاب عدة سنوات حتى يبلغ سن العاشرة أو أكثر"⁽²⁾ ... "ونظام الكتاتيب عرفته ليبيا منذ الفتح الإسلامي وقد انتشرت بشكل واسع في جميع المناطق الليبية، وأذكر على سبيل المثال منها منطقة غريان ... ولاشك أنّ أسلوب التدريس في المساجد والكتاتيب أسلوب تقليدي متوارث عن السلف ومتعارف عليه في كل الديار الإسلامية، ومعظم نوابغ العرب المسلمين بدأوا حياتهم الدراسية العلمية في الكتاتيب القرآنية ثم استكملوا علومهم في مساجد بغداد ودمشق والقاهرة وتونس وفاس وقرطبة، وفيها برزوا وعُرفوا قبل الجمود الفكري الذي بُلي به العرب المسلمون في عهود الانحطاط."⁽³⁾

ويلي الكتاتيب ما يعرف بالزوايا حيث ينتقل الطلاب إليها لكونها "أوسع وأكبر من الكتاب، وتلقي العلم فيها يعتبر مرحلة علمية متقدمة، ويشرف على الزوايا عالم أو متصوف له شهرته العلمية والدينية في المنطقة، وغالباً ما تعرف باسمه كزاوية عبد السلام الأسمر، وزاوية الزروق، وزاوية الدوكالي، وزاوية الصيد، وزاوية المحجوب،

1- تطور تعليم البنات، أحمد محمد القماطي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1984، ص13.

* عبارة عن حجرة واحدة متسعة نوعاً ما على جدرانها تصطف الأرفف لوضع المصاحف وأجزاء القرآن الكريم عليها.

2- المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د. ط ، 1988، ص323.

3- المرجع السابق نفسه، ص326.

... ومنهاج الدراسة في الزوايا يشمل حفظ القرآن الكريم وتفسير آياته وكذلك الأحاديث الشريفة، والتعرّف على الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث مع توسّع في الفقه وأصوله، والبحث عن الأدلة الشرعية ومصادرها في القرآن والسنة والإجماع والقياس، كما يتلقّى الطلبة النحو والصرف ومدارسه، وعلم الكلام والتصوف والخط،... والخريجون من الزوايا والمدارس الدينية إمّا يسافرون لخارج البلاد لاستكمال دراستهم العلمية في جامع الأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، أو القرويين بفاس، أو مدارس الشام والجزائر والحجاز، أو المعاهد العالية في استانبول والبعض يكتفي بما تحصل عليه من العلم محلياً.⁽¹⁾

ب. التعليم العصري: ويتمثّل في المدارس التي أنشأتها الحكومة التركية في طرابلس، وبنغازي، ودرنة، والخمس بعد سنة 1895، وهذه المدارس نظامية تقوم بالتدريس وفقاً لأحدث النظم العصرية. وأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية، ودار المعلمين، والمعاهد العليا، ومدرسة الفنون والصنائع.⁽²⁾ ومن الملاحظ أنّ عدد المدارس كان قليلاً فلا تكفي لتغطية احتياجات كل الليبيين في التعليم؛ لكونها مقتصرة على مدن قليلة بينما حُرّم منها أهل الدواخل والأرياف والقرى من الليبيين.

"وفي العصر الحديث ابتليت البلاد مثلها مثل غيرها من البلدان العربية الأخرى باحتلال غربي بغرض هو الاحتلال الإيطالي الذي عمل على طمس الشخصية الوطنية بالقضاء على الثقافة العربية الإسلامية، وقطع الصلة بين ماضي هذا الشعب وحاضره، في محاولة منه لإحلال الثقافة الإيطالية واللغة الإيطالية محل اللغة والثقافة العربية. ووضع السُدود بين الشعب العربي في ليبيا وإخوانه وأشقائه في مشرق الوطن ومغربيه، ليقطع الطريق أمام التواصل واللقاء والتأثير والتأثر بين شعوب الأمة الواحدة. وبناءً على هذه الخطة حصرت إيطاليا التعليم العربي في المساجد والكتاتيب فقط. أمّا المنهج الإيطالي الذي كان يدرّس في المدارس الإيطالية والذي عافه الشعب وحاربه فيقوم على تمجيد إيطاليا وتبجيل دور روما في قيادة العالم وزعامته وتحضره في محاولة

1- المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، ص326، 329.

2- انظر: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، فرانشكو كورو، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د. ط، د. ت، ص100.

يائسة للقضاء على روح الشعب وأصالته. وأدى هذا المسخ الثقافي إلى هجرة العقول، وبهجرة العقول هاجرت الثقافة إلّا من قليل من المواطنين الذين نشروا بعض النتاجات الأدبية، وهذه على قلتها كانت تتميز بالسطحية ولم تكن تعانق أحاسيس الجماهير وتطلعاتها.⁽¹⁾ وعندما بدأ الاستعمار الإيطالي في فرض سيطرته على ليبيا عام 1911 أخذ يُحكم قبضته على التعليم ويوجهه الوجهة التي تساعد على تحقيق أهدافه الاستعمارية. وقد مرّ التعليم في العهد الإيطالي بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: تقع في الفترة الزمنية الممتدة من عام 1911 إلى عام 1922.

المرحلة الثانية: تقع في الفترة الزمنية الممتدة من عام 1922 إلى عام 1943.⁽²⁾

وهكذا حارب الاستعمار الإيطالي التعليم في ليبيا رغم أهميته والحاجة الماسة إليه؛ وذلك من أجل تحقيق غايته المرجوة في البلاد. في حين فتحت بعض المدارس الابتدائية وحصر فيها التدريس باللغة الإيطالية، لتعليم أبناء الشعب الليبي اللغة الإيطالية هادفاً إلى طليئة الجيل الناشئ من الليبيين ومحو لغة القرآن الكريم، وكانت المواد التي تدرّس في هذه المدارس تهدف إلى تأكيد الإيمان بالإمبراطورية الرومانية وأنّ ليبيا جزء منها،⁽³⁾ كما عملت إيطاليا على عزل ليبيا عن غيرها من الأقطار العربية الأخرى، ويليها "حرق المكتبات العامة والخاصة في طرابلس ومصراتة وزليطن والجغبوب والجبل الغربي"،⁽⁴⁾ و"الكفرة وهي مكتبة ضخمة كانت تضم ما يزيد على ثمانية آلاف مجلد من كتب التراث الإسلامي والعلوم الطبيعية"،⁽⁵⁾ إلى جانب منع الطلاب الليبيين من السفر إلى الدراسة بالخارج بجامع الأزهر في مصر أو جامع الزيتونة في تونس لتلقي العلم والمعرفة هناك.⁽⁶⁾ ومن

1- التعريف بالأدب الليبي، الطاهر بن عريفة، ص2، 3 .

2- تطور تعليم البنات، أحمد محمد القماطي، ص15 - 16.

3- انظر: الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، ص23.

4- المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، ص288.

5- شاعرية الرقيعي في ضوء النقد الحديث، فتحي رمضان القراض، منشورات جامعة السابع من أبريل، د. ط، 2000، ص16.

6- انظر: المرجع السابق نفسه، ص 16.

أجل إعاقة مسيرة الطلاب الليبيين إلى الأزهر والزيتونة أنشأت الحكومة الإيطالية مدرسة إسلامية سنة 1935 تدعى (المدرسة الإسلامية العليا) في طرابلس.⁽¹⁾

وبناءً على ما تقدّم يمكن القول: إنّ التعليم في ليبيا سار وفقاً للظروف التي مرّت بها البلاد فاقترصر على التعليم التقليدي في الكتاتيب والزوايا والمساجد، ومن ثمّ المدارس الإيطالية لطلينة الفكر الليبي والقضاء على عروبتة، وإسلامه، ولغته، وهويته.

وفيما يخصّ فترة الاستقلال فقد بدأت ملامح النهوض تظهر في التعليم في الكثير من المدن الليبية، فأنشئت المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بالتعليم العام والمعاهد المتوسطة والعليا والجامعات، ونشطت حركة البحوث العلمية بعودة المهاجرين الليبيين من الخارج مزودين بفكر ثقافي جديد، حاولوا من خلالها فهم واقعهم الليبي، وإفساح المجال للمتقنين للقضاء على التخلف ونشر الثقافة لبناء المجتمع الليبي ورفقه.⁽²⁾

2- الطباعة ودورها في نهضة الحركة الأدبية:

أسهمت الطباعة بدورها الفعّال في النهوض بالحركة الثقافية نهوضاً إيجابياً في الشعر الليبي الحديث لما لها من دور مميز في نشر الأعمال الأدبية، وتشجيع القراء على الاطلاع وتحفيز الكتاب على مواصلة إبداعاتهم. ولا ريب في أنّ الطباعة هي من أكثر الوسائل المهمة في نشر المعرفة بين شعوب العالم لفضل ما قدمته من خدمات لنشر أعداد هائلة من الكتب على اختلاف تخصصاتها.

ويورد الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الأدب العربي المعاصر في مصر) أنّ المطبعة قد عُرفت "في أوروبا منذ القرن الخامس عشر، وطبع الأوروبيون بها الكتب العربية ... منذ القرن السادس عشر، وعندهم نقلتها تركيا في القرن السابع عشر، كما نقلتها سوريا في القرن الثامن عشر، أمّا مصر فضلت لا تعرفها حتى كانت حملة

1- القصيدة الرومانسية في ليبيا 1937-1969 "دراسة نقدية تحليلية"، تهاني مفتاح راشد، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 2004، ص66.

2- انظر: الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، ص24.

نابليون فنقلتها إليها واستخدمتها في منشوراتها ...، ولم تلبث هذه المطبعة العربية أن غادرت مصر مع الحملة، حتى إذا كان عهد محمد علي أنشئت مطبعة بولاق المشهورة.⁽¹⁾

أمّا عن ليبيا فلم تُعرف الطباعة إلّا "في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إذ أنّ أول مطبعة دخلت إليها كانت مطبعة حجرية لم تذكر مصادر التاريخ وقتاً محدداً لدخولها لكنها رجحت أنّه كان في الستينات من القرن التاسع عشر، وتلتها مطبعة أحضرها الوالي محمود نديم باشا عُرفت بمطبعة الولاية، كما استورد علي رضا باشا الجزائري مطبعة من أوروبا بعدما تبين له عدم صلاحية المطابع السابقة...، واستمر الاعتماد على المطبعة الحديثة والمطبعة الحجرية إلى حين تأسيس مدرسة الفنون والصنائع سنة 1897... ثم جاءت مطبعة الترقّي بعد قيام الثورة في تركيا وصدر القانون العثماني الجديد الذي ينصّ على حرية الصحافة، فحفز بذلك مجموعة من المثقفين الليبيين على تأسيس أول شركة إعلامية أهلية بإيعاز من الشيخ محمد البوصيري، وفي سنة 1908 ظهرت المطبعة الدولية وهي أول مطبعة أدخلت الحروف اللاتينية إلى الولاية، ثم تلتها المطبعة الشرقية لصاحبها اليهودي (تشوبه) سنة 1910، والتي كانت تطبع منشوراتها بالأحرف العربية واللاتينية والعبرية.⁽²⁾

ويتبيّن من خلال الأبحاث والدراسات التي قام بها الباحثون أنّ الطباعة قد نشطت في "إبان القرن التاسع عشر والقرن العشرين"،⁽³⁾ بعد إعلان "صدور الدستور العثماني سنة 1908"،⁽⁴⁾ حيث بدأت الصحف، والمجلات تنتشر على نطاق واسع مما أسهمت في نشاط الأقلام الليبية الحاملة.

وتصدى المستعمر الإيطالي لأبناء الشعب الليبي محاولة منه للقضاء على العروبة والإسلام هادفاً إلى طليئة الشعب الليبي وتطبيع بطابعه، وكان ذلك "بعدم الالتفات إلى العنصر الليبي، ومحاربته ثقافياً عن طريق إقفال

1- الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف. ج. م. ع. ، الطبعة التاسعة، 1988، ص30.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، الجزء الأول، ص30-31.

3- في الأدب العربي الحديث، سالم المعوش، الجامعة المفتوحة، الطبعة الأولى، 1993، ص73.

4- ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، فرانكو كورو، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ص128.

مؤسساته وعزله عن إخوانه في المغرب والمشرق، والوقوف بالمرصاد للغة العربية ومحاربتها⁽¹⁾ محاولاً طمس الشخصية العربية الليبية الإسلامية، وبعد استقلال ليبيا انتشرت المطابع وتعددت في ربوع البلاد فأسهمت إسهاماً مباشراً في نشر الكتاب على نطاق واسع داخل ليبيا وخارجها.

3- الصحافة ودورها في نهضة الحركة الأدبية:

يُعدّ ظهور المطابع في ليبيا سبباً في ازدهار فن الصحافة، فللصحافة دور فعّال في الحياة الأدبية في البلاد؛ كونها دعامة من دعائم النهضة الفكرية، وانتشار الوعي الثقافي بين أبناء الشعب الليبي، والتي تُعدّ من أكبر الوسائل المهمة في نشر المعرفة بين الأمم، ممّا زاد اهتمام الأديب الليبي بالإبداع وتوطيد دعائم اللغة العربية بين الكتّاب والمتلقين، ولمّا لها من فضل في تقديم خدماتها في مجال إيصال المعلومات بصورة سريعة وسهلة للقراء، والتي عرفوا من خلالها الأسلوب الكتابي للكتابة الأدبية والصحفية حيث عمّلت على تشجيع مواهبهم وإبداعاتهم في مجال كتابة الشعر في الصحف، والجرائد، والمجلات ونشرها فتظهر أهمية الصحافة في إيصال الفكر والأدب إلى القراء، فانطلقت أقلام الكتّاب لتخوض غمارها حيث تناولت الصحافة شؤون الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية.

ويحدثنا علي مصطفى المصراطي عن الصحافة في فترة هيمنة الاحتلال الإيطالي الظالم على ليبيا في ذلك الوقت فيقول: "طراً على الصحافة في ليبيا عهد كان كالحاً وكابوساً ثقيلاً ظل زهاء ثلاثين عاماً، ... طويت فيه الأقلام الحرة، وأصبحت قوة الاستعمار ترهق كل حر، وتجنّي على كل فكر، وتستعبد كل صحيفة.. إنّها فكرة الاستعمار الفاشيستي، حيث تأمر على عروبة ليبيا."⁽²⁾

1- شاعرية الرقيعي في ضوء النقد الحديث، فتحي رمضان القرّاضي، ص9.

2- صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصراطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الطبعة الأولى، 1960، ص29 - 30.

كما كان من بنود الصلح لعام 1919 أكد على حرية الطبع والصحافة، حيث وجدت الصحافة متنفساً،

واتسمت بالطابع النضالي والوطني.⁽¹⁾

"وقد أسهمت الصحافة في الأربعينيات في إحياء الحركة الفكرية في ليبيا بما قدّمته من مواد أدبية وثقافية أسهمت هي الأخرى في إثراء الفكر وتطور الحياة الأدبية في ليبيا،"⁽²⁾ وتجدر الإشارة إلى أنّ الصحافة الليبية منذ نشأتها قد مرّت بمراحل ازدهار وانحطاط... تبعاً للأحداث السياسية التي مرّت بها البلاد، ويتفق الباحثون على أنّ فترة ازدهار الصحافة الليبية هي الفترة الواقعة بين سنتي 1908-1911، ويعزو معظم الباحثين هذا الازدهار إلى صدور الدستور العثماني الذي كفّل حرية الصحافة.⁽³⁾

ويقول علي مصطفى المصراطي إنّ العصر الذهبي للصحافة في ليبيا كان في الفترة الواقعة ما بين سنتي 1908-1911م، وارتبطت هذه الفترة القصيرة بإعلان الدستور العثماني الذي كان له كبير الأثر في تنشيط الحياة الصحافية، ومن ثم الفكرية... وظهر في تلك الفترة الذهبية عدد من الصحافيين الليبيين الذين كان همهم إصلاح ما يمكن إصلاحه في مواجهة أخطار السياسة الإيطالية، ونوايا (بنكاوي روما) السيئة، وكان في طليعة هؤلاء: عبد الرحمن البوصيري، وعلي عياد، ومحمد النائب، ومحمد قدري، ومحمد البارودي، ومحمد الهاشمي التونسي، ومحمود نديم بن موسى، وأحمد الفساطوي، هذه النخبة المثقفة المكونة لصحيفة (التراقي) استطاعت أن تلعب دوراً مهماً في مجال السياسة والأدب، وتفتح آفاقاً جديدة أمام الثقافة النامية في ليبيا، واستطاعت أن تحرر الأسلوب من كثير من مظاهر الضعف التي ابتلي بها خلال السنوات الماضية، ونظراً لتحرر الأساليب في هذه الصحف أقبل الناس عليها بشوق ولهفة، يكتبون وينشرون وأحياناً ينتقدون، الأمر الذي جعل الحركة الأدبية

1- انظر: القصيدة الرومانسية في ليبيا، دراسة نقدية تحليلية، تهاني مفتاح راشد، ص 67.

2- خليفة محمد التليسي ناقداً وأديباً، مصطفى محمد جحيدر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الطبعة الأولى، 1986، ص 44.

3- شاعرية الرقيعي في ضوء النقد الحديث، فتحي رمضان القراض، ص 18.

تنشط أكثر فأكثر، إذ أسهمت بعض العوامل في دعم هذه النهضة الصحافية وبالتالي في دعم الحركة الأدبية التي يشكّل الشعر العمود الفقري فيها.⁽¹⁾

وأشار الأستاذ علي مصطفى المصراتي في كتابه (الصحافة في ليبيا) إلى الصحف التي كانت تصدر في ليبيا في الفترة الواقعة ما بين سنتي 1908 - 1911 ... بأنه كانت هناك سبع أو ثماني جرائد تصدر كل أسبوع في وقت واحد بمعدل جريدة كل يوم ولكل جريدة نفحة وطابع وشكل يميزها عن زميلاتها.⁽²⁾

وصدر في طرابلس وفي فترة زمنية قصيرة ما بين (1908-1911، أكثر من اثنتي عشرة صحيفة مطبوعة ما بين جرائد ومجلات منها: (طرابلس الغرب)، و(التراقي)، و(مجلة الفنون)، و(الكشاف)، و(صدى طرابلس)، و(العصر الجديد)، و(المرصاد)، و(أبو قشة)، و(الاقتصادي)، و(نجمة الشرق)، و(النقد)، و(الدردنيل)، و(الرقيب)،⁽³⁾ "وكان من بين الصحف والمجلات العربية التي صدرت في العهد الإيطالي (صحيفة الرقيب العتيد)، و(صحيفة اللواء الطرابلسي) التي ظهر سنة 1925م، و(مجلة ليبيا المصورة) التي ظهرت سنة 1935، والشيء الأكثر إعاقة للحركة الثقافية في ليبيا في العهد الإيطالي أنّ إيطاليا لم تكن مهتمة بنشر الثقافة العربية الأصيلة في ليبيا ولا بتنقيف الليبيين الثقافة الحقّة التي توسّع مداركهم وتعرفهم بمشاكل مجتمعهم الليبي ومشاكل أمّتهم العربية والإسلامية وقضايا العالم الذي يعيشون فيه وتنمّي لديهم روح الالتزام نحو قضايا مجتمعهم وأمّتهم."⁽⁴⁾

4- المكتبات ودورها في نهضة الحركة الأدبية:

لعبت المكتبات دوراً مميزاً في نشر الثقافة والمعرفة بين الناس؛ لما لها من أثر عظيم في توعيتهم وتنقيفهم، وهكذا أدركوا أهمية وجودها وعرفوا قيمة عطائها، ولم تكن جديدة عليهم، فقد ظهر اهتمام العرب بالمكتبات منذ

1- صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصراتي، ص 15 - 16 - 17.

2- انظر: المرجع السابق نفسه، ص 16.

3- انظر: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، فرانيسكو كورد، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ص 129-132.

4- مجلة البحوث التاريخية، الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد الإيطالي، عمر محمد التومي الشيباني العدد الثاني، 2004، ص 158-159.

القدم، لكونها خزائن للمعرفة ومنهل من مناهل التراث وإبداعات الحاضر "ففي العصر الحديث تنبه العرب لأهمية المكتبات لكونها ضرورة ملحة لكل نهضة علمية وأدبية تسهل على الباحث عمله وتساعد على البحث والإنتاج الفكري".⁽¹⁾ وانتشرت المكتبات قديماً وحديثاً بشكل واسع في الوطن العربي بصفة عامة، وليبيا بصفة خاصة منها: "مكتبة الأوقاف، ومكتبة مصطفى قذافي معروف".⁽²⁾

وفي الوقت الحاضر انتشرت المكتبات في ربوع ليبيا قاطبة، وهي تحوي كل التخصصات على اختلاف أنواعها، وتضم كتب قيمة ومخطوطات نادرة ومؤلفات نفيسة تعين الباحثين على الدراسة والتحصيل، وبهذه الصورة قدمت المكتبات دعماً واضحاً لنشر المعرفة والثقافة بين الناس، وكانت دافعاً ملحوظاً لتقدم وازدهار الحركة الأدبية، والشعرية، والثقافية في ليبيا.

5- الأندية والجمعيات الثقافية ودورها في نهضة الحركة الأدبية:

تُعَدُّ الأندية والجمعيات الثقافية أرضاً خصبة لنشر روح النشاط والتفاني واليقظة في نفوس الناس، وتغرس فيهم القيم النبيلة والمبادئ السامية، وتزودهم بالثقافات التي تساعد على خدمة البلاد والعمل على رقيها وتطورها، فكان للأندية والجمعيات الثقافية دوراً لا يستهان به في دعم وتنشيط الحركة الثقافية على أنها دعامة من دعائم نشر العلم والمعرفة بين الناس في ليبيا. وعرفت الحياة الثقافية في ليبيا نشاطاً مميزاً حيث "ظهرت النوادي والجمعيات الأدبية التي وجد فيها المثقفون والأدباء عموماً فرصة للإفصاح والتعبير عن مشاعرهم، وخدمة القضية الليبية ومنها: النادي الأدبي في طرابلس، وجمعية عمر المختار التي أنشئت في بنغازي عام 1943، والنادي الثقافي".⁽³⁾

1- انظر: في الأدب العربي الحديث، سالم المعوش، ص 73.

2- المرجع السابق نفسه، ص 73.

3- الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، ص 29.

ولم يكن تأسيس الأندية والجمعيات الثقافية حديثة العهد في ليبيا، بل بدأت في الظهور منذ إعلان "الدستور العثماني سنة 1908،"⁽¹⁾ حيث إنه "بحلول سنة 1943 دخلت ليبيا في مرحلة سياسية جديدة في تاريخها، عرفت بالمرحلة الانتقالية: أي انتقال الحكم من المستعمر الإيطالي إلى الإدارة الإنكليزية والتي استمرت سبع سنوات انتهت بإعلان الاستقلال بشكل نهائي سنة 1951، وخلال هذه الفترة الانتقالية عمد الوطنيون والمثقفون الليبيون إلى تأسيس الجمعيات والأندية الثقافية والرياضية، وفي هذا الإطار أنشئت جمعية عمر المختار في مدينة بنغازي في أبريل سنة 1943، هذه الجمعية التي قامت بدور فاعل في تنشيط الحياة الثقافية آنذاك من خلال جعلها الاهتمام بالتعليم أحد بنودها الأساسية، وكذلك عقدها للعديد من الملتقيات الفكرية والأدبية إضافة إلى إصدار جريدة (الوطن)، ومجلة (عمر المختار)"⁽²⁾، كما "يعتبر النادي الأدبي في طرابلس السباق في هذا المجال"،⁽³⁾ فقد اهتم النادي ببعض الأنشطة الفكرية والرياضية، فهي تجمع بحكم تخصصها مجموعات لا بأس بها من المهتمين بشؤون الأدب والفكر وما ينتج عنها من ندوات ثقافية وأمسيات شعرية ومسابقات فكرية ورياضية وكانت هذه النوادي والجمعيات ملتقى أدبياً. "كما استقطبت هذه الأندية بعض رجال الأدب والفكر من خارج ليبيا،"⁽⁴⁾ وهكذا كان لانتشار النوادي الأدبية دور بارز في تشجيع النهضة الفكرية والأدبية في ليبيا.

6- الرحلات العلمية والصلات الثقافية ودورها في نهضة الحركة الأدبية:

إنّ الرحلات العلمية التي قام بها أهل العلم في ليبيا لم تكن وليدة العصر الحديث، بل ترجع إلى عهود قديمة فقد فتحت البلاد باب السفر لأبنائها لينهلوا من معارف تلك البلدان المجاورة التي سافروا إليها كمصر وتونس، للنهل من موارد المعرفة، وإقامة الصلات الثقافية مما زادت أهمية هذه الرحلات في إذكاء الصلات بين جيرانها، على الرغم من كل العراقيل، وبعد المسافات، وصعوبة المواصلات، فقد تكبدوا عناء السفر الطويل من أجل طلب العلم والمعرفة، فإصرارهم على طلبه جعلهم يقاسون كل المتاعب والأزمات، و"لقد استقادت الحياة العلمية

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، الجزء الأول، ص30.

2- المرجع السابق نفسه، ص30.

3- خليفة محمد التليسي ناقداً وأديباً، مصطفى محمد جحيدر، ص43.

4- المرجع السابق نفسه، ص43.

والأدبية في ليبيا من قريبا من عاصمتين للعلم في الشرق والغرب، الأولى مصر بجامعها الأزهر الشريف ... والثانية تونس بجامعها الزيتونة ... فقد اتصلت ليبيا بجيرانها عبر الرحلات العلمية التي كان يقوم بها أدباؤها قاصدين الأزهر تارة، والزيتونة تارة أخرى، وفي بعض الأحيان قاصدين تركيا دار الخلافة العثمانية،⁽¹⁾ وكما يُذكر "أنّ هناك عدداً من الأدباء والفقهاء والشعراء ذهبوا في مهمات مختلفة إلى إسطنبول، وذكر منهم: الشاعر فالح الظاهري، والعالم الفقيه عبد العزيز العيساوي، والمفتي الشاعر محمد كامل بن مصطفى، والشيخ عبد الرحمن البوصيري، واللغوي الشاعر أحمد بن شتوان، هذا بالنسبة إلى تركيا، أمّا بالنسبة إلى البلدان المجاورة فانطلقت من ليبيا رحلات علمية كثيرة ذات طابع شخصي قام بها طلاب العلم؛ إيماناً منهم بضرورة التعليم والتثقيف والتوعية؛ لقهر التخلف الذي خيم على بلادهم"⁽²⁾ في تلك الحقبة، فللرحلات العلمية أثر واضح في إثراء الحركة العلمية في ليبيا مما دفع بها إلى الرّقي والتقدّم.

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، الجزء الأول، ص51.

2- المرجع السابق نفسه، ص52.

الفصل الأول

الأغراض والاتجاهات الشعرية عند السوسي

المبحث الأول

الأغراض والقضايا الشعرية

تنوعت أغراض الشعر الحديث، وتعددت بتعدد القضايا المختلفة التي شملت مختلف نواحي الحياة، وتنوعت الأحداث المؤثرة فسايرها الشعراء، وكتبوها في أشعارهم تعبيراً عن أحاسيسهم، ومشاعرهم، ورغباتهم، وميولهم حيال كل ما يهتمهم من أمور الحياة، وظلت هذه الأغراض الشعرية التقليدية في متناول الشعراء على مختلف العصور فترة طويلة من الزمن، إلى أن تطورت وصارت ذات مضامين جديدة تزامناً مع الحياة العصرية، وعلى أثر هذا التطور الذي شمل الشعر العربي ظهر الابتكار والتجديد في هذه الأغراض تعبيراً عن مظاهر الحياة الجديدة المعاصرة، وعلى الرغم من هذا التطور لا زال الشعراء في العصر الحديث مجارين الأقدمين بما يتماشى مع روح العصر.

والسوسي باعتباره أحد رواد الشعر الحديث من شعراء القرن العشرين في ليبيا برع في تحميل أغراضه الشعرية مضامين عصرية اتسمت بطابع التجديد في معانيها، وألفاظها، وخيالها وفقاً لإحساس الشاعر وقدرته على التعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يراها في عصره معبراً عن واقع الحياة التي يعيشها بجلوها ومرها في قالب فني يتفق مع مشاعره، وأفكاره لتكوين الصورة الشعرية. وقُسمت أغراض الشعر إلى الأغراض التقليدية والأغراض التجديدية المعاصرة، فمن الأغراض التقليدية:

- 1- الوصف. 2- الغزل. 3- المدح. 4- الرثاء. 5- الهجاء.

أما الأغراض التجديدية (المعاصرة) فتتمثل في:

- 1- الوطنية. 2- القومية. 3- الاجتماعية.

الأغراض التقليدية:

الغرض في اللغة: "هو الهدف الذي ينصب فيرمي فيه، والجمع أغراض، وغرضه كذا أي حاجته وبغيته، وفهمت غرضك أي قصدك".⁽¹⁾

وفي الاصطلاح: "يُطلق الغرض وخاصة بصيغة الجمع (الأغراض) على فنون الشعر المعروفة قديماً وهي الهجاء والثناء والمدح والنسيب..."⁽²⁾، والتقليد في معانيه الأدبية العامة يشمل: "محاكاة كل ما تواضع عليه الأدباء قديماً في صور بلاغية وتركيبات أسلوبية توارثها عنهم الأدباء المعاصرون."⁽³⁾

أولاً: الوصف:

الوصف في اللغة: "وَصَفَ الشَّيْءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفاً وَصْفَةً، الوَصْفُ وَصْفُكَ الشَّيْءَ بِجَلِيلَتِهِ وَنَعْتِهِ. وَتَوَاصَفُوا الشَّيْءَ مِنَ الوَصْفِ،"⁽⁴⁾ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.⁽⁵⁾

وفي الاصطلاح: "إنشاء يُراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد، أو شخص، أو إحساس، أو زمان للقارئ، أو المستمع، وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البيئة التي تجري فيها أحداث القصص."⁽⁶⁾

1- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، ب . ت، مادة (غرض)، ج11، ص37.

2- المرجع السابق نفسه، ص35.

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص66.

4- لسان العرب، ابن منظور، مادة (وصف)، ج15، ص224.

5- سورة (الأنبياء)، من الآية (111).

6- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص 238.

والوصف في الأدب: "هو نهجٌ في التعبير يُطابق نهجاً في الإدراك، ويجسد سياقاً في الوعي، مبعثه طبيعة النفس التي تعي ذاتها ومحيطها الطبيعي، وقوامه نقلُ المشاهد والأحداث والحالات، كما تتعكس في مرآة الذات الإنسانية قولاً أو كتابة."⁽¹⁾

ويستمد الشاعر في وصف صورته الشعرية من عناصر الطبيعة المتعددة منها: الجبال، والأنهار، والليل، والنهار، والنجوم، والنخيل، وتعاقب الفصول، والغروب، والطيور، والسماء، القمر، المطر ... وغيرها على سبيل المثال لا الحصر.

وتغنى الشاعر حسن السوسي بوصف الطبيعة ومظاهرها الخلابة البهية، وأخرجها في صورة شعرية محاولاً رسم لوحة من لوحات الطبيعة الليلية في قصيدة (حديث الجبل الأخضر) حيث يقول:

وَتَمَشَّتْ أَسْرَارُهَا فِي الْمَجَالِي	نَفَثَتْ سَحَرَهَا الطَّبِيعَةُ حَوْلِي
فِي الْمُنْحَنِ فِي الشَّلَالِ	فِي الْغَدِيرِ الرِّقَاقِ فِي الْغَابَةِ اللَّفَاءِ
فِي السَّهْلِ مُنْعَرَاً فِي التَّلَالِ ⁽²⁾	فِي النَّسِيمِ اللَّطِيفِ فِي الرَّبْوَةِ الْخَضَاءِ

ففي هذه الأبيات أظهر السوسي صورة طبيعة الجبل الأخضر الساحرة ببهاؤها، وجمالها مصوراً مواطن الجمال في غديره الرقاق، والغابة بأشجارها الكثيفة الملتفة حول بعضها البعض، والمنحنى في تعاريجها، والشلال في تدفق المياه من أعلى الجبل وسيرها في الأعمدة والجداول، ومناخه العليل الذي يطرب الأنفاس ويبهج الأرواح، ورُياه الخضراء التي تكسو السهول والتلال. كما رسم السوسي صورة طبيعة الأرض في تنوع أرضيتها بنباتات وأعشاب وأزهار مختلفة ألوانها، فها هو يصف لنا عناصر الطبيعة وهي كالاتي:

1- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، المجلد الثاني، د. ط، د. ت، ص 1306.

2- ديوان نماذج، حسن السوسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 30.

- وصف السماء: حاول السوسي أن يصف طبيعة النجوم والبدر في سماء واحة الكفرة حينما خط قصيدة بعنوان (الكفرة) التي فيها يقول:

نُجُومُكَ لَيْسَتْ كَالنَّجُومِ بِمُقَلَّتِي وَبَدْرُكَ فِي لَيْلِ التَّمَامِ عَجِيبُ⁽¹⁾

وصف السوسي النجوم والبدر في واحة الكفرة بما يريده لها من بهاء، وجمال فاستغل مخيلته وأطلق عنان خياله ليراها جوهرة متوهجة تتزين بها الكفرة. ففي عينيه ليست كالنجوم التي يراها الجميع ... ولم يكتفِ بل اندهش وتعجب من بدرها في ليل التمام، فهي في نظره أكثر منها في الإضاءة والصفاء مثلها مثل البدر الذي أبدى منه العجب، وعلى الرغم من أن النجوم واحدة في أي مكان يراها فيه الناس، وكذلك البدر إلا أن شاعرنا أراد أن يهمس في أذن السامع أن جمال هذه الواحة يفوق الخيال فنجومها ليست كالنجوم وبدرها بوضوحه وتميزه عجيب.

- وصف الليل: الليل في واحة الكفرة له طابع خاص لذلك نجد الكثير من الناس يجعلونها منتجعاً فسيحاً، تستريح فيه النفوس من ضجيج التمدن. ووصف السوسي الليل في واحة الكفرة قائلاً:

وَلَيْلِكَ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُشْعِشٌ بِهِ وَلَأَنْفَاسِ الشَّمَالِ هُبُوبُ
هَذَاكَ يَزْدَادُ الْحَدِيثُ طَلَاوَةً لِسَمَّارِهِ وَالْأَمْسِيَّاتُ تَطِيبُ⁽²⁾

في هذه الأبيات عبّر السوسي عن طبيعة الليل في واحة الكفرة، فرأى أن في ليلها يكثر السمر واللهو، وفيه يحلو الحديث تحت ضوء القمر المشعشع بأنواره الزاهية حين يتجاذبون فيما بينهم أطراف الحديث بطرائفه ومواقفه المسلية التي تطرب النفس، مفترشين رمالها الناعمة، ونسيمها العليل الذي ينعش الأنفاس المستريحة فيزيدها طيبةً وبهجةً.

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص86.

2- المصدر السابق نفسه، ص87.

- وصف النخيل: النخيل والحقول في واحة الكفرة تُعدّان من أساسيات تلك الواحة، حيث يحيط بها النخيل من كل جانب، وهو كنز من كنوز هذه الواحة المعطاء، وحقولها مصدر لزاد أهل الواحة؛ لذا استلهمها الشاعر واستدعاها ضمن أبيات قصيدة (الكفرة):

وَتَلَكِ النَّخِيلُ الْبَاسِقَاتُ قَوَادِمُ وَتَلَكِ الْحُقُولُ الْوَارِفَاتُ عَسِيبُ⁽¹⁾

وظّف السوسي نخيل الواحة بطوله الشامخ في عنان السماء؛ ليرمز به إلى الأصالة والشموخ والعزة والحرية، حيث تمتد فروعه نحو العلا بطول قامته مرتفعاً عن الأحقاد، كما يصف حقولها الوارفة بالخضرة والنماء، كيف لا وهي تلك الأرض الطيبة المعطاء.

- وصف الطير: تُعدّ الطيور من أهم عناصر الطبيعة التي وصفها الشعراء، فهي تزين تلك الطبيعة الخلابة بصوتها ورقصات معبرة عن جمال الطبيعة في فصل الربيع حينما تكتسي الأرض بساطاً أخضراً هكذا عبّر عنها في قصيدة (ربيعية) قائلاً:

وَطَيْرُهَا مُغَرِّدٌ مُصَفِّرُ

كَأَنَّمَا أَطْرَبَهُ مَا يُبْصِرُ

فَتَارَةً عَلَى الْحَشِيشِ يَنْقُرُ

تَرَاهُ وَهُوَ صَاعِدٌ مُنْحَدِرُ⁽²⁾

وصف السوسي فرحة الطير بقدوم الربيع، فالطيور تعبّر عن فرحتها بقدوم هذا الفصل الجميل ومن هذه التعابير التي يصدرها انبعاث أصوات مسلية للنفس وتقننها بحركات الرقص على البساط الأخضر.

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص 88.

2- ديوان النوافذ، حسن السوسي، ص 126.

- وصف الغروب: وبما أنَّ الغروب ظاهرة كونية، وعنصر من عناصر الطبيعة فقد استغلها الشعراء في قصائدهم، معبرين بها عن نهاية نهار طال أمده، أمّا عن وصفها فبرع السوسي في وصف معالمها حينما قال في قصيدة (ربيعية):

حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ بَدَتْ تَنَحَّدُ

كَأَنَّهَا قُرْصُ نُضَارٍ أَصْفَرُ

أَوْ شُعْلَةٌ مِنَ اللَّظَى تَسْتَعِرُ⁽¹⁾

حيث نراه وصف مشهد غروب الشمس؛ ليظهر جمال أشعتها وحسن منظرها وهي تغرب على البساط الأخضر بألوانها الزاهية الجميلة، أشعة ممزوجة الألوان بين الأصفر والأحمر معتمداً على الصورة التشبيهية لوصفها بأنها شعلة لهب تتلظى، مصوراً منظر الاشتعال لتلاؤ أشعتها في الأفق الرحب، فالغروب يرمز إلى نهاية اليوم وانبعاث يوم جديد في حياة الإنسان.

ثانياً: الغزل:

الغزل في اللغة: "هُوَ حَدِيثُ الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ... يقول ابنُ سَيِّدَه: الْغَزْلُ اللَّهُو مَعَ النِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمَغْزَلُ؛ قَالَ ابن سَيِّدَه:

تَقُولُ لِي الْعَبْرَى الْمُصَابُ حَلِيلُهَا أَيَا مَالِكُ ! هَلْ فِي الظَّعَائِنِ مَغْزَلُ ؟

ومَغَارِلُنَّهُنَّ: مُحَادَثَتُهُنَّ وَمُرَاوَدَتُهُنَّ، وَقَدْ غَارَلَهَا، وَالنَّغْزَلُ: الْكَفُّ لَذَلِكَ وَأُنْشَدَ:

صُلْبُ الْعَصَا جَافٍ عَنِ التَّغْزَلِ⁽²⁾

وفي الاصطلاح: "هو رقيق الشعر في النساء."⁽³⁾

1- ديوان النوافذ، حسن السوسي، ص 129.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة (غزل)، ج11، ص46.

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص147.

والغزل في الاصطلاح الأدبي: "هو غرض من أغراض الشعر الغنائي، موضوعه الحب والهيّام، وقوامه ذكر المرأة ووصف محاسنها الخُلقية، ومفاتنها الجمالية، والتعبير عما يختلج في نفس العاشق من تباريح الهوى، وما يعرض له في حبه من أحداث ومفاجآت، ومن وصل وحرمان، ومن مغامرات وذكریات."⁽¹⁾

أمّا عن شعر السوسي - موضوع الدراسة - فغلب عليه طابع الغزل، وشغل حيّزاً كبيراً من دواوينه على اختلافها، فكانت أغلب قصائده تحمل ذلك الغرض، إلّا أنّ غزله لم يكن غزلاً في عمومهِ يعبر عن حب حقيقي، بل دارت موضوعاته حول مواقف عابرة في حياته؛ ليصور فيها ما يدور في نفسه من مشاعر الحب، والجمال، والوصل، والهجر، واللقاء، والوداع، والفرق. والغزل أدب وجداني يعبر عن أحاسيس في مجالات الحب، وأنّه استحضار سعيد أو شقي ترك في القلب لهفة وفي العين دمة، أمّا آلة ميدانه فهي المرأة، فلا غرو أنّ يتخذ الشعراء من الصلة الطبيعية التي أوجدتها الحياة بين الرجل والمرأة أداة لإقامة بناء الغزل.

فالغزل "ضرب رقيق من التعبير عن العواطف تتناجى به النفوس الشفيفة"،⁽²⁾ ويعبر عن العاطفة النابعة من طبيعة النفس الإنسانية، فنجد الشاعر يتغزل في إحدى محبوباته بأسلوب يجاري عصره تتجلى فيه بساطة الألفاظ ورقتها، وخلوها من التعقيد. ومن تتبنا لشعره نجد غزله لم يقتصر على محبوبة واحدة، بل تعددت محبوباته منها: ليلي، مَيَرَمُ، سعاد، هديل، إلهام، سلوى، ريم، سندس، منى، آمال، فعبر عن المرأة بأسلوب رقيق ولغة جميلة.

لقد لجأ السوسي في غزله بالمرأة إلى تصوير كل ملمح من ملامحها إذ نلاحظ في شعره ما يؤكد هذه الحقيقة ففي قصيدته بعنوان (ليلي) إذ يقول:

1- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص902.
2- مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملاحم أدبه، محمد مسعود جبران، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1984، ص119.

رُبَّ جَيْدٍ أَتْلَعَ صَافٍ كَجَيْدِ الرِّيمِ شَكْلًا
لَمَحَتْ عَيْنَايَ عَفْوًا مِنْهُ مِنْدِيلًا تَذَلَّى
غَالِي الْقِيَمَةِ لَكِنَّ الَّذِي قَدْ ضَمَّ أَغْلَى⁽¹⁾

صوّر الشاعر جَيْدَ محبوبته الذي يُعدّ عضواً من جسدها تصويراً حسيّاً، ليصف طول عنقها إذ هو موطن من مواطن الجمال في المرأة.

وفي قصيدة (مَيْرَمُ) حرص السوسي على تصوير جمال المرأة تصويراً حسيّاً مبرزاً لملامحها الجسدية؛ لإظهار جمالها الشكلي كما تراه عينه، حيث يقول:

هَذَا الْجَمَالُ الْغَامِضُ الْمُبْهَمُ مِنْهُ شُطُورِ الشَّعْرِ تَسْتَلْهُمُ
فَكُلُّ عَضْوٍ فِيهِ مِنْ سِحْرِهَا كَنْزٌ وَمِنْ رِقَّتِهَا مَنْجَمُ
وَهِيَ بَشِيرُ السَّعْدِ فِي وَجْهِهَا لِلْحُسْنِ عَيْدٌ وَالصَّبَا مَوْسَمُ
يَشْغُلُنَا عَنْ كُلِّهَا بَعْضُهَا فَالْجَيْدُ وَالْعَيْنَانِ وَالْمِعْصَمُ⁽²⁾

ففي هذه الأبيات عبّر الشاعر عن جمال المرأة الساحر، وذكر كل تفاصيله في جسدها فجعلها كنزاً، وفي أسلوبها منجماً، وفي وجهها البشر والسعد، والذي كان يشغله عن كامل جسدها هو الجيد والعينان والمعصم والقامة، حيث وظفها في قصيدته واصفاً مفاتنها.

ويرصد السوسي ملمحاً آخرًا من ملامح الجمال عند المرأة ويستغله؛ ليتغزل بها فيقول:

عَلَى خَدِّ أَمَالٍ تَرَبَّعَ خَالُهَا فَرَادَ بِهِ بَيْنَ الْحِسَانِ جَمَالُهَا
تَخَيَّرَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَذْنِ مَوْضِعًا وَأَغْرَاهُ مِنْهَا لَيْنُهَا وَدَلَالُهَا⁽¹⁾

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998، ص243.

2- المصدر السابق نفسه، ص267.

وظّف الشاعر حبة الخال وهي (الشامة) التي تظهر على وجه المرأة تحديداً على خدها -بين العين والأذن- مما يزيده حسناً وجمالاً مضيفاً إلى إغراقه وهيامه في رقتها ودلالها.

أما في قصيدة (سَلَوَى) فيصرّح الشاعر بما تلوح به مشاعره وعواطفه وأحاسيسه الصادقة تجاه المرأة متغزلاً:

أَحْبَبْتُهَا جَهْرًا وَنَجْوَى	وَعَشَقْتُهَا شَكْلًا وَفَخْوَى
حُبِّي لَهَا مِنْ كُلِّ مَا	جَرَّبَتْهُ أَغْتَى وَأَقْوَى
أَنْزَلْتُهَا قَلْبِي فَكَانَ	لَهَا مَذَى رَحْبًا وَمَثْوَى
سَلَوَى لَنَا أَمَلٌ وَلَا	أَمَلٌ لَنَا مِنْ دُونِ سَلَوَى ⁽²⁾

وتجدر الإشارة إلى الصورة حيث جاءت مجسدةً لأحاسيس السوسي المتميم بحبه لمحبيبته (سَلَوَى) سراً وعلانية، وعشقه لها شكلاً ومضموناً، ويظهر قوة حبه لها حين نزلت قلبه، وسرى حبها في دمه وعروقه، فهي الأمل ولا أمل له بدونها.

ثم يمضي السوسي في تصوير معاناته من جفاء الحبيبة وهجرها له مصوراً ما يختلج في أعماقه من حرقة هجرها ونقضها للعهد، مؤكداً في آخر أبياته صدق مشاعره تجاهها فيقول:

عَاهَدْتَنِي وَنَقَضْتَ عَهْدَكَ	وَوَعَدْتَنِي وَنَسَيْتَ وَعْدَكَ
وَقَطَعْتَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ	نَا وَأَطَلْتَ صَدْرَكَ
وَسَمِعْتَ مَا قَالَ الْعَدُو	لُ تَجَنِّيًّا وَمَنْعْتَ رَفْدَكَ

1- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 2004، ص23.

2- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص27.

أَمَلْتُ فِيكَ وَإِنَّمَا قَدْ ضَاعَتْ الْأَمَالُ عِنْدَكَ
وَأَنَا الَّذِي اسْتَوْحَيْتُ مِنْكَ قَصَائِدِي وَنَشَرْتُ حَمْدَكَ
وَأَغَارُ إِنْ مَرَّ النَّسِيْمُ مُعَابِثًا بِاللَّطْفِ خَدَّكَ
وَأَخَافُ مِنْ نَفْسِي عَلَيَّكَ وَمِنْكَ حِينَ تَمُدُّ مَدَّكَ⁽¹⁾

رسم شاعرنا في هذه الأبيات صورةً وجدانية عبّرت عن رقة شعوره، وشدة وجدده، وضياح آماله لما سببته المحبوبة من قطيعة وهجران، كما صرّح عن صدقه في حبه لها، مؤكداً ذلك بقوله: (أغار، أخاف) إضافة إلى استحضاره للأفعال الماضية (نقضت، نسيت، قطعت، منعت، ضاعت) ليدلل على شدة الحسرة والألم من هجران محبوبته لذلك لجأ إلى التكرار وكان متأثراً بشدة الحسرة، والشاعر هنا قد التمس هذا من شعراء عصر ما قبل الإسلام.

ثالثاً: المدح:

المدح في اللغة: "تَقْيِضُ الْهَجَاءِ، وَهُوَ حُسْنُ النَّثَاءِ، يُقَالُ: مَدَحْتُه مِدْحَةً وَاحِدَةً، وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا وَمِدْحَةً."⁽²⁾

وفي الاصطلاح: "ذِكر مناقب شخص أو هيئة اجتماعية، أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني نثراً أو شعراً."⁽³⁾ والمدح في الاصطلاح الأدبي يطلق على ذلك "الغرض الشعري الذي يختص بهذا النوع من الثناء والإطراء الذي يختص به الشاعر إلى ممدوح معين."⁽⁴⁾ و"المدح في الأصل تعبير عن إعجاب المادح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، يتحلى بها

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص 108 .

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة (مدح)، ج14، ص36.

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص189.

4- المصطلح النقدي في نقد الشعر، دراسة لغوية تاريخية نقدية، إدريس الناظوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1984، ص462.

شخص من الأشخاص، أو تتجلى في مآثر قوم، أو في مآثر أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب.⁽¹⁾

وظهر المدح في شعر حسن السوسي بشكل واضح في معظم دواوينه؛ تمجيداً للقيم الثقافية لكثير من الشخصيات الأدبية من بينهم الأديب الكبير خليفة محمد التليسي، والأديب الكبير الأستاذ علي مصطفى المصراتي، والشاعر الأستاذ راشد الزبير السنوسي، والشاعر أحمد الشارف، والشاعر محمد مهدي الجواهري... وغيرهم، ذاكراً الصفات الكريمة والخصال الحميدة لممدوحيه من باب الإعجاب بأفعالهم ومواقفهم الفاضلة لا من باب التكسب وطلب العطايا والمنح والجوائز، بل كان أرفع مستوى من ذلك "لأن قصيدة المدح في الشعر الليبي الحديث تخطت برؤيتها الأبراج العاجية، وحرّاس الأعمدة، وأعداء الحرية، وعبيد المال، وصلف الطغاة، ترفض الغناء للفرد، ومدح الصفوة، وتمجيد الملوك والحكام"⁽²⁾، إلى جانب مدحه لبعض المدن الليبية، كطرابلس، وبنغازي، ودرنة، وسرت، ومصراته ... وغيرها، كما مدح بعض الأقطار العربية المجاورة كتونس، والمغرب، والجزائر، والعراق ... وغيرها.

وحينما حاول السوسي أن يمدح الأديب الكبير خليفة محمد التليسي الذي يُعدّ من الشخصيات الثقافية المرموقة في ليبيا، نراه يشيد بخصاله ومحاسنه في قصيدة كاملة بعنوان (إضافة) فيقول:

مَقَامُكَ فِي النَّفُوسِ لَهُ مَقَامٌ	وَقَدْ رُكَّ لَا يُحِيطُ بِهِ الْكَلَامُ
وَجُهِدَكَ كَالْكَوَاكِبِ لَيْسَ تَخْفَى	وَلَكِنْ يَسْتَضَاءُ بِهَا الظَّلَامُ
فَعَزَمْتُكَ لَا يَكَلَّ وَلَا يُوَانِي	وَلَا اسْتَعَصَى عَلَيْكَ بِهِ مَرَامُ

1- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص1133.

2- الصورة الفنية في شعر علي الفزاني، مسعود عبد الله مسعود، دار شموع الثقافة، الطبعة الأولى، 2010، ص51.

وَحَرَفُكَ حَيْنَ تَشْحَذُهُ وَتَرْمِي تَقْصِرُ عَنْ مَرَامِيهِ السَّهَامِ⁽¹⁾

تتحدث أهم أبيات هذه القصيدة عن مكانة الأديب الكبير خليفة محمد التليسي الثقافية، وجهوده الثاقبة في إثرائها، فهو رمز من رموز الحركة الأدبية في ليبيا، ورائد من روادها الأكابر، فقد كرس جهوده من أجل العلم والمعرفة، فظهر واضحاً في عطائه المتواصل دون انقطاع حيث أتحفنا بأعماله المتميزة في دعم وتنمية الثقافة في ليبيا والوطن العربي.

وفي هذا المقام جاء مدح السوسي للمعلم في عيده فنسج قصيدة (باقة حب) يقول فيها:

مَقَامُكُمْ فَوْقَ تَقْرِيطِي وَتَمَجِيدِي وَقَدَرُكُمْ فَوْقَ إِنْشَادِي وَتَرْدِيدِي
لَكُمْ أَكْبَنُ اغْتِرَازًا لَا حُدُودَ لَهُ لِأَنَّ حُبِّي فِيكُمْ غَيْرُ مَحْدُودِ
أَنْتُمْ رِفَاقُ طَرِيقِي غَرْسُكُمْ فَرْحِي وَعِيدُكُمْ كُلُّمَا وَافَاكُمْ عِيدِي⁽²⁾

تتضمن هذه الأبيات ألفاظ المدح تمجيداً للمعلم في عيده؛ وفاءً وتقديراً لعطائه المتواصل دون كلل أو ملل فاختر السوسي في مدحه كلمات تليق بمقام المعلم المخلص لعمله وعلمه، والوفي لمسؤوليته التعليمية والتربوية، فبيّن تمجيد وتعظيم شأن المعلم بما يستحقه من احترام وتقدير واعتراف له بالجميل، فكان الساعي الأول في نشر العلم والمعرفة، وتكريس المبادئ الأخلاقية السامية بين الناشئة.

رابعاً: الرثاء:

الرثاء في اللغة: "رَثَاءٌ وَرَثَاتُ الرَّجُلِ رَثًا: مَدَحَتْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ،... وَرَثَاتِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا، كَذَلِكَ، وَهِيَ الْمَرْتِنَةُ: وَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: رَثَاتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ، وَهَمَزَتْ أَرَادَتْ رَثِيئَتَهُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ:

1- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص263.

2- المصدر السابق نفسه، ص175.

وَأَصْلُهُ غَيْرُ مَهْمُوزٍ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهَذَا مِنَ الْمَرْأَةِ عَلَى التَّوَهُّمِ لِأَنَّهَا رَأَتْهُمْ يَقُولُونَ: رَثْتُ اللَّبَنَ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الْمَرْثِيَةَ مِنْهَا⁽¹⁾، وقولهم: "من رثى الميت بالشعر إذا قال فيه مرثية، وترثي الميت ندبه والترحم عليه."⁽²⁾

وفي الاصطلاح: "البكاء على الميت وَعَدُّ مناقبه شعراً"⁽³⁾، فالرثاء هو: "غرض من أغراض الشعر الغنائي، يعبر الشاعر فيه عن مشاعر الحزن واللوعة التي تنتابه لغياب عزيز فُجع بفقده، أو لكارثة تنزل بأمة، أو شعب، أو دولة."⁽⁴⁾

أمّا عن شعر السوسي فجاءت معظم قصائد الرثاء نابعةً من ذاته، معبرةً عن صدق عواطفه ومشاعره تجاه من رثاهم فتعدد مناقبهم ومحاسنهم. ومن تتبنا لقصائد السوسي على اختلاف دواوينه وجدنا عدداً كبيراً من قصائد الرثاء متناثرة في شعره، وكانت أغلبها في رثاء شعراء زمانه الذين وفاهم الأجل، منهم الشاعر أحمد رفيق المهدي، وعلي عبد السلام الفزاني، وإبراهيم الأسطى عمر، وحسين الإحلافي وغيرهم الكثير، مع تسجيل بعض القصائد التي يرثي فيها بعض الشعراء العرب ومنهم: الشاعر رشيد سليم الخوري، وأبي القاسم الشابي، كما رثى بعض الأساتذة من بينهم الأستاذ محمد مصطفى بازامة، وخليفة الفاخري، وحامد إبراهيم الشويهي، ويمضي السوسي برثائه للمجاهد أبي عمر الفضيل، والملك محمد الخامس.

ونعى السوسي الكثير من الشخصيات الأدبية الليبية من بينهم الشاعر أحمد رفيق المهدي (شاعر الوطن الكبير) الذي اعتمد في رثائه على تبيان مكانته في الساحة الشعرية مقرونة

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (رثاء)، ج6، ص100.

2- المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناظوري، ص185.

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص99.

4- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص663.

بمسيرة تجربته الشعرية التي كانت واضحة المعالم إلى جانب إظهار محاسنه وفضائله ومناقبه؛

لهذا ذرف السوسي دموع الحزن والأسى على فقدانه، فرثاه بقوله:

يَبْكُونُ مِنْ أَعْلَامٍ لِنَبِيٍّ شَاعِرًا	قَلَّتْ نَظَائِرُهُ وَعَزَّ قَرِينُهُ
يَا شَاعِرَ الْوَطَنِ الْكَبِيرِ وَمَنْ لَهُ	خَضَعَ الْقَرِيضُ وَطَاوَعَتْهُ فُؤُؤُهُ
فَقَدَتْ بِكَ الْوَطَنِيَّةُ الطُّوْدُ الَّذِي	لِبِلَادِهِ حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ
مِنْ أَجْلِهَا طَافَ الْبِلَادَ مُهَاجِرًا	وَلَأَجْلِهَا جَفَتِ الْمَنَامُ جُفُؤُهُ
غَنَى بِهَا فَإِذَا الْأَصَمُ مُسَامِعُ	وَإِذَا الصَّرِيرُ تَرَى الطَّرِيقَ عِيُونُهُ
قَدْ كَانَ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ وَقَاؤُهُ	وَلَا أَرْضِهِ وَهُوَ الْغَرِيبُ حَنِينُهُ
وَلِقُومِهِ إِخْلَاصُهُ وَوِدَادُهُ	وَلِنَفْسِهِ آلاَمُهُ وَشَجُونُهُ
رَمَنُ الشَّبَابِ قَضِيئُهُ مُتَنَقِّلًا	شَأْنُ الْمُسَافِرِ لَا تَقْرُ سَفِينُهُ
تَبْكِي عَلَى الْوَطَنِ الَّذِي مِنْ دُونِهِ	قَامَ الْعَدُوُّ وَطَوَّقَتْهُ حُصُونُهُ
نَمُ فِي ثَرَاهِ الْيَوْمَ نَوْمَةً آمِنٍ	أَنْتَ الَّذِي فَاضَتْ عَلَيْهِ عِيُونُهُ ⁽¹⁾

ونضيف في هذا المقام إلى ما قاله السوسي في حق الشاعر (علي الفزاني) حين وافاه الأجل،

مُعدداً مآثر الفقيد ومحاسنه بإظهار الفجيرة والحزن عليه، مكتوباً بنار الأسى والحزن واللوعة في

قصيدة (إلى رحاب الله) حيث يقول:

تَبَقَى وَإِنْ غَادَرْتَ فِي الْوَجْدَانِ	وَتَظَلُّ فِي الْأَفْوَهِ وَالْأَذَانِ
وَيَظَلُّ صَوْتُكَ كَالْهَزِيمِ مُجَلْجَلًا	وَتَظَلُّ فِي الْأَشْدَاءِ وَالْأَلْحَانِ
مَنْ قَالَ إِنَّ أَخَا الْمَوَاهِبِ يَنْتَهِي	الذِّكْرُ بَعْدَ الْمَوْتِ عُمُرٌ ثَانِ
سَتَعُودُ فِي لَحْنِ الْقَصَائِدِ مَقْطَعًا	وَتَعُودُ فِي الْإِيْقَاعِ وَالْأَوْزَانِ
وَتَعُودُ فِي سَمَرِ الْأَحِبَّةِ قِصَّةً	تُرَوَّى وَقَائِعُهَا بِأَلْفِ لِسَانِ

1- ديوان الريبك التائه، حسن السوسي، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1963، ص66.

وَتَظَلُّ مَهْمَا غَبَتْ رَسْمًا خَالِدًا هُوَ رَسْمٌ ذَلِكَ الشَّاعِرِ الْفَزَّانِي
غَادَرَتْ مَأْسُوفًا عَلَيْكَ وَبَعْضُهُمْ يُطَوِّى إِذَا مَا غَابَ فِي النَّسِيَانِ
مَنْ لَمْ يُقْضِ دَمْعًا عَلَيْكَ قَدْ اكْتَوَى بِأَسَى الْفِرَاقِ وَلَوْعَةَ الْأَحْزَانِ
وَمُصَابٌ مِثْلِكَ لَا يُقَاسُ بغيرِهِ بَعْضُ الْخُطُوبِ ثَقِيلًا الْأَوْزَانِ⁽¹⁾

كما نرى الشاعر التونسي المعروف أبا القاسم الشابي في قصيدته (الشابية) فيشكو ألم الفارقة وحرقة الفقد، فيقول:

تأملْ فَهَذَا مَقَامُ الْعَبْرِ وَشَاهِدْ فَهَذَا مَجَالُ النَّظَرِ
لَتَعْرِفَ كَيْفَ تَغُورُ النُّجُومُ وَتَعْلَمَ كَيْفَ يَفِيضُ النَّهَرُ
وَأَنَّ الْمَغَارَاتِ مَلَقَى الْكُؤُوزِ وَأَنَّ الْمَحَارَاتِ مَثْوَى الدُّرَرِ
وَالْأَفْأَمَرُ هَذِي الْوُفُودِ وَالْأَفْأَمَا شَأْنُ هَذِي الزُّمَرِ؟
فَهَذَا الْمَقَامُ بِبَعْضِ الْغُيُونِ ضَرِيحٌ بِهِ جَسَدٌ مُنْقَبِرُ
وَهَذَا الْمَقَامُ بِبَعْضِ الْقُلُوبِ شُعَاعٌ بِهِ تُسْتَضَاءُ الْحُفَرُ⁽²⁾

ويمضي شاعرنا حسن السوسي بعد ذلك مستعرضاً في الغرض نفسه في رثاء أولئك المجاهدين والمناضلين العظام الذين قدموا كل ما في وسعهم دفاعاً عن أوطانهم، والذي من بينهم الشيخ (أبو عمر الفضيل) الذي يُعَدُّ من المجاهدين الذين خاضوا غمار تلك الحروب في مقاومة الإيطاليين إبان احتلالهم لليبيا فيقول راثياً:

سَيَهْتَفُ بِاسْمِهِ جِيلٌ وَجِيلٌ وَيُخَالِدُ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ
بِرَغْمِ الْمَوْتِ سَوْفَ يَظَلُّ حَيًّا يُقَرِّظُ فِعْلُهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ
تَرَدَّدَهُ ذَوَاكِرُنَا فَيَشُدُّو بِهِ الصُّبْحُ الْمُنَوَّرُ وَالْأَصِيلُ

1- الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص225.

2- تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص85-86.

إِذَا ذُكِرَ الْجِهَادُ يُلَوِّحُ سَيْفًا لَهُ مِنْ عَزْمِهِ حَدٌّ صَقِيلٌ⁽¹⁾

يبين السوسي في هذه الأبيات حزنه الشديد على الشهيد (أبي عمر الفضيل) الذي سقط في ساحة الشرف والبطولة عند تصديه لقوى الاحتلال، وعلى الرغم من كبر سنه لم يركن إلى الذل والمهانة، بل قاوم أعداءه بكل عزم وإصرار؛ وبهذا فذكره هزت مشاعر حزنه الذي تغلغل في أعماق نفسه فرثاه بما يستحقه الشجعان.

وفي قصيدة أخرى يرثي فيها (محمد الخامس) نراه يتألم ويتوجع في رثائه لملك المغرب مبرزاً بعض مآثره وصفاته من القوة والشجاعة والأقدام في مواجهة خصمه، إلى جانب وفائه وإخلاصه لشعبه، فرثاه بلوعة وحرقة وألم بقوله:

تَقَوَّضَ مِنْ حُصُونِ الشَّرْقِ حِصْنُ	وَزُلْزَلَ مِنْ صُرُوحِ الدِّينِ رُكْنُ
وَأَعْمَدَ مِنْ سُيُوفِ الْحَقِّ سَيْفُ	وَأُخْفِتَ فِي فَمِ الْعَلِيَاءِ لَحْنُ
نَعَى النَّاعِي لَنَا مَلِكًا كَرِيمًا	فَلَمْ تَمْسِكْ عَنِ الْإِزْسَالِ عَيْنُ
وَنَاحَ الْمَغْرِبُ الْأَقْصَى عَلَيْهِ	فُرِيَّ عَرَفَتْ مَآثِرَهُ وَمُذُنُ
وَأَدْمَى مُهْجَةَ الْإِسْلَامِ خَطْبُ	جَلِيلٍ وَاعْتَرَاهُ أَسَى وَحُزْنُ ⁽²⁾

بين شاعرنا في هذه الأبيات ما كان عليه الشعب المغربي والعربي، ففاضت دموعه حزناً وأسى وحسرة ولوعة على فقدان (الملك محمد الخامس) لما له من مكانة بين أبناء شعبه.

خامساً: الهجاء:

الهجاء في اللغة: "هَجَاهُ يَهْجُوهُ هَجْواً وَهَجَاءً وَتَهْجَاءً، مَمْدُودٌ: شَتَمَهُ بِالشَّعْرِ، وَهُوَ خِلَافُ

الْمَدْحِ."⁽³⁾

1- ديوان صدى السنين، حسن السوسي، الناشر مجلس الثقافة العام، 2006، ص 163-164.

2- ديوان الركب التائه، حسن السوسي، ص 54.

3- لسان العرب، ابن منظور، مادة (هَجَاء)، ج 15، ص 32.

وفي الاصطلاح: "هو تعديد معايب الإنسان أي ذم الإنسان، وبهذا فهو نقيض المدح."⁽¹⁾

والهجاء في الأدب هو "غرض من أغراض الشعر يقوم على تقبيح صورة فردٍ أو جماعة، أو عادة من العادات، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود، وهو تعبير عن احتقار الشاعر للمهجو والرغبة في الحط من شأنه، والهزء به ومسخه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً."⁽²⁾

وكان غرض الهجاء من الأغراض الشعرية واسعة الانتشار بين الشعراء على اختلاف العصور الأدبية؛ لمكانته الكبيرة عندهم، فمن خلاله يرفع من شأن أناس ويقلل من شأن آخرين، مما نتج عنه نيل من أعراض الناس وهتك لحرمتهم، أمّا في العصر الحديث فاستهجن هذا الغرض لما يحمله من معايب تنافي تعاليم ديننا الحنيف فتحاشوه، إلّا ما كان يدور حول هجاء العدو. فشعر الهجاء عند السوسي كان قليلاً في دواوينه على اختلافها، أمّا ما ورد منها في شعره فكان أحد النوعين: هجاء سياسي، وهجاء شخصي.

النوع الأول: الهجاء السياسي: لم يتوان شاعرنا في هجائه للأعداء فقد هجا القوات الأمريكية الغازية التي احتلت العراق في قصيدته (الكوبوي) حيث يقول:

عَرَفْنَا أَنْكُمْ هَمَجٌ	وَأَنْ خَضَامَكُمْ لَجَجٌ
وَمَلَأْ قُلُوبَكُمْ حُرْدٌ	وَمَلَأْ رُؤُوسَكُمْ هَوَجٌ
سَلَكْتُمْ مَسْلَكَ "الْكَأَوْبِي"	إِذَا أَعَيَتْكُمْ الْحُجَجُ ⁽³⁾

يطلق السوسي في هذه الأبيات صفات عديدة هجاء للأمريكيين، فيصفهم أثناء حرب العراق بالهمج والجنباء والحمقى، فهم لا يستطيعون مواجهة الأبطال وجهاً لوجه، بل سلكوا مسلك

1- المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري، ص498.

2- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص1281.

3- ديوان إشارات، حسن السوسي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، 2008، ص59.

(الكوبوي) الذي يقصد الشاعر من ورائه (رعاة البقر)، فهذا يُعدّ من الأوصاف الساخرة؛ لطيشهم وحمافتهم وخداعهم.

وهكذا استمر شاعرنا في هجائه للعدو في غزوه للعراق، فقال قصيدة (لا تحلم) التي يقول فيها:

عَرَفْنَا أَنَّكُمْ هَمَلٌ	وَأَنْ خِصَامَكُمْ جَدَلٌ
وَأَنْ صَوَابَكُمْ خَطَأٌ	وَأَنْ نَجَاحَكُمْ فَشَلٌ
لَجَأْتُمْ لِلرَّهَانِ الصَّغْبِ	إِذْ أَعَيْتَكُمْ الْحَيْلُ
فَسَوْفَ تَرَوْنَ يَا (كاوبوي)	يَا شُدَّادُ يَا سَفَلُ
فَبُعْدَادُ التِّي مِنْ حَوِ	لَهَا حَامَتْ لَنَا مُقَلٌ ⁽¹⁾

يتضح من قراءة الأبيات أنّ السوسي بدأ هجاءه لهؤلاء الأعداء مصوراً عجزهم وضعفهم وجبنهم وفشلهم في عدم قدرتهم على التصدي لمواجهة أبطال العراق، ثم انتقل في البيت الرابع إلى هجائه منادياً يا (كاوبوي)، قاصداً بها السخرية والتي تعني (رعاة البقر)، راسماً صورة جبنهم وخيانتهم في الحرب.

النوع الثاني: الهجاء الشخصي: يتضمن هذا النوع هجاءه لمطرب لا يجيد صوت الغناء، وكان صوته كالنواح في قصيدة بعنوان (مطرب) قائلاً:

لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا يَنْوُحُ فَلَمْ يَكُنْ	عَجَباً فَهَذَا الصَّوْتُ صَوْتُ نَوَاحٍ
لَكُنَّهُمْ قَالُوا يُغَنِّي إِنْمَا	بِضَجِّجٍ عَاصِفَةٍ وَقَصْفِ رِيَّاحٍ
فَالْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْغِنَاءِ وَبَيْنَ مَا	هُوَ مُسَمِّعٌ كَاللَّيْلِ وَالْإِضْبَاحِ
يَا لَيْتَهُ مَا قَالَ آه فَصَوْتُهُ	يُذِمِّي الْقُلُوبَ كَمُذِيَةِ الذَّبَّاحِ ⁽²⁾

1- ديوان صدى السنين، حسن السوسي، ص148.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص299.

كانت هذه الصورة الطريفة التي رسمها السوسي في هذه الأبيات إحدى صور السخرية التي بثها في قصائد عدة؛ رغبة في الضحك والفكاهة فنراه مستغلاً صوت المطرب الذي لا يجيد صوت الغناء فكان صوته كالنواح، فلا يبعث في النفوس الطرب ولا يصل حسه إلى الوجدان، بل كأنّ صوته ضجيج العاصفة، وقصف رياح يدمي القلوب.

الأغراض التجديدية المعاصرة:

أولاً: القضايا الوطنية

الوطن هو تلك الرقعة الجغرافية التي يعيش عليها الإنسان، فيها درج وترعرع، وعاش طفولته وصباه، مستقراً وآمناً بين أحضانها الدافئة، وينهل من خيراتها الوفيرة؛ ولذلك فمن الطبيعي للإنسان أنْ يعشق وطنه الذي على أرضه نشأ وتربى، فمحبتة صادقة نابعة من وجدانه، تجري في العروق مجرى الدم في الوريد، وترسخت في القلوب كترسخ الجبال على البطحاء لا تززعها أعتى الأعاصير، والسيول العارمة، فهو شعور عاطفي جيش تملؤه الغيرة والحماسة للذود عنه، وبذل النفس والنفيس في سبيله ليحيا الإنسان حياة العزة والكرامة على ترابه الطاهر، "فحب الوطن مزروع في قلب كل وطني يعشق وطنه ويجعل نفسه فداءً له، ويلتزم بكل قضاياها، ويناضل من أجلها، يتغنى بأمجاد هذا الوطن وبنضال أجداده البواسل الذين سبقوه في هذا المضمار".⁽¹⁾ وشاعرنا له قصائد عدة في الوطن، فيها يتغنى بحبه وتشربت روحه قضاياها فالترزم بها وافتخر بأمجاده وجهاده؛ تذكيراً لأبناء وطنه بتلك الأمجاد كي تستنهض الهمم، وتسترجع الكرامة والعزة؛ ولذا تغنى بأعياده وجماله، وأفراحه وهوائه، ففي قصيدة (صورة) يعبر السوسي عن تفجر مشاعره وعواطفه تجاه وطنه الغالي (ليبيا) فيقول:

1- الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأجل، ص245.

سَأْخُوِيْكَ يَا مَوْطِنِيْ صُوْرَةً تُلَوِّئُهَا ذَكَرِيَّاتُ الصِّبَا

وَيَبْقَى غَرَامُكَ فِي خَاطِرِي هَوًى غَامِراً وَشَدًى طَيِّباً⁽¹⁾

تظهر قوة العاطفة في هاذين البيتين من خلال الفعل (سَأْخُوِيْكَ)؛ ليدلّل به على عمق عاطفته وقوة وطنيته، أمّا الفعل (يَبْقَى) فدلّ على استمرار حبه للوطن في نفسه حباً تملؤه الذكريات الطيبة طيب رائحة المسك. ويرفض السوسي حياة الذل والهوان على أرضه فيقول:

فَيَا شَعْبَنَا الْغَالِي فِدَى لَكَ كُلُّ مَنْ سَعَى سَعِيَةً لِلنَّيْلِ مِنْكَ وَمَنْ رَمَى

فَعِشْ فَوْقَ أَرْضٍ أَرْضُكَ حَمِيَّةً مُبَارَكَةً قَدْ زَادَهَا اللَّهُ أَنْعَمًا

شَرِيعَةً هَذَا الْعَصْرِ قَانُونُ غَابَةِ فَكُنْ فِيهِ صَقْرًا أَوْ فَكُنْ فِيهِ ضَيْغَمًا

حِمَى لَكَ مَيْمُونُ الطَّوَالِعِ لَمْ يَزَلْ يَرَى الْعَيْشَ فِي ظِلِّ الْهَوَانِ مُدْمَمًا

فَعِشْ فِيهِ مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ رَافِعًا جَبِينَكَ نَحْوَ الشَّمْسِ وَالنَّجْمِ وَالسَّمَاءِ⁽²⁾

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات أبناء وطنه ويوصيهم بأن يرفضوا حياة الذل والهوان، ويتمسكوا بالحرية والعزة والكرامة فوق أرضهم التي أرضعتهم الأمن والأمان، وأنعمت عليهم بخيراتها، وينفروهم من حياة الذل والمهانة، ويدعوهم إلى إظهار القوة والعزم والحماسة للدفاع عن أرضهم وعرضهم، موظفًا (الصقر) ليدلّل به دلالة على علو مركزه ورفعة شأنه، فهو لا يعيش إلا في الأماكن المرتفعة بارتفاع قدره، وأمّا استدعاء (الضيف) فيدلّ على القوة والشجاعة التي مكنته من النيل من خصمه، فظلت مكانته مهابة ومصونة. وجاء تكراره للفعل الأمر (فعش) ليؤكد على تمسك الشاعر بهذه الأرض ليحيا عليها الإنسان حياة السعادة والاستقرار الكريم رافعاً جبينه، والجبين يحمل دلالات الشموخ والرفعة والعزة، رامزاً إلى علو مكانة الوطن في قلوبهم بالشمس

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1987، ص123.

2- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص134-135.

والنجم والسماء. ويواصل شاعرنا في تعبيره عن تغلغل حب الوطن في قلبه، مما دفعه إلى بذل الغالي والنفيس في سبيله، فلهذا الوطن حق علينا أن ندافع عنه إذ يقول:

لِهَذِهِ الْأَرْضِ حَقٌّ فِي ضَمَائِرِنَا وَحُرْمَةٌ دُونَهَا الْأَرْوَاحُ تُبْتَذَلُ⁽¹⁾

يؤكد الشاعر في هذا البيت على مسيرة النضال لتحرير الأرض من دنس الاستعمار الإيطالي الذي قتل وشرّد وعذّب الليبيين في وطنهم، فمن أجله ترخص الدماء والأرواح من أجل تحقيق النصر والحياة الكريمة ولا يرضى الإهانة لها.

ولم يهمل شاعرنا فضل المجاهدين الذين دفعوا أرواحهم فداءً في سبيل الدفاع عن الوطن ونصرته، ففي قصيدة (أبو عمر الفضيل) يقول:

دَعَا دَاعِي الْحِمَى فَسَعَى إِلَيْهِ وَلَمْ يَقْعِدْهُ جَبْنٌ أَوْ خُمُولُ
يُؤَاوِرُهُ رِجَالَاتُ حَدَاهُمْ إِلَى سَاحَاتِهَا غَرَضٌ نَبِيلُ
شَيْوُخٌ لَيْسَ تَرْهَبُهَا الْمَنَايَا وَشَبَّانٌ كَأَنَّهُمْ كُهُولُ
عَزَائِمُهُمْ كَأَرْضِهِمْ صِلَابٌ وَعَدَّتْهُمْ وَزَادَهُمْ قَائِلُ
لِإِخْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ سَعَوْا فَنَالُوا حَيَاةً لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ
لَقَدْ نَذَرُوا لِمُوطِنِهِمْ نُذُورًا بِهَا أَوْفُوا كَمَا أَوْفَى (الْفَضِيلُ)⁽²⁾

نلمح استدعاء السوسي للمجاهد (أبو عمر الفضيل) أحد رموز الجهاد الليبي في المنطقة الشرقية بالجل الأخر الذي سطر في جهاده ملاحم بطولية خلّدها التاريخ في جهاده ضد الاستعمار الإيطالي على ليبيا.

كما يعبر الشاعر حسن السوسي عن غضبه من الأعمال الهمجية التي يمارسها العدو المستبد على الشعوب الآمنة في أوطانها، فيزوع أرضنا، ويخنق أنفاسنا، ويرعب أطفالنا، ويزرع نيامنا،

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص37.

2- ديوان صدى السنين، حسن السوسي، ص165.

ويرسل الصواريخ من البوارج بأصواتها المدوية؛ ليحقق أحلامه في السيطرة على الكون ليملك
الأرض والسماء، فمما لا شك فيه أنَّ الأعمال الهمجية تزعزع الاستقرار والأمان عند الإنسان في
الكون، فعبر الشاعر عن همجيتهم بقوله:

لَخَقَّ أَنْفَاسُ الْحَيَاةِ وَيَكْتَمَا	أَبَى الْغَرْبُ إِلَّا أَنْ يُرَوِّعَ أَرْضَنَا
لِيُرْعَبَ أَطْفَالًا وَيُزْعَجَ نَوْمَا	يُطِلُّ عَلَيْنَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
تُحَقِّقُ مِنْ أَحْلَامِهِ مَا تَوْهَّمَا	وَيُرْسِلُ آلَاتِ الدَّمَارِ لَعْلَهَا
وَحِينًا إِذَا بَثَّ الْكَلَامَ الْمُسَمَّمَا	فَحِينًا بِقُصْفٍ لِلْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
وَيَمْتَلِكُ الْإِنْسَانَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ ⁽¹⁾	يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَعْمِرَ الْكَوْنَ كُلَّهُ

ثانياً: القضايا القومية

قصائد السوسي مفعمة بالقضايا القومية، فقد شعر بمشاعر إخوته العرب في كل رقعة من
رقاع الوطن العربي دون استثناء، فنراه يعبر عن رغبته الملحة في الوحدة التي يرى فيها قوة وعزة
وشموخ الأمة العربية بأسرها، فيها نلم الشمل ونوحد الصف، ونعالج الفرقة التي هي سبب من
أسباب ضعف العرب وهزيمتهم على مرّ العصور، فما يعانيه أشقاؤنا بالأمس واليوم في كلٍّ من
فلسطين والعراق جراء التجزئة والتمزق والفرقة، بالإضافة إلى الذل الذي لحق بزعماء الأمة
وحكامها الذين يعتلون المناصب؛ خوفاً على مناصبهم. وتألم الشاعر حسن السوسي -كغيره من
الشعراء- لما رآه من مشاهد الدمار، والتشريد، والتعذيب، والقتل، والأسر لأبناء العرب في
فلسطين والعراق من قبل بني صهيون الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة ولا الشفقة، بل كان شغلهم
الشاغل الدمار، والخراب، والقتل، وإبادة العرب، فلم يفرقوا بين طفل ضعيف، وشيخ كبير عاجز،
ولا بين رجل وامرأة، وعن تلك المشاهد يقول السوسي:

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص133.

وَأَنْ يُؤَبِّنَ طِفْلاً ضَمَّ وَالِدُهُ رُفَاتُهُ وَبَكَى كَالطِّفْلِ مُتَحَبِّبَا

رَاغُوهُ فَارْتَاعَ وَاسْتَدْرَى بِوَالِدِهِ لَكْنُهُ عَنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا اخْتَجَبَا⁽¹⁾

رسم الشاعر صورة مروّعة ومرعبة لمشهد من مشاهد العنف في فلسطين عندما قتل الصهاينة الطفل البريء (محمد الدرة) حينما رُوع فاحتفى خلف أبيه، ولكن لا مرد لقضاء الله حتى ضم والده وفاة ابنه وهو باكياً من هول الموقف.

كما عبّر الشاعر عن تحدي الشعب الفلسطيني لعدوه الغاشم الذي سلب أرضه، ونهب خيراته، مع هذا كله لن تموت في نفس هذا الشعب قوة الإصرار والعزيمة لمجابهة خصمهم، وهم على ثقة بالنصر، ومهما استخدم هذا العدو من أسلحة متقدمة ومتطورة من صواريخ ومدافع فلن تهد إرادتهم الصلبة القوية ومشاعرهم الصادقة تجاهه، فالنصر لا يكون إلا لصاحب الحق، فيقول:

لَا يُرْهِبُ الْبَغِيَّ وَالطُّغْيَانُ مَنْ عَقَدُوا عَقْداً مَعَ اللَّهِ إِلَّا يَنْكُضُوا هَرَبَا

وَلَا يُمَارُونَ مُحْتَلّاً عَلَى وَطَنِ رَأَوْهُ فِيمَا رَأَوْا أَمَّا لَهُ وَأَبَا

الْحَقُّ فَوْقَ الَّذِي خَالَوْهُ يُرْهِبُهُمْ لَا يُرْهِبُ الْبَاطِلُ الَّذِي وَجَبَا⁽²⁾

وفي قصيدة (لا تأس) يعترض شاعرنا على تخاذل الأمة عندما كانت العراق تستجد بما حولها من العرب والعجم؛ لدفع ما يحرق بها من أخطار:

وَأَيْنَ الْعَرَبُ أَيْنَ الْعَرَبُ أَيْنَ الْعَرَبُ أَيْنَ هُمْ ؟

وَلَا مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهَا فَلَا عَرَبٌ وَلَا عَجْمٌ⁽³⁾

فأين العرب وأين هم هكذا عبّر الشاعر عن حالة الصمت الرهيب الذي خيم على الأمة، في حين أنّ هذه المواقف تتطلب الصمود والوقوف في وجه الاستعمار لردعه، فكيف للعرب أن

1- الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص165.

2- المصدر السابق نفسه، ص166.

3- صدى السنين، حسن السوسي، ص160.

يتجاهلوا أمجاد أمتهم وبطولاتها غارقين في سباتهم العميق، وهذا ما جعل السوسي يؤكد حقيقة استسلامهم لظلم الاستعمار.

كما صوّر الشاعر صمود (بغداد) وهي واقفة بشموخها في وجه المستعمر البغيض، حيث يقول في قصيدة (الكاوبوي):

سَتَصُمُدٌ وَهِيَ وَاقِفَةٌ وَتُخْلِدُ مَجْدَهَا الْحَجَجُ
يُدَافِعُ نَخْلَهَا عَنْهَا وَأَبْنَاءُ لَهَا بُلُجُ
وَتَمْضِي أَنْتَ مَذْمُومًا وَتَغْمِرُ جَيْشَكَ اللَّجَجُ⁽¹⁾

فها هو يؤكد صمود أبناء الشعب العراقي في الدفاع عن وطنهم، فهم أصحاب الحق في الدفاع عن أرضهم وعرضهم، كما دافع أجدادهم من قبلهم، فلن يتناسوا أمجاد وبطولات أجدادهم التي سجلها التاريخ بأحرف من نور، وبقوة الإرادة تتحرر الأوطان فتطرد من أرضها الدخيل مذموماً ذليلاً.

ثالثاً: القضايا الاجتماعية

تناول الشعراء القضايا الاجتماعية في مختلف نواحي الحياة؛ لذا طرق الشاعر حسن السوسي العديد من الموضوعات الاجتماعية ذات الصلة بحياة الإنسان داخل مجتمعه الذي يعيش فيه؛ توخياً لمعالجة الكثير من المشاكل التي يعاني منها أبناء مجتمعه، فلم تكن المشكلات الاجتماعية مشكلات خاصة أو فردية فحسب، بل هي مشكلات تضم عامة طبقات المجتمع بأكمله، ولم يقصر السوسي قصائده على طبقة معينة من المجتمع، بل تناول مشاكل وهموم الناس جميعاً؛ من أجل النهوض بالمجتمع ساعياً لإزالة الفوارق الاجتماعية بين الناس داخل المحيط الاجتماعي.

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص 61.

فعن مشكلة الجوع -مثلاً- بدأ السوسي بتصوير الواقع الذي فرضه الاستعمار على الإنسان حينما كان يتحكم في قوته في قصيدة (الرغيف) قائلاً:

فَإِذَا عَزَّ فَالْعَزِيزُ ذَلِيلٌ	كُلُّ طَغْيَانِهِ غَدَا أَوْهَامَا
عَرَفُوا سِرَّهُ فَكَانَ سِلَاحاً	لَا يُبَارِي وَمَطْمَحاً لَا يُسَامَى
جَعَلَ اللَّهُ لِلْوَرَى مِنْهُ رِزْقاً	حَسَناً كَانَ لِلْجُسُومِ قِوَامَا
فَأَصَارَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ قُيُوداً	لِيَشُدَّ الْأَكْفَ وَالْأَقْدَامَا
وَحِطَاماً لِكُلِّ أَنْفٍ عَزِيزٍ	ذَلٌّ مَنْ يَجْعَلُ الرَّغِيفَ حِطَاماً ⁽¹⁾

وبما أن الله سبحانه وتعالى قد سخر هذا الرغيف ليكون زاداً للإنسان ليقوي قوامه، بل صارت حياة الإنسان رهناً لهذا الرغيف، فإن السوسي قد عبّر مصوراً لنا صورة مأساوية من صور إذلال الإنسان من قبل الاستعمار الذي سلب قوته وقوت عياله، فجعل العزيز ذليلاً يُقْبَلُ أيديهم وأقدامهم من أجل الحصول على قوت عياله، على الرغم مما يلاقيه ويعانيه من أذى وذل ومهانة ومرارة تكرار السؤال.

ومن الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع ظاهرة (البخل)، ففي قصيدة (تاجر) يقول السوسي:

يَحْبِسُ الْمَالَ فِي خَزَائِنِ حَبْ	سَاءَ فَلَا يَسْتَطِيعُ مِنْهُ فِرَارَا
قَلْبُهُ دَائِمُ التَّعَلُّقِ بِالْمَا	لِ يُنَاجِيهِ أَيْلُهُ وَالنَّهَارَا
هَمُّهُ أَنْ يَضُمَّ قِرْشاً إِلَى قِرْ	شٍ وَيَجْبِي الدِّينَارُ فَالدِّينَارَا
لَمْ يُمَتِّعْ بِوَقْتِهِ أَوْ صَبَّاهُ	أَوْ يَنِمَ إِذْ يَنَامُ إِلَّا غِرَارَا
وَإِذَا يَرْفَعُ الْأَنَامُ شِعَاراً	جَعَلَ الْقِرْشَ لِلْحَيَاةِ شِعَاراً ⁽¹⁾

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص96.

ليصور لنا مشهداً لحالة البخل، ومعاناته في الحرص على جمع المال، فكان شغله الشاغل، حتى تعب قلبه وسهرت عينه، وهو يناجيه ليلاً نهاراً، دون أن ينتفع به في حياته، وإنما يراه شعاراً لطلب الشهرة في الحياة، فتعدّ هذه الظاهرة من الظواهر السلبية في المجتمع. ويمضي في قصيدته ليكشف عما يتمناه في هذه الدنيا من الإحسان إلى المحتاجين والفقراء المعدمين، فيقول:

وَأُحِبُّ الْفَتَى يَرَى الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا نَوَالاً وَيُؤَثِّرُ الْإِيثَارَا
يُبْصِرُ الْمَالَ أَنْ تَأْتِيَ لَهُ الْمَالُ سَبِيلًا إِلَى الْعُلَا لَا إِخَارَا
وَيَرَاهُ مَحَبَّةً تُسَعِدُ النَّاسَ وَجَمًّا يُنِيرُ دَرْبَ الْحَيَارَى
إِنَّ مَنْ لَا يَرَى الْحَيَاةَ عَطَاءً كَانَ عِبْنًا عَلَى الْحَيَاةِ وَعَارَا⁽²⁾

طرح -في هذا النص- أمامنا قضية الإنفاق داعياً الناس إلى الإيثار لا الادخار، والإنفاق في أوجه الخير والإحسان ومساعدة الفقراء؛ ليعيش الإنسان حياة السعادة والمحبة والوئام. أمّا عن مشكلة غلاء الأسعار فهي من المعوقات التي تعوق تقدّم المجتمعات، وهو مرض من الأمراض الاجتماعية التي وقف عليها الشاعر حسن السوسي، ولم يتركها فأولاهها عنايته واهتمامه حتى تنال نصيبها من العلاج. ويظهر الشاعر مدى استيائه وسخطه على التجار والباعة في قصيدة (الأسعار) حين يقول:

تُجَارُنَا فَقَدُوا الضَّمِيرَ وَأَضْبَحُوا لَا هَمَّ عِنْدَهُمْ سِوَى الدِّينَارِ
جَشَعُ أَصَابَ قُلُوبَهُمْ فَتَحَوَّلَتْ مِنْ نَابِضٍ حَيٍّ إِلَى أَحْجَارِ
لَا يَعْرِفُونَ مَوَدَّةَ وَصْدَاقَةٍ أَوْ يَأْبَهُونَ لِحُرْمَةِ وَجْوَارِ

1- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص58.

2- المصدر السابق نفسه، ص60.

وَيْلٌ لَّنَا مِنْهُمْ وَوَيْلٌ فِي غَدٍ لَهُمْ بِمَا اقْتَرَفُوا مِنَ الْأَوْزَارِ
وَطَنِيَّةُ التُّجَّارِ شَيْءٌ زَائِلٌ لَيْسَتْ سِوَى ضَرْبٍ مِنْ اسْتَعْمَارِ
وَالْمَرْءُ إِنْ فَقَدَ الضَّمِيرَ وَحِسَهُ فَاحْسِبُهُ فِي وَحْشِ الْفَلَاةِ الضَّارِي⁽¹⁾

نجد السوسي في هذه الأبيات ساخطاً ومعاتباً على كبار التجار والباعة والمسؤولين الذين فقدوا وطنيتهم في قضية رفع الأسعار، ويبيدي استيائه من أساليب المراوغة في التجارة دون مراعاتهم لظروف الناس المادية فكان همهم جمع المال حتى افقدهم ضمانتهم، وصارت قلوبهم متحجرة مليئةً بالجشع.

كما تحدث عن قضية الغربة وهي قضية من القضايا التي نالت اهتمامه؛ لما تحمله من معاني الشوق والحنين والحزن والأسى ومن قصائده المحملة بهذه المعاني قصيدة (الغريب) حيث يقول:

مَنْ لِلْغَرِيبِ دُمُوعُهُ تَكْفُ وَفُؤَادُهُ فِي صَدْرِهِ يَجِفُ
صُورٌ وَأَطْيَافٌ تَمُرُّ بِهِ فَتَهْزُهُ الذِّكْرَى وَيَزْتَجِفُ
وَيَكَادُ يَفْرِي الشَّوْقِ مُهْجَتَهُ وَيَكَادُ يَغْصُرُ قَلْبَهُ الدَّنْفُ
أَلْقَتْ نَوَاهُ بِهِ إِلَى بَلَدٍ لَا صَاحِبَ يُؤْوِي وَلَا كَنَفُ
بَلَدٌ تَرَوْقُ الْعَيْنُ رُؤْيَاهُ لَكِنْ طِبَاعُ بَنِيهِ تَخْتَلِفُ
يَلْقَى الْغَرِيبُ لَدَيْهِ رَاحَتَهُ وَيَرَوْقُهُ مَنْ عَيْشِهِ التَّرَفُ⁽²⁾

يصور لنا مشهداً لحالة الغريب وما يعانیه في غربته من ألم أدمى قلبه وشعوره، وأسى صهر روحه، حتى بث الخوف في أرجاء جسده، وصار يورق الشوق فؤاده، على الرغم من إعجابه

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص49.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص132.

بالبلد الذي نزل بها ووجد فيها أمانه وأمانه، إلّا أنّ طباع أبنائه تختلف عن طباعه، فلم يجد صديقاً يشاكيه ويشاركه همومه؛ ليخفف عليه قسوة الغربة ومرارتها، ويلم شمله. ويزداد الشوق في قلب الغريب عندما يذكر الأهل والدار ومجلس الأحباب والأصحاب، فيظهر مدى اشتياقه لهم مما يؤدي إلى تفجّر الأسى والضيق والضجر والألم بسبب الغربة التي أبعدته عن أهله وبلده، فنجدته ينتظر ويترقب فكاك نفسه من كربة الغربة، ومن قصيدة (شوق...) قوله:

شَوْقُ الْغَرِيبِ هَفَاً لِلْأَهْلِ وَالْأَدَارِ شَوْقِي لِمَجْلِسِ أَحْبَابِي وَسُمَارِي
وَصُحْبَةِ كُنْتُ أَغْشَاهَا فَتُسْعِدُنِي اللَّهُ فَيَا وَتَنْعِشُ آمَالِي وَأَوْطَارِي
حَلَا زَمَانِي بِهَا حَتَّى قَدْ التَّبَسَّتْ عَلَيَّ فِي الطَّيْبِ آصَالِي بِأَسْحَارِي⁽¹⁾

وهكذا تعددت وتطورت الأغراض والقضايا الشعرية في الشعر الليبي الحديث، فنجد هذه الأغراض والقضايا في شعر السوسي ظهرت في قصائده تحمل أغراض شعرية جديدة، كما تنوعت المعاني والألفاظ المعبرة عن تلك الأغراض والقضايا الشعرية، وأصبحت ذات مضامين جديدة تواكب الحياة الأدبية العصرية في أسلوبها المؤثر على المتلقين لما للشاعر من قدرة شاعرية مؤثرة في تحريك المشاعر والأحاسيس.

1- ديوان الفراشة، حسن السوسي، منشورات مركز دراسات الثقافة العربية، الطبعة الأولى، 1988، ص20.

المبحث الثاني

الاتجاهات الشعرية

- الاتجاه التقليدي.
- الاتجاه التجديدي.
- الشعر الجديد.

التمهيد:

تأثر الأدب الليبي بالحركة الشعرية التي مرّ بها الوطن العربي، وذلك بالتواصل بين الأدب في ليبيا والأدب في الأقطار العربية الأخرى عبر الصحف، والمجلات، والملتقيات، والمهرجانات الأدبية الشعرية التي يلتقي فيها الأدباء والشعراء، فكانت البداية الحقيقية للحركة الشعرية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين عندما "بدأت تلوح ملامح النهضة الأدبية في ليبيا وأخذ التاريخ يسجل شيئاً من الصفحات القليلة، ويرصد فيها هذه الحركة ويتابع فيها خطواتها، وكان بعضها تجاوباً مع بواغث النهضة في الشرق، وبعضها صدّى الحركة السنوسية التي صاحبته إقامة بيئة أدبية تحقق فيها معنى انفتاح البيئات الإسلامية على بعضها بواقع العلماء الذين تجمعوا حولها ووفدوا إليها من مختلف الديار".⁽¹⁾

ومن هذه الدراسات المتعددة التي تناولت الأدب الليبي وعاشت الحركة الشعرية في ليبيا تبين أنّ الشعر في ليبيا نحى منحى مدارس واتجاهات شعرية، ومن بين هذه الدراسات ما ذكره الدكتور عبد الحميد الهرامة، والأستاذ عمار محمد جحيدر وفق ما تناوله من دراسة حول الشعر الليبي في القرن العشرين "إنّ الاتجاهات الشعرية التي شهدتها ليبيا خلال عقود القرن العشرين مدارس أدبية تضم عدداً من الشعراء من ذوي الانتماءات الثقافية المتنوعة، سواء أكان انتماء هذه الاتجاهات عربياً أو غربياً، قديماً أو حديثاً، ووفق هذا الاعتبار نلاحظ في البيئة الليبية خلال القرن العشرين ثلاث مدارس رئيسية هي: المدرسة التقليدية، ومدرسة الشعر الحديث المقفى، ومدرسة الشعر الحر".⁽²⁾

1- رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، ص36.

2- الشعر الليبي في القرن العشرين، قصائد مختارة لمئة شاعر اختارها وقّدها لها: عبد الحميد عبد الله الهرامة، عمار محمد جحيدر، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2001، ص17.

ونجد الدكتور قريرة نصر عمل على تقسيم الاتجاهات الشعرية في ليبيا إلى ثلاثة اتجاهات ذاكراً

هذا التقسيم في كتاب بعنوان: (الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث) وهذه الاتجاهات:

1- الاتجاه التقليدي: الذي ينقسم بدوره إلى مرحلتين وهي:

- مرحلة ذروة التقليد.

- مرحلة التقليد الحديث.

2- الاتجاه التجديدي: ممثلاً ثلاثة اتجاهات وهي:

- الاتجاه الرومانسي.

- الاتجاه الرمزي.

- الاتجاه الواقعي.

3- الشعر الجديد: أو ما يسمى عادة بالشعر الحر.

وهنا يؤكد الدكتور قريرة نصر على حقيقة التمايز بين هذه الاتجاهات من حيث التعارض

والتفاعل والتكامل فيقول: "ينبغي أن نؤكد هنا أن تمييزنا بين هذه الاتجاهات هو تمييز منهجي

يساعد على الدراسة والتقصي، فهذه الاتجاهات ليست جزراً معزولة عن بعضها بعضاً، بل هي

كثيراً ما تتجه نحو التعارض أو التفاعل أو التكامل."⁽¹⁾

والواضح أن هاتين الدراستين اتفقتا على أن الشعر الحديث المعاصر في ليبيا عرف الشعر

التقليدي الذي سار على خطى الأقدمين في الشعر العربي القديم، كما عرف الشعر الحديث

المقفى الذي واكب حركة التجديد في الشعر العربي الحديث بظهور المدارس الشعرية في الأدب،

كما تنوع نظم الشعر في ليبيا على طريقة ما أطلق عليه من مسميات أو مصطلحات منها الشعر

الجديد أو الشعر الحر أو شعر التفعيلة.

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، الجزء الأول، ص 66.

ومن هنا قولنا إنّ هذه الاتجاهات والتيارات الأدبية التي ظهرت في العصر الحديث في الوطن العربي مرّ بها الشعر الليبي بحكم التفاعل والتأثير الذي طرأ على الساحة الشعرية في العالم العربي، وقد تباينت الآراء حول تحديد مفهوم مصطلح (الحديث) و(المعاصر) و(الجديد) وظهر هذا واضحاً في بعض الدراسات النقدية التي لم تحدد هذه المصطلحات ودلالاتها، فالدكتور فاضل ثامر عرج على هذه المصطلحات في كتابه (مدارات نقدية) حين قال: "إنّ أغلب المباحث والدراسات النقدية والأكاديمية لا تحفل بتحديد دلالة المصطلح النقدي فكانت تخط بين مصطلحات (الحديث) و(الجديد) و(المعاصر)".⁽¹⁾

وعلى الرغم من هذا التباين في تحديد مصطلح الشعر الحديث أو الشعر المعاصر أو الشعر الحر إلّا أنّ هناك بعض الدراسات التي قدّمها الدكتور قريّة زرقون نصر في كتابه (الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث) تناولت دراسة الأدب ومراحل تطوره، كما حاولت تحديد العديد من الاتجاهات الشعرية في ليبيا وفقاً لما سار عليه الشعر من اتجاهات متعددة منها:

أولاً: الاتجاه التقليدي

والتقليدي في معانيه الأدبية العامة: "يشمل محاكاة كل ما تواضع عليه الأدباء قديماً من صور بلاغية وتركيبات أسلوبية توارثها عنهم الأدباء المعاصرون".⁽²⁾

كما عرّف كل من الدكتور ميشال عاصي والدكتور إميل يعقوب طور التقليد على أنّه: "طور الانبعاث من وهدت الجمود والإسفاف، والارتقاء إلى سوية التعبير السليم بغض النظر عن معاناة الشاعر التي ظلت تقليدية، تعيش في الكتب أكثر مما تعيش في الحياة..."⁽³⁾ وإذا أمعنا

1- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة - ببغداد، الطبعة الأولى، 1987، ص184.

2- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص66.

3- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص862-863.

النظر في الأعمال الشعرية للشاعر حسن السوسي لوجدنا جُل قصائده سائرة على نظم الشعر التقليدي الحديث أي الشعر الحديث المقفى، وقد امتازت قصائده بجودة التصوير ودقة التعبير وسلاسة الألفاظ، متأثراً بروح العصر، ومن الملاحظ في قصائد السوسي أنه نحي منحى بحور الشعر الخليلية وهذا ظهر واضحاً في أعماله الشعرية التي نظمها على طريقة العروض الخليلي منها قصيدة (أحلى المدائن) يقول فيها:

لَعِينِيكَ يَا أَحْلَى الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى	نَصُوعُ الْهَوَى شِعْراً فَيَنْسَابُ كَوَثْراً
أَتَيْنَاكَ بِالْحَبِّ الْكَبِيرِ تَزْلُفَاً	وَجِئْنَاكَ نَسْتَجْلِي الْجَمَالَ الْمَصَوَّراً
وَنَهْنَبُ الْعُرْسَ الَّذِي شَعَّ بِهِجَةً	وَنَبْتَدِرُ الصُّبْحَ الَّذِي عَنْكَ أَسْفَراً
هَنِيئاً لَكَ الْمَجْدُ الَّذِي جَاء تَالِيَاً	وَأَنْ تَلْبَسِي هَذَا الرِّدَاءَ الْمُخَيَّراً ⁽¹⁾

ومنها قصيدة بعنوان (وفاء) على نهج البحر الكامل حيث يقول:

غَدْنَا.. وَعَادَ الشَّدْوُ وَالْأَلْحَانُ	وَتَوَافَدَ الْأَخْبَابُ وَالْخِلَانُ
الْمَهْرَجَانُ تَأَلَّقَتْ أَنْوَارُهُ	بِوَجْوهِهِمْ فَرَوَاقَهُ هَيْمَانُ
لَمَّا أَهْلَ أَتَيْتُ أَحْمَلُ عُدَّتِي	وَهِيَ الْهَوَى وَالشُّوقُ وَالْأَوْزَانُ
أَحْلَى الْكَلَامِ الشِّعْرُ حِينَ يَصُوغُهُ	قَلَمٌ بِخَمْرَةِ عَشْقِهِ نَشْوَانُ
تَتَشَرَّبُ الْأَرْوَاحُ لُطْفَ حَدِيثِهِ	لَمَّا يَقُولُ وَيُورِقُ الْوَجْدَانُ ⁽²⁾

ومن قصائده التي سار فيها أيضاً على الطريقة التقليدية نذكر له قصيدة بعنوان (القيروان) قائلاً فيها:

أَتَيْنَاكَ بِالشُّوقِ يَا قَيَّـرَوَانُ	وَلَكِنْ أَتَيْنَاكَ بَعْدَ الْأَوَانِ
--	--

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص88.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص121.

فَقَدْ زَهَرَ الشَّيْبُ فِي الْمَفْرِقَيْنِ وَأَخْفَتْ بِرَيْقُهُمَا الْمُقَلَّتَانِ
وَعَوَّرَ فِي الْوَجْهِ مَاءَ الصَّبَا وَكَلَّتْ بِخُطَوَاتِنَا الرُّكْبَتَانِ
أَتَيْنَا فَعُدَّتْ بِنَا عَوْدَةً إِلَى زَمَنِ قَدْ طَوَاهُ الزَّمَانُ⁽¹⁾

كما نذكر له قصيدة بعنوان (درنة والمهرجان) يقول في بعض منها:

فِي غَيْرِ عَيْنَيْكَ لَا يَخْلُو لَنَا الْعَزْلُ وَفِي سِوَاكَ حَدِيثُ الْحُبِّ مُقْتَعِلُ
أَحْلَى الْكَلَامِ كَلَامَ لَا نَبُوحُ بِهِ لَكُنَّمَا هُوَ بِالْعَيْنَيْنِ يُخْتَزِلُ
بِالشَّوْقِ جَنَّاتِكَ يَا أَحْلَى مَدَائِنَنَا هَلْ يُطْفِئُ الشُّوقُ إِلَّا الصَّمَمُ وَالْقُبُلُ ؟
يَا مَوَاطِنَ الصَّبَوَاتِ الْخُضْرُ يَا بِلْدًا نَشْتَاقُهُ وَهُوَ فِي وَجْدَانِنَا وَشَلُ⁽²⁾

ومن الملاحظ أنَّ جُلَّ قصائده على الطريقة التقليدية، طرح فيها موضوعات جديدة متأثرة بروح العصر، تعالج قضايا المجتمع وتتبع مجريات الواقع وأحداثه، كما تعبر عما في خاطره من أحاسيس ومشاعر.

ثانياً: الاتجاه التجديدي

جاء في المعجم المفصل الحديث عن ظهور هذا الاتجاه في "مستهل هذا القرن واستمر حتى أواسطه؛ متأثراً بالمدارس والاتجاهات الشعرية الغربية من رومانسية ورمزية وسواها؛ وبتأثير من الأدباء المهجريين وأقرانهم من حملة لواء التجديد في البلاد العربية، وكان لشعراء هذا التيار فضل كبير في تشريع منافذ القصيدة العربية على الإبداع الجمالي العالمي، وتطويعها استجابة للمشاعر والأحاسيس الإنسانية الحميمة، وتجاوزاً للتقاليد الأسلوبية الموروثة، شكلاً وإيقاعاً."⁽³⁾

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 61.

2- ديوان صدى السنين، حسن السوسي، مجلس الثقافة العام، د. ط، 2006، ص 200.

3- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ص 863.

وكان ظهور الاتجاه التجديدي في الشعر الليبي بديلاً للاتجاه التقليدي، فمع هذا الظهور نضجت وتطورت فيه الأغراض، والأساليب، والمضامين الشعرية فهي تتمرجح بين البساطة والوضوح، وهذا ما كان واضحاً عند الشاعر في جُل أعماله الشعرية التي اتسمت بطابع الاتجاه التجديدي، فهو يمتاز بثلاثة اتجاهات أدبية أساسية هي: الرومانسية، والرمزية، والواقعية.

وندرس في هذا المقام اتجاهين لهما وهما: الرومانسية والرمزية، فالرومانسية تمثلت في تعبيره عن الذات والعاطفة والطبيعة التي ميزت جُل الأعمال الشعرية للشاعر حسن السوسي، بينما الرمزية برزت بصورة واضحة من استعماله لكثير من الرموز التاريخية، والدينية، والتراثية، والأسطورية، والنضالية، والطبيعية.

أولاً: الاتجاه الرومانسي

الرومانسية هي مذهب فني أو اتجاه أدبي قام على انقراض المذهب الكلاسيكي، "في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر"،⁽¹⁾ وظهرت بوادر نشأتها الأولى في "إنجلترا أولاً ثم ألمانيا وفرنسا، ثم في إسبانيا وإيطاليا"،⁽²⁾ وهي من الآداب الغربية الأوروبية لها أصولها، واتجاهاتها، وأفكارها. والغاية من ظهور المذهب الرومانسي يُعدّ ردّة فعل لقيود الكلاسيكية، وثورة على التقليد، وهكذا تمكنت الرومانسية من "أنْ تقلع جذور الكلاسيكية من تربة الآداب الأوروبية لما اشتملت عليه من مظاهر، ومرتكزات أساسية جعلتها أهم حركة أدبية في تاريخ الآداب الأوروبية، وفتحة عهد جديد من المذاهب الأدبية الحديثة"،⁽³⁾ وتتمثل هذه المظاهر والمرتكزات في الآتي:

1. " نشدان الرومانسيين للحرية وهروبهم من المدينة إلى الريف.

1- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص 21.

2- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، 1987، ص 379.

3- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص 25.

2. وتعلقهم بالعاطفة والخيال الذي يعتبرونه وسيلة إيجابية للوصول إلى الحقيقة إذ هو الذي يولد

الصور التي تجسّم المشاعر والأفكار.⁽¹⁾

فالأدب الرومانسي أدب ذاتي يعبر به عن المشاعر بألمه وسعادته، فقد تبين أنّ الرومنطيقية تنبع من التلقائية في التعبير فهي ذاتية، تقدر البدائية والسذاجة، وتتعلق بالمطلق واللامحدود بعد ثورة القلب على العقل لغرض إعلاء الشعور والعاطفة التي انطلق منها إلى عالم الأحلام، على العكس من الكلاسيكية التي تقوم على النقل والمحاكاة فهي موضوعية معتدلة، محدودة، تقيدها الشرائع والتقاليد والعادات.⁽²⁾

ومن أهم عوامل شيوع الرومانسية في الأدب العربي "تغيير الحالة السياسية والأدبية والثقافية في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، فقد صار العربي يعتنق الحرية ويصبوا إليها ويحب التجديد ويعتقده...إضافة إلى طبيعة الشعر العربي القديم التي تحمل روحاً وتجارب رومانسية."⁽³⁾

ويقول الدكتور يوسف عيد: "الشعر العربي شعر غنائي وجداني ينبع من الذاتية عند الشاعر، تلك الغنائية الفردية تمثل في صيرورتها الوجدانية المذهب الرومانسي. فتجربة الطلل والبكاء والألم والفراق والغربة والحب الدفين الذي يتفجر لوعةً واشتياقاً ومرضاً، هذه التجربة الشعرية عند العرب ماهي إلا الرومانسية التي وقعنا عليها عند غير شاعر غربي، أمّا الطبيعة وما يدور في

1- الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب عند المجيد بن جلون (أنموذجاً)، قريرة زرقون نصر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 2008، ص16.

2- انظر: فن الشعر، إحسان عباس، دار الشروق عمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص38، 39.

3- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص27.

فُلكها فهي الميدان الرحب لخيال الشعر، برقها، مطرها، أديمها، ومناظرها، وحشها، حيوانها، وطيورها.⁽¹⁾

"وهكذا نجد أنّ الرومانسية هي نزعة قديمة في النفس بل أنّها قد تكون النزعة الأولى البكر،... فالرومانسية حالة دفينّة في النفس تعبر عن ذاتها تلقائياً بعفوية الشعور والحدس، وتعبّر عن الطبيعة والزمن والحرية والهائية والكينونة المتجسّدة والمآ ورائية."⁽²⁾

وظهرت ملامح الرومانسية في أدبنا العربي القديم على اختلاف عصوره الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي... كان واضحاً من خلال أشعار الكثير من الشعراء الذين تفجّرت مشاعرهم وأحاسيسهم عشقاً وشوقاً لحب المرأة والطبيعة النابع من الوجدان الذي مبعثه طبيعة النفس الإنسانية ذات المشاعر الفياضة، ومن أمثال هؤلاء الشعراء في تلك الآونة أبو نواس، وجميل بن معمر، وعروة بن حزم، وقيس بن ذريح، وامرئ القيس وغيرهم. فالمتصفح لأشعارهم يلمس ملامح الرومانسية بارزة من خلال عاطفة الحب التي امتلأت بالحنين والعشق إلى المرأة وبفتنة الطبيعة، إذ أنّ المرأة والطبيعة مصدر انبعاث للحس الرومانسي العميق. غير أنّ من الصعب أنّ نؤكد على وجود مدرسة رومانسية عربية قديمة، بل ظهرت الرومانسية في أدبنا العربي الحديث بشكل واضح في بداية القرن العشرين.⁽³⁾

وبعدما "استطاعت حركة الإحياء والبعث تخليص الشعر من قيود الصنعة والبديع وبعث الموروث العربي من جديد، بفضل جهود محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومعروف الرصافي وغيرهم. ففي هذه الفترة ازدهرت في الوطن العربي حركة الصحافة والترجمة

1- المدرسة الأدبية ومذاهبها -القسم التطبيقي 2، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ص109.

2- المرجع السابق نفسه، ص78.

3- انظر: الموازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية، بو جمعة بو بعيو، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي، الطبعة الأولى، 1995، ص134.

بخاصة الأدبين: الإنجليزي والفرنسي، كما أرسلت البعثات إلى الخارج للاعتراف من منهل الأدب والثقافة في أوروبا إلى جانب العناية الكبيرة بالمورث الأدبي العربي القديم.⁽¹⁾

فالشعر الرومانسي هو شعر خيالي وجداني تتحكم فيه العواطف والمشاعر دون العقل، أي تسعى نحو التحرر والانطلاق اللامحدود في عالم الخيال والأحلام دون تحقيق أي غاية مرجوة، فنجد الرومانسي يحلق في عالم الخيال المجهول، وهكذا حفل الشعراء الرومانسيون بالعاطفة، والشعور، والخيال المطلق الحر واللامحدود، والهيام بالجمال، والمرأة، والطبيعة، فالطبيعة ملاذً يلجأ إليها الشعراء الرومانسيون الذين نفروا من حياة المدينة التي كانت سبب في الكآبة، والألم، والحزن الذي يملأ نفوسهم واختاروا الريف لينطلقوا بخيالهم الواسع وراء اللامحدود بعد أن تحررت الرومانسية من قيود العقل ومنح السلطة للعاطفة التي محلها القلب، كما تنادي بحرية الفرد والفكر معاً دون النظر إلى القوانين السائدة في المجتمع.

وكما "تميل الرومانسية إلى البساطة في لغة الشعر فالألفاظ الجزلة والتراكيب المتينة التي طبعت عليها الكلاسيكية، هي كلمات وألفاظ مهجورة، وأساليب عفا عليها الزمن"،⁽²⁾ فاللغة عند الرومانسيين كما يقول ميخائيل نعيمة: "لا تتعدى أن تكون مجموعة أو ذخيرة من الرموز نرمر بها إلى أفكارنا وعواطفنا وأنه ليحسن بنا أن نحتفظ بهذه الرموز ما دمنا قاصرين عن استبدال ما هو أدق منها بها، وأن بعض هذه الرموز يصبح مع مرور الأيام طلاسماً فالأجدر نبذه، وأن الكتاب والشعراء هم واضعوا هذه الرموز، وهم أولياؤها، إذا غير الشاعر رموزه المألوفة، وجاء

1- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص26.

2- مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، إبراهيم خليل، دار المسيرة، الطبعة الأولى، 2003، ص119.

برموز أخرى جديدة، فليس في ذلك ما يدعو للقلق أو الخوف، لأننا إذا أحببنا الرموز الجديدة احتفظنا بها، رضي النحاة أم لم يرضوا.⁽¹⁾

وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث كانت حركة رومانسية "امتألت بالأنيين والشكوى واختلطت بالنزعات التأملية والإنسانية، واشتملت على شكل من أشكال الرمزية البسيطة التي تعتمد على التلميح والإيحاء، وكان شعرهم شعر الحب واللهفة والإحساس بالضياح والتأمل العميق لمظاهر الكون، كما كان شعر الهرب من قسوة الحياة وقسوة الأحداث إلى الطبيعة فدعوا أهم الرحيمة بهم، وامتزجوا بها وخلعوا من ذات أنفسهم عليها."⁽²⁾

وواكب الشعر الليبي في القرن العشرين حركة التجديد منخرطاً نحو الاتجاه الرومانسي بعد أن تحررت ليبيا من براثن الاستعمار المتوحش، وعودة المهاجرين إلى أوطانهم حاملين ثقافات وآداب الأقطار العربية التي لجوء إليها حقبة الاستعمار، فقد نهلوا من فنونها ومعالها.

إضافة إلى كثرة المطابع وانتشار الصحف، والمجلات، والجرائد، والدوريات، وفتح النوادي الثقافية والمنتديات الأدبية، كل هذا ساهم في تشكيل الحركة التجديدية للشعر في ليبيا، ومن هنا أخذت القصيدة الليبية تتلمس طريقها تجاه التجديد، وبرز الشعراء المجددون في الساحة الشعرية أمثال حسن السوسي، وراشد الزبير السنوسي، وعلي الرقيعي، وحسن صالح، وإبراهيم الأسطى عمر، وغيرهم.

واتجه الشعراء الليبيون في التعبير عن عمق مشاعرهم التي يملأها الإحساس بالحزن، والأسى، والكآبة، والألم، والشكوى، والأنين، والضجر من سطوة الألم، متخذين الشعر وسيلة

1- الغريال، ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، الطبعة السابعة، 1964، ص106.

2- لغة الشعر العربي الحديث ومقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، د. ط، د.ت، ص46.

لشكواهم، لكي يبرهنوا على عمق إحساسهم بالموقف، وإظهار مدى قدرتهم الإبداعية في التعبير عنه ببساطه دون تكلف.

وهنا برز شعر الشخصية الذاتية في أشعار بعض من الشعراء الليبيين حين عبّروا عن شخصياتهم وأحاسيسهم الفردية، وهكذا تجسدت النزعة الذاتية في الشعر الرومانسي كما أنّ "الوجدانية والذاتية بالنسبة للشعراء الليبيين أكثر الاتجاهات الشعرية قبولاً للتعبير عما يختلج في نفوسهم من آمال والآم".⁽¹⁾

واختارت الباحثة مجموعة من النصوص الشعرية للشاعر حسن السوسي، التي يجسد فيها الاتجاه الرومانسي بمشاعره وانفعالاته الحارة معبراً عنها بأصدق التعبير، باعتبار أنّ الشعور بالأسى والحزن في نفس الشاعر منبثق من أعماق النفس التي تملأها الحيرة والقلق.

ومن أهم المظاهر الرومانسية في شعره الذاتية الفردية، والطبيعة، والحب والمرأة، والطفولة، والنزعة الإنسانية، واكتفت بدراسة الذاتية الفردية، والطبيعية، والحب، والطفولة.

1- الذاتية الفردية:

ظهرت عنصر الذاتية في شعر حسن السوسي من خلال معاناته الشخصية، أو إحساسه، أو رؤيته عند تطلعه للآخرين، فتبعت حالة شعورية من الأسى، والألم، والحزن في نفس الشاعر فعبر عن الحالة الذاتية التي انتابها.

وأظهر الشاعر هذه الحالة الشعورية عند صديقه الذي كتم سره في صدره وبين ضلوعه، ولم يبيح به معبراً عن ذلك الأسى والحزن في قصيدته بعنوان (صاحبي) قال فيها:

مَا لِي أَرَاكَ عَلَى الْمَدَى مُتَجَهِّمًا إِنَّ التَّجَهُّمَ بِالرَّجَالِ يُشِينُ
مُتَأَلِّمًا أَبَدًا بِلَا شَكْوَى كَمَنْ غُرِسَتْ بِصَفْحَةِ قَلْبِهِ سِكِّينُ

1- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص161.

تُطَوَّى عَلَى سِرِّ ضُلُوعِكَ صَامِتاً هَلَاً عَنِ السَّرِّ الْخَطِيرِ تُبَيِّنُ؟⁽¹⁾

يصوّر الشاعر أسرار النفس العميقة التي سيطرت عليها الكآبة والحزن العميق حتى خيم ذلك الألم على وجهه المتجهّم باعتباره شعوراً وجداني عميق الأثر ولّد لديه الشعور بالضيق والحيرة. كما تجسدت النزعة الذاتية في قصيدته بعنوان (تشاؤم) من خلال استعماله لضمير المتكلم (أنا) حيث قال:

ويَلْقِي الشَّقِيَّ وَجْهَ عُبُوسٍ	في مَرَائِيَةِ عُسْرِهِ يَتَجَلَّى
يتبع الشَّوْمُ خَطْوَهُ أَيْنَمَا رَا	ح فَيُعْذِيهِ أَيْنَمَا كَانَ حَلَاً
أَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ حَظِّي عَجُوزٌ	ثَقُلْتُ وَطَأَةً وَسَمْعاً وَظِلَاً
قَدْ ذَوَى عُوْذُهَا وَغَاضَ مَعِينُ ال	حُسْنٍ فِيهَا وَعَهْدُهَا قَدْ تَوَلَّى
كُلَّمَا أَقْبَلْتُ أَقُولُ لِنَفْسِي	بُئْسَ وَجْهَ الْعَجُوزِ أَنِّي أَهْلَاً ⁽²⁾

يظهر السوسي نزعة التشاؤم التي سيطرت على النفس الإنسانية، فهي منبع الحيرة والقلق التي لم يجد لها دواء شافي؛ لأنّها صدرت عن نفس مرهفة بالإحساس والمشاعر الفياضة.

2- الطبيعة:

ضاق الرومانسيون من قسوة المجتمع وظلمه ومعاناته وقوانينه وشرائعه وقيوده السائدة؛ ولذلك فضلوا العودة إلى أحضان الطبيعة هروباً من حياة التمدن إلى الريف الفسيح باحثين عن الجمال الذي يُعدّ أهم مظاهر الرومانسية "فالجمال وحده عندهم مرآة الحقيقة التي ينشدون،"⁽³⁾ وعشقوا الطبيعة، وتغنوا بمختلف عناصرها من زهر، وريبع، وطيور، وبحر، وليل، ونهار، وتعاقب الفصول.

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص47.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص110

3- الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، دار العودة، د . ط، 1973، ص17.

وتُعدّ الطبيعة ملجأً للرومانسيين ومهرباً من واقعهم الرتيب لبث شكواهم وأنينهم. وهذا ما يؤكدّه الدكتور محمد غنيمي هلال حين يقول: "الرومانتيكيون ينشدون السلوان في الطبيعة ويبتونها حزنهم وينظرون بين مشاعرهم ومناظرهما الحزينة لأنّ لها صلات بخواطرهم ومصائرهم، ويتخیلون في المخلوقات أرواحاً تجسد مثلهم، فتحب وتكره وتحلم، فيشركونها مشاعرهم، لذا يخاطبون الأشجار، والنجوم، والورود، والصخور، وأمواج البحار."⁽¹⁾

مدى تفاعل الشاعر مع عناصر الطبيعة من بين الشعراء الرومانسيون في ليبيا:

أ. الربيع:

جسد الشاعر مناظر الطبيعة الخلابة، ومنها فصل الربيع لما يتمتع به من سحر، وجمال، وبهجة تغمرها الفرحة والسرور؛ لتصل إلى نفوس الشعراء كذلك، وهذا ما يؤكدّه قوله عن الطبيعة:

وَرَوْضَةٍ جَادَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ

فَنَبَّئُهَا مِنَ النَّعِيمِ أَسْمَرُ

كَأَنَّهُ بَحْرٌ بِمَوْجٍ يَزْخَرُ

وَزَهْرُهُمَا مُبْرَعٌ مُنَوَّرُ

قَدْ ضَمَّهَا ضَمَّ الْمَشُوقِ الْأَخْضَرُ⁽²⁾

هذه الأبيات تحمل رؤية رومانسية واضحة المعالم حيث تبدو الطبيعة حية، قوية فتانة بجمالها ينبعث منها صدق الإحساس والمشاعر والعواطف الفياضة من خلال تصوير الشاعر للجبل الأخضر الشامخ، وهو يضم تلك الروضة بين يديه مشبهاً لها بالمتيم الولهان.

1- الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، ص178.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص124.

ب. الزهور:

تُعَدُّ الزهور من مشاهد الطبيعة الساحرة بجمال الطبيعة في فصل الربيع يختزل في أزهارها بألوانها المختلفة الزاهية وشذا عطورها الفواحة، وهذا ما جعل الرومانسيون يهيمون بسحرها ويعشقون جمالها، ويتخذونها سبيلاً لتخفيف لوعتهم ومصابهم فنجد السوسي يناشد زهرة البنفسج قائلاً:

تَضَوَّعِي تَأْرَجِي	يا زَهْرَةَ الْبَنْفَسَجِ
فَأَنْتِ رَاحَةُ الْغُيُوءِ	نِ وَأَبْتِهَاجُ الْمُهَجِ
فِي لَوْنِكَ الْحَالِمُ وَالسُّدُ	كُونِ وَالْتَأْرَجِ
يَخْجَلُ مِنْكَ الْوَرْدُ فَهـ	و دَائِمُ النَّضْرُجِ ⁽¹⁾

يرى الشاعر أنَّ النظر في الزهور علاج شافي يجد فيه الإنسان راحة للنفس فتذهب هموم وأحزانه، كما أنَّ استنشاق عبقها وشذاها يريح القلب من كربته وغمه. وفي قصيدة بعنوان (كتاب الجلال وسفر الجمال) يصوِّر الشاعر من مشاهد الطبيعة الرومانسية حيث يقول:

بِهَمْسِ النَّسِيمِ وَخَفَقِ الْغُصُونِ	تَنَامُ الْجِرَاحُ وَتَغْفُو الشُّجُونُ
وَتُنْعِشُ أَنْفَاسُهُ النَّاشِقِينَ	بَبُوحِ خُزَامَاهُ وَالزَّرْعَتَرِ ⁽²⁾

يُظْهِرُ الشاعر دور الطبيعة في تخفيف الهموم والألم والمعاناة النفسية التي يعانيتها الرومانسي في حياة المدن، حيث فرَّ من ضوضاء المدينة إلى الريف بهدوئه وصفائه ونقاؤه حيث أضيف عناصر الحياة للنسيم، والخفقان للغصون، والبوح للخزامى والزعتر، فالهمس والخفقان والبوح

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص56.

2- المرجع السابق نفسه، ص140.

صفات إنسانية يختص بها الإنسان فهي تتعكس على مشاعره فتخفف على نفسه الهموم والمعاناة والألم.

ج. الطيور:

تغنى بعض الشعراء الرومانسيون بالطيور على اختلاف أنواعها وأشكالها وهي من أهم عناصر الطبيعة، كما هي رمز للحرية والانعقاد من قيود العبودية، وخاطب السوسي الطيور وهي تحتفل بفصل الربيع قائلاً:

يَا طَيْرُ بِالْحَنِّ الطُّرُوبِ تَرْنُمِي	حَيِّ الرِّبْعِ عَلَى ذُرَاكِ الْمُلْهِمِ
بَلْ صَفْقِي بِالْجَانِحِينَ وَرَفْرَفِي	قَدْ عَادَ عَادَ إِلَيْكَ دِفْءُ الْمَوْسِمِ
ذَا مَوْعِدُ الْحَبِّ الْمُبَارَكِ فَاْمَلِّي	آفَاقَ دَوْحِكَ بِالْغِنَاءِ وَحَوِّمِي
الطَّيْرُ يَغْمُرُهَا الرِّبْعُ بِسُخْرِهِ	فَيَمْسُهَا قَبْسُ الْهَوَى الْمُتَضَرِّمِ ⁽¹⁾

يصوّر الشاعر مدى فرحة هذه الطيور بفصل الربيع، وهي تحييه برقصاتها الاستعراضية تارة تعلق وتارة أخرى تتحدر فوق المروج ذات البساط الأخضر تلونها الورود الجميلة بأشكالها المختلفة ذات العطر الفواح، وأصواتها المغردة بين الصغير، والزقزقة، والشقشقة، حيث وجد الشعراء الرومانسيون في الطيور تعبيراً صادقاً في تلقي مشاعر الفرح بهذا الفصل الجميل والابتعاد عن الآلام والهموم.

د. البحر:

كان للبحر نصيب في قصائد شاعرنا، فالبحر هو ذلك الأفق الواسع الذي يمتد فيه البصر ما لا نهاية، منعكسة على سطحه زرقة السماء وأمواجه الهادرة، وهي تلتطم بصخور الشاطئ

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص 65.

وللبحر مكانة عظيمة في قصائد الشعراء، فهو رمز للقوة والجود والكرم، كما يراه الرومانسيون رمزاً للعنفوان، والقوة العاتية، والثورة، والاضطراب.

وهنا الشاعر يلجأ إلى البحر بأحاسيسه وعواطفه عندما أحس بحاجة إليه، فقربه يشعره بالأمن والأمان باعتباره متنفساً لنفسه وجسمه وروحه، ففي قصيدته بعنوان (البحر) يقول فيها:

قَالُوا هُوَ الْبَحْرُ تُغْرِينَا رَوَائِحُهُ	وَيَسْتَبْدُ بِنَا مَرَأَى وَأَنْسَامَا
جِنَائُهُ وَالْحَرُّ تَشْوِينَا هَوَاجِرُهُ	شَيْئًا وَيُرْهِقُ أَرْوَاحًا وَأَجْسَامَا
لِلْمَوْجِ فَوْقَ رِمَالِ الشَّطِّ هَمِّهَةٌ	لَا تُسْتَبَانُ كَمَا حَدَّثَتْ تَمْتَامَا
مَا أَبْهَجَ الشَّطِّ نُلْقِي فَوْقَ رَمْلَتِهِ	مَتَاعِبًا قَدْ حَمَلْنَاهَا، وَآلَمَا
وَأُمْتَعَ الْبَحْرَ إِذْ نَرْمِي بِنَفْسِنَا	فِيهِ فَيَغْسِلُ أَصْدَاءَ وَأَسْقَامَا ⁽¹⁾

وجد السوسي أنّ البحر ملاذ يجلي همومه، وأتعبه، وأحزانه فيرمي بها فوق حبات رماله الندية، ومن مائه غسل أدران روحه وأصداءها وأسقامها. وتتجلى رومانسية الشاعر في جعل البحر متنفساً لهومومه ومتاعبه وهو مستغرق في أحلامه وأوهامه.

وأدرك السوسي أنّ البحر مصدر لذكريات صباه حين تفتق خياله لاستحضار طيف معشوقته التي كان يلتقي بها على شاطئ البحر قبل أن تمضي، فمنها قوله من قصيدة (البحر):

وَأَحَبُّ رُوحاً مِنْهُ كُنْتُ وَجَدْتُهُ	فِي ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ قَبْلَ فِرَاقِهِ
فَإِذَا أَرُورُ الْبَحْرَ كَانَ خَيَالُهُ	أَبْدَا يَلُوحُ هُنَاكَ بَيْنَ رِفَاقِهِ ⁽²⁾

فكلما زار الشاعر البحر استحضر طيف معشوقته، فصار يملأ المكان بين رفاقه فربط الشاعر زيارة البحر بتذكر معشوقته وما دار بينهم من حديث العشاق، وهذا الاستحضار جعل الشاعر

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص91.

2- المرجع السابق نفسه، ص93.

يعيش لحظات الرومانسية حاملة. كما يرى السوسي أنّ البحر منبع للإلهام والوحي فيبعث الشاعر من خلاله صورة أحلامه وخياله وأوهامه.

وَأَكْرَمَ الْبَحْرَ إِذْ يُوحِي لِزَائِرِهِ	مِمَّا يُزَخِّرُ أَحْلَامًا وَأَوْهَامًا
مِيَاهُهُ تُبْهِجُ الرَّائِينَ زُرْقَتُهَا	وَأَفْقُهُ كَمْ هَمِي وَحِيًّا وَإِلْهَامًا
وَكَمْ أَعَارَ تَهَاوِيلًا وَأَخِيلَةً	وَكَمْ أَعَانَ عَلَى التَّصْوِيرِ رَسَامًا
صَحِيفَةً مِنْ كِتَابِ الْكَوْنِ نَقَرُهَا	فَمَا نَلُمُ سِوَى بِالْزَّرِّ الْإِمَامَا
الْمَوْجُ فِيهَا سَطُورٌ غَيْرُ نَائِبَةٍ	مَنْ يَقْرَأُ السَّطْرَ رَجَزًا وَلِظَامًا ⁽¹⁾

البحر مصدر للإلهام كما هو مصدر للمعرفة من خلال الغوص في أعماقه لمعرفة أسرارهِ وغموضه، والعمق هنا ليس من اختصاص البحر وحده بل تختص به النفس كذلك لما يسكن فيها من فرح، وألم، وسعادة، وحزن دفين، وهنا تتراء الرومانسية في الكشف عن أسرار ما تخفيه النفس من معاناة.

3- الحب والمرأة

لا يخلو شعر شاعر من الشعراء على مر العصور من ذكر المرأة والتغزل فيها، فقد "لعب الحب دوراً كبيراً في الآداب المختلفة على مر العصور. فكان حديث الشعراء، وموضوع كثير من القصص."⁽²⁾ لذلك لجأ الشعراء الرومانسيون إلى مخاطبة العاطفة، لكونها منبع الشعور الصادق والإحساس المرهف، فنجد هروب الشعراء الرومانسيون من أحضان الواقع المؤلم إلى أحضان المرأة بُغية تحقيق سعادتهم وراحتهم وأمانهم، وهكذا كان الحب ملاذاً لتفريغ همومهم المشحونة.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص91.

2- الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، ص183.

ويتمتع السوسي برقة الحس ورهافته وصدق العاطفة ونبل الأخلاق، فعاطفة الحب عنده تتجلى في العفة وصدق الشعور ونبلها، وهكذا يعبق شعره بجو عاطفي وجداني عميق الأثر، جسده التجربة الشعورية الصادقة.

وحظيت المرأة في شعره بمكانة الإجلال والتعظيم، وأنزلها منزلة التقديس والاحترام، لم تكن هذه النظرة التمجيدية جديدة في الشعر العربي الحديث أو المعاصر بل قديمة في الموروث الأدبي. ويؤكد عذاب الركابي على احترام وتقديس السوسي للمرأة في قوله: " وأشهد أنه شاعر مبدع في ...احترم المرأة، وقدها، اشتاق إليها كطير مغرد جميل، فهو يلتقيها في ثياب العفة ويودعها كذلك."⁽¹⁾

وأدرك الشاعر أهمية الحب العذري العفيف الصادق في شعوره وأحاسيسه في حياة الناس، وملائته بالإجلال والتقديس حتى جعل له محراباً يعتكف فيه بعد أن وهب حياته للحب وهذا الاعتكاف للتقرب من محبوبته، تعبيراً عن صدق أحاسيسه، وشوقه، ورهافة حسه العاطفي الجياش الذي امتلك شغاف قلبه، فصار الحب ملهماً للشعر يهيم الشاعر مع تباريحه في أحلامه ويقظته ومنامه.

وهنا يشير الشاعر إلى دور المرأة باعتبارها مصدر للإلهام. فالشاعر هَامَ مع تباريح محبوبته، حتى صار يراه في أحلامه ويقظته، وهكذا استمد من رقة محبوبته رقة شعره، ومن عذوبتها عذوبة لحنه منها قوله في قصيدة (وحي):

رُؤَاة تَشْرِقُ فِي صَحْوِي وَفِي حُلْمِي	وَفِي خَيَالِي خَيَالٌ مِنْكَ مَا بَرَحْتُ
وَأَنْتِ جَدُّوَةٌ شَوْقِي عَزَبَتْ بِدَمِي	فَأَنْتِ إِنْسَانٌ عَيْنِي إِنْ رَأَى نَظَرِي
وَأَنْتِ إِنْ رَأَى لَحْنِي مَصْدَرُ النَّعَمِ ⁽²⁾	وَمِنْكَ إِنْ رَقَّ شِعْرِي سُرُّ رِقَّتِهِ

1- مجلة الفصول الأربعة، حوار مع الشاعر، العدد 46-56، ص196.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص7.

وتتجلى صورة الحب الملتهب بعواطفه الجياشة ومشاعره الرقيقة وأحاسيسه المرهفة في قوله:

أَفَرَعْتُ فِيكَ حَدِيثَ الْقَلْبِ مُلْتَهَبًا وَقَلْتُ كُلَّ الَّذِي يَجْرِي عَلَى بَالِي
صَوَّرْتُ شَوْقِي وَأَحْلَامِي وَقَلَسَفَتِي وَحِيرَتِي وَتَبَارِجِي وَبَلْبَالِي
فَلَمْ تَصِلْهَا أَحَادِيثِي وَلَوْ وَصَلْتُ لَبَاتَ غَيْرَ خَلِي قَلْبَهَا الْخَالِي⁽¹⁾

هكذا يحترق قلب الشاعر من حبه لمحبيبته حتى صار الحب شعورًا ملتهبًا في قلبه، وناقوس

يدق في خاطره، فمشاعره المتوقدة ظهرت في صورة أحلام، وشوق، وحيرة، وتباريح.

وبلغ حب المرأة في قلب الشاعر وهيامه بها أن جعل المرأة رمزًا للحياة في قصده قائلًا:

فَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا إِلْفٌ يُلَطِّفُهَا وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا أَشْيَاءُ نَهَوَاهَا ؟
وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا أَنْتَى تُهْذِئُنَا وَنَسْتَرِيحُ عَلَى أَنْعَامِ نَجَوَاهَا ؟
وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا حُبٌّ وَلَا أَمَلٌ وَلَا طُمُوحٌ إِذْنُ مَا سِرُّ فَحَوَاهَا ؟⁽²⁾

يرى الشاعر أن الحياة بدون وجود المرأة لا تساوي عنده شيئًا؛ لأنها محور الحب والشكوى، فهي

تشاطره أعباء الحياة بطلوها ومرها فتملأ عليه حياته سعادة، لذلك جعل الحب والمرأة رمزًا للحياة،

كما ربط الشاعر بين الحب، والأمل، والطموح الذي هو سر جمالها، فالمرأة هي الأم، والزوجة،

والأخت، والصديقة، والحبيبة، والعشيقة التي يجد في قربها الراحة والسعادة.

4- الطفولة:

لجأ الرومانسيون "للعودة إلى الطفولة والمجهول وما ذلك إلا تنفيس عما يعتلج في نفوسهم،

وما يتأجج في صدورهم،"⁽³⁾ من كبت وحرمان فرضه الواقع عليهم طول فترة حياتهم التي عاشوها

1- المصدر السابق نفسه، ص86.

2- ديوان الفراشة، حسن السوسي، منشورات مركز دراسات الثقافة العربية، الطبعة الأولى، 1988، ص39،38.

3- موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، بوجمعة بو بعيو، ص178.

حتى شعروا بوقع الزمن عليهم، كما يرون أنَّ زمن الطفولة زمن البراءة، واللّهو، واللعب، والحلم، والنقاء، والصفاء في قصيدته بعنوان (زمان الصبا) بقوله:

لَوْحَتِكَ الْأَحْدَاثُ وَالْأَعْوَامُ	يَا زَمَانَ الصَّبَا عَلَيْنِكَ السَّلَامُ
صُورَةٌ كُنْتُ فِي إِطَارِ حَيَاتِي	لَوْنُهَا الْأَوْهَامُ وَالْأَحْلَامُ
إِنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ شَوْقٌ غَرِيبٌ	أَكْرَهُهُ الْبِلَادُ وَالْأَقْـوَامُ ؟
هَائِمٌ زَادَهُ خَيْالٌ وَوَهْمٌ	وَبَعَيْنَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ ظَلَامٌ
فِيكَ عَلْنَا بِالْحَبِّ كُلِّ الْيَتَامَى	ثُمَّ عُدْنَا كَأَنَّا أَيْتَامٌ ⁽¹⁾

يتذكر الشاعر في هذا النص شوقه وحبّه لزمن طفولته الحالمة التي رسمتها لوحة الأحداث والسنين صورة في ذاكرة الشاعر محاولاً إخراج نفسه من جو الرتابة، والملل، والكآبة التي فرضها الواقع عليه، حتى صارت تلوح كالأوهام والأحلام والشوق في خياله بعد أن مضت ولن تعود بصفائها ونقاؤها، فالواقع غير من تلك الأوهام والتخيلات التي رسمها الشاعر هروباً عبر ذاكرته لصور الصفاء والسعادة عند خروجه من واقعه.

وفي نفس القصيدة يناشد الشاعر ذكريات الطفولة ونقاءها هروباً من الواقع المؤلم الذي تمثّل في هذا النص بتقدم العمر، وظهور الشيب فهو دلالة على وداع زمن الطفولة قائلاً:

يَا زَمَانَ الصَّبَا وَأَنْتَ زَمَانٌ	تَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْأَغْوَامُ
كَيْفَ أَسْلَمْتَنَا لِعَهْدِ مَشِيبٍ	فِيهِ تَشْقَى أَحْلَامُنَا وَتُسَامُ ⁽²⁾

تُظهر هذه الأبيات حقيقة الإنسان كلّما تقدّم في العمر ابتعد عن زمن طفولته فثقلته الهموم والآلام، ويُعدّ الشيب رمزاً للضعف ووداع عهد الطفولة، فعودة الشاعر إلى زمن الطفولة وذكرياتها هروباً مما يعانيه من قلق وحيرة وألم.

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص42.

2- المصدر السابق نفسه، ص42، 43.

"وكانت الرومانسية فعلاً ثورة في الأدب الليبي اتسمت بالتجديد في المواضيع الشعرية، لكنها أيضاً كانت ثورة في الخيال والشعور، ولم تلتحم بالتغيرات الواقعية."⁽¹⁾

وهكذا سلك الشاعر مسلك المذهب الرومانسي في شعره، ونلاحظ مظاهر وجود الرومانسية بوضوح في متونه الشعرية التي لا تخلو من العاطفة والخيال، وقد طُبعت أعماله الشعرية بطابع الرومانسية، ومن مظاهرها الذاتية الفردية، والطبيعة، والحب، والطفولة، وغير ذلك من الركائز التي ارتكز عليها ذلك المذهب الرومانسي.

ثانياً: الاتجاه الرمزي

الرمز في اللغة: "هو العلامة والإشارة يدل بها الرامز على المرموز."⁽²⁾

وفي المصطلح الأدبي: "كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه ليس بطريقة المطابقة التامة أو بالإيماء، أو بوجود علاقة عرضية متعارف عليها، وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً محسوساً يحل محل المجرد."⁽³⁾

والرمز في الأدب: "موضوع يشير إلى موضوع آخر، لكن فيه ما يؤهله لا يتطلب الانتباه أيضاً إليه، لذاته كشيء معروض، (والرمز في الأدب) يتولد في (المجاز)، و(الاستعارات)، و(التشبيه)، بإشارات دلالية لها معناها في التحليل، وبالتالي هو الصور بشفافيتها،"⁽⁴⁾ والفرق بين (الرمز) و(الصورة) و(المجاز) هو أنّ: "الصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز، لكنها إذا عاودت الظهور بإلحاح كتقديم وتمثيل على السواء فإنّها تغدو رمزاً."⁽⁵⁾

3- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، الجزء الأول، ص120.

2- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، الناشر مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، 2000، ص384.

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص102.

4- نظرية الأدب، شفيق يوسف البقاعي، جامعة السابع من أبريل، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص389.

5- المرجع السابق نفسه، ص389.

والرمزية: " كل اتجاه في الكتابة فيه استعمال الرموز إمّا بذكر الملموس وإعطائه معنى رمزياً، أو بالتعبير عما هو مجرد من خلال تصورات حسية مرئية كحروف الكتابة، أو اللوحات الفنية."⁽¹⁾ وعرفت الرمزية بالمعنى الفني الضيق بأنها: "طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلاً من تقريرها أو تسميتها أو وصفها."⁽²⁾

وظهرت الرمزية مذهباً أدبياً في "النصف الثاني من القرن التاسع عشر،"⁽³⁾ غير أنّ للرمزية أصولاً يمكن إرجاعها إلى الفكر الإنساني القديم المتمثل في (المثالية الأفلاطونية) "التي كانت تتكرر حقائق الأشياء المحسوسة، ولا ترى فيها غير صور ورموز لعالم المثل، عالم الحق والخير والجمال."⁽⁴⁾

فالرمزية هي: "اتجاه فني يغلب عليه سيطرة الخيال على كل ما عداه سيطرة تجعل الرمز دلالة أولية على ألوان المعاني العقلية والمشاعر العاطفية ... والتعبير بالرموز عادة قديمة في تعبیر الإنسان، بل عادة قديمة في بديهة الإنسان."⁽⁵⁾

ويتحدث الأستاذ فتحي رمضان القراضي عن الرمزية فيقول: " يقصد بالرمزية أن يتوارى الشاعر وراء رمز محدد يخاطب من خلاله من يريد مخاطبته، وكثيراً ما يطغى هذا الأسلوب في القصائد الوطنية والاجتماعية التي تعري الأوضاع الفاسدة."⁽⁶⁾ والرمز مرفوع من الكتابة التي تقسم إلى: تعريفين وتلويح ورمز وإيماء وإشارة.

1- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص102.

2- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1984، ص3.

3- المرجع السابق نفسه، ص161.

4- المرجع السابق نفسه، ص47.

5- المدارس الأدبية ومذاهبها، القسم التطبيقي 2، يوسف عيد، ص212.

6- شاعرية الرقيعي في ضوء النقد الحديث، فتحي رمضان القراضي، ص70.

والرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية قال: رمزت إليّ مخافة من بعلمها من غير أن تُبدي هناك كل منها الإيضاح.

"والمقصود بالرمز هنا الإيحاء؛ أي التعبير غير المباشر عن الخبايا النفسية المستترة التي لا تقوى على ادائها اللغة في دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء فتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح."⁽¹⁾

"فالصورة الرمزية ذاتية لا موضوعية... وهي تجريدية تنتقل من المحسوس إلى عالم العقل والوعي الباطني، ثم هي مثالية نسبية لأنها تتعلق بعواطف وخواطر دقيقة عميقة تقصر اللغة عن جلائها."⁽²⁾

ووظيفة الرمز في التعبير الشعري الحديث "وسيلة للإيحاء بالمضمون العاطفي أو الفكري الكامن خلف اللفظ المستعمل كرمز... فالرمز ليست وظيفة تجسدية ولا تصويرية، بل وظيفة إيحائية، وهكذا يتميز الرمز في التعبير الشعري الحديث عن مجازاتنا القديمة في أساسه الفلسفي وفي وظيفته على السواء."⁽³⁾

"فالرمز يفهم من إيمائه وإيحاءه أضعاف ما يفهم من كلماته. وفي الغالب تسعى الرمزية إلى خلق حالة نفسية خاصة، والإيحاء بتلك الحالة في غموض وإبهام يصعب معه أن نحلل عقلياً تفاصيل

1- اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، أحمد عوين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2010، ص41.

2- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص395.

3- الأدب وفنونه، محمد مندور، نهضة مصر، د. ط، د. ت، ص39.

المعاني التي تعبّر عنها القصيدة، وبذلك تكون مهمة اللغة الأساسية عند الرمزيين هي الإيحاء ونقل وقع الأشياء الخارجية والداخلية من نفس إلى نفس.⁽¹⁾

ومن بين الوسائل الفنية التي استعان بها الرمزيون لكي تتوافر الصفات الإيحائية للصورة هي (ترسل الحواس) "فتعطي المسموعات ألواناً وتصير المشمومات أنغاماً وتصبح المرئيات عاطرة".⁽²⁾

ويمثّل الرمز "عملية تفاعل داخلية بين طرفين: أحدهما ظاهر، والآخر مستتر، تقرنهما ارتباطات نفسية واجتماعية أو مثالية روحية، كالهلال عند المسلمين، والطلل عند الجاهليين".⁽³⁾ "ولاشك أنّ الرمزية منحت الأدب قوة جديدة كان في حاجة إليها، فساعدت على ارتياد عوالم النفس الخفية واطلاق طاقات الإبداع والتذوق لدى كل من الأديب والمتلقي وحققت نجاحاً ملحوظاً في الشعر بصفة خاصة، وكانت ذا أثر عميق عند الذين عرفوا كيف يستفيدون من وسائل الإيحاء المختلفة، ولم يسيئوا استخدامها بالإغراق في الابهام، والإفراط في الغموض".⁽⁴⁾

واتسعت ظاهرة استخدام اللغة اليومية البسيطة في الشعر عند بعض الشعراء وشكّلت أحد سماته البارزة وهذا يعني: "أنّ الشعر يتخذ من هذه اللغة مادته الأولية التي يتعامل معها ويعيد تشكيلها في بنى شعرية مفارقة لصورتها الأولى، فالشاعر يتناول المألوف في الحياة موضوعاً ولغة، ليعيد

1- القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، واصف أبو الشباب، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص245.

2- اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، أحمد عوين، ص42.

3- النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم عيسى، دار اليازوري، عمان، الأردن، د . ط، 2006، ص213.

4- المدخل إلى المذاهب الأدبية الكلاسيكية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، رجاء جابر، مكتبة الشباب، د. ط، 1989، ص80.

بناءه فنياً في صورة اللامألوف (الفن)، ولذا فإن نجاحه يرتبط بقدرته على مواجهة المتلقي بما يألف في صورة ما لا يألف؛ أي على تغريب المألوف.⁽¹⁾

فالمألوف وغير المألوف يتحددان من خلال عنصر اللقاء الدلالي المتبادل بين الشاعر والمتلقي على مستوى النسق اللغوي ذاته ودلالاته السياقية في آنٍ معاً،... وهذا يدل على وجود نسيج لغوي يتشكل في مجموعة من العناصر أو الخيوط التي تكونه في صورة كل فني ذي سمات مميزة، وهذه العناصر على اختلافها في مصادرها وتباينها في طبيعتها تندرج بمجملها في إطار المألوف البسيط من حيث المفردات والأنساق والسياقات.⁽²⁾

كما أنهم يرون أنّ أهمية الرمز تكمن في "رغبة الشاعر في توصيل الفكرة بسبيل غير مباشر ونقل الخبر بطريقة رامزة مركزة، تبعد عن الجزئية، وتميل إلى الشمولية وتعبّر عن الإحساس بوحدة الوجود، وتداخل العوالم، وعدم الفصل الكامل بين عناصر الكون."⁽³⁾

وبذلك قدم الرمز للقصيدة أبعاداً متعددة رافقت التعبير عن التجربة الشعورية لإفساحه مساحة كبيرة من الإيحاءات، والظلال التي تحيط بالمعاني الدقيقة في إطار تلك التجربة، ومزجه بين عناصر الكون المختلفة في وحدة متكاملة قائمة على التشابه النفسي.⁽⁴⁾

واتّجه الشعراء إلى استخدام الرمز لأسباب "يتصل معظمها بالأحوال السياسية والاجتماعية، وتعددت طبيعة رموزهم، وتنوعت بتنوع رؤى الشعراء واختلاف تجاربهم، فاستمدت عناصرها من مظاهر الطبيعة والإنسان والحيوان والنبات والأماكن والتاريخ، ومن الحياة الواقعية التي يعيشها

1- نص على نص، قراءات في الأدب الحديث، زياد الزعبي، عمان، د. ط، 2002، ص12.

2- انظر: المرجع السابق نفسه، ص13.

3- القصيدة الرومانسية في ليبيا، تهاني مفتاح راشد، ص323.

4- المرجع السابق نفسه، ص323.

مجتمعنا العربي.⁽¹⁾ كما يشير الأستاذ أحمد محمد الجرم بصورة موجزة إلى أسباب لجوء الشعراء إلى استخدام الرمز في قصائدهم حيث يقول:

"1- الشعور بالعجز عن التصريح، وعادة ما يرجع ذلك إلى ظروف البيئة الاجتماعية التي تقيد حركة الشاعر وتمنعه من التعبير عن بعض القضايا الاجتماعية.

2- الخوف من التصريح الذي يعرض الشاعر للأذى خوفاً من بطش الأنظمة الحاكمة التي لا تقبل النقد، أو خوفاً من الاتهام بالزندقة، أو التعرض لسخط الرأي العام.

3- الرغبة في التفوق بالظهور بمظهر الإغراب، وبإلباس الشعر طابع الغموض.⁽²⁾

ومن الرموز التي استخدمها السوسي في قصائده رموز الابتداع الذاتي ومنها: الرموز الطبيعية، كما استخدم رموز الحياة الواقعية والتراث الإنساني ومنها: الرموز الدينية، والرموز التاريخية، والتراثية والشعبية وهي ما اصطلح على تسميتها بمنابع الرمز.

منابع الرمز: للرمز منبعان رئيسان وهما:

1- الابتداع الذاتي.

2- الحياة الواقعية والتراث الإنساني.

أولاً: الابتداع الذاتي: " ويعتمد على الحياة الباطنية للشاعر، ومكوناتها ومخزوناتا، وقدرتها على صنع صور رمزية متفردة، تتجاوز سطوح الأشياء إلى كل مكنون عميق، فتعامل الشاعر مع واقعه يخلق لديه رؤية ذاتية خاصة، وتتراكم الرؤى مشبعة بالأحداث المتنوعة، فيستغلها رموزاً لأحاسيسه، فحين يتفاعل مع الطبيعة وظواهرها تصبح تلك الظواهر خلايا في نفسه يبني بها

1- النقد الأدبي الحديث، العربي حسين درويش، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991، ص204.

2- اتجاهات نقد الشعر الليبي الحديث في الفترة من 1950 - 1995، أحمد محمد الجرم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الطبعة الأولى، 2010، ص126 .

مخلوقه الفني . واستغل الشعراء (المطر، الرعد، الفرس، الرياح وغيرها) في خلق رموز لما يعتمل في أعماق اللاشعور عندهم.⁽¹⁾

ثانياً: الحياة الواقعية والتراث الإنساني: "وهو المنبع ... الذي يشترك في خلقه وتكوينه وإمداده الأمة مكتملة، في حاضرها وماضيها، أما حاضرها فيشكله واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي، أو ما يمكن أن ندعوه البناء التحتي للمجتمع ... أما ماضيها فيشكله تراثها بكل ما يرفده من ضروب المعارف، والأحداث والتاريخ والأساطير وغيرها."⁽²⁾

وهكذا ظهر استخدام الرمز في الشعر الليبي واضح الأثر من النصوص الشعرية لهؤلاء الشعراء، من بينهم الشاعر حسن السوسي الذي استخدم الرمز لأغراض متعددة، وستقف الباحثة على بعض النماذج في نصوصه الشعرية التي وظفها لخدمة الصورة الشعرية.

1- المرأة:

المرأة عنصر مهم ولها دور كبير في نسيج التعبير الشعري عند الشعراء على اختلاف عصورهم، ولذلك حازت مكانة مرموقة في الشعر العربي قديمه وحديثه؛ لكونها مصدر إلهام الشعراء، ومبعث إثارة عواطفهم ووجدانهم، ولهذا السبب زاد انشغال الشعراء بالمرأة وأخذوا يصفون مشاعرهم، وأحاسيسهم، وانفعالاتهم تجاه تلك المرأة، "واتخاذ المرأة رمزاً ليس أمراً جديداً فالمرأة كانت الحاضر الأكبر في الشعر عامة، والعربي - قديمه وحديثه - خاصة، فهي في الغالب رمز الوطن والدفء والعشق والحنان والانتماء، وفي المقابل قد تكون رمزاً للخداع والغرور

1- التصوير الشعري التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1980، ص152.

2- المرجع السابق نفسه، ص154.

والضياح،⁽¹⁾ فقد كان حضور المرأة في أشعارهم رمزاً للسعادة. فالعلاقة التي قامت بين الشاعر العربي والمرأة في الشعر القديم هي نفسها "العلاقة التي قامت بينها وبين الشاعر الحديث، فقد كانت المرأة دوماً مثل الشاعر الأعلى ومصدر وحيه وإلهامه: في حالتي الوصل والهجر،"⁽²⁾ وهكذا سار الشعر والشعراء على هذه الطريقة حتى جاء الشعر الحديث فقلب الموازين فأصبح "وجود المرأة يشكّل أكبر عبء على روح الشاعر."⁽³⁾

واحتوت قصائد السوسي على عدد من الصور الرمزية للمرأة فتراها تعج بالعاطفة الصادقة ففي قصيدة بعنوان (أنت بي) يقول فيها:

أَتَعْبَتِنِي وَصَلًا وَهَجْرًا وَأَدْبَتِنِي طَيًّا وَنَشْرًا
أَتَزُونِي طَيِّفًا - وَتَهْ - جُرْ - بَعْدَهَا - شَهْرًا وَشَهْرًا⁽⁴⁾

يُظهر الشاعر مدى تعلقه بالمرأة فلم يتركها في وصلها وهجرها على الرغم ما عاناه من متاعب في سبيلها. وهي رمز للخداع والغرور، حينما يسقط قناع الزيف فيسأم منها ويضجر ويمل. فقصيدته بعنوان (سأم) يقول فيها:

وَلَكِنْ تَكْشَفَ لِي مِنْكَ مَا تَكْشَفَ مِنْ زَيْفِكَ الْمُتَّقِنِ
فَأُصْبَحْتُ فِي مُقْلَتِي صُورَةً نَشَارًا تَشْفُ عَلَى الْأَعْيُنِ
وَأُصْبَحَ مَعْنَاكَ يَا حَلَوْتِي هُوَ الشَّكُّ فِي خُلْدِ الْمُؤْمِنِ
صَحْبَتُكَ حِينَئِذَا وَلَكِنِّي مَلَأْتُ فَلَا تَحْسَبِي أَنَّنِي
فَقَدْ يَبْرُمُ الْمَرْءُ مِنْ جُلْدِهِ وَيَسْأُمُ مِنْ عَيْشِهِ الْيَنِ⁽¹⁾

1- الصورة الشعرية في القصيدة الليبية المعاصرة، سليمان زيدان، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، الطبعة الأولى، 2013، ص 93.

2- أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، أحمد المعداوي، منشورات دار الأفق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، 1993، ص 159.

3- المرجع السابق نفسه، ص 160.

4- ديوان الفراشة، حسن السوسي، ص 56.

كما حازت المرأة والطبيعة معاً اهتمام الشاعر حسن السوسي؛ لكون المرأة والطبيعة عنده وجهان لعملة واحدة، وهذا ما جعل السامع أو المتلقي لا يستطيع أن يميز بينهما لتحقيق شدة الاندماج الكامل. وهذا ما كان واضحاً من ربط الشاعر بين المرأة والطبيعة التي تمثل النحلة، فرمز للمرأة بالنحلة وهي عنصر من عناصر الطبيعة في قصيدة بعنوان (نحلة) حيث يقول فيها:

وَمَا شَامَةٌ حَوْلَ ثَغْرِ الْحَبِيبِ نَمَتْ فَنَمًا بِالْحَبِيبِ افْتِنَانِي
سَوَى نَحْلَةٍ حَلَقَتْ وَأَدْنَتْ لِرَشَفٍ مِنْ زَهْرَةِ الْأَقْحَوَانِ⁽²⁾

ويلجأ إلى الطبيعة من أجل تصوير المرأة لعلاقتها الوطيدة بالطبيعة، فالشاعر يقطف صورة من الطبيعة وهي (الفراشة) فيفسر صورته بالطبيعة في قصيدة بعنوان (فراشة) يقول في بعضها:

هِيَ كَالْفَرَّاشَةِ إِنَّمَا نُوَارِهَا وَزُدَّ الْقُلُوبِ
نَشْتَاقُهَا شَوْقِ الْمُحِبِّ إِذَا تَلَهَّفَ لِلْحَبِيبِ
وَنَخَافُ سُلْطَانَ الْجَمَا لِوَنَنْقِي وَهَجَ اللَّهْيَبِ⁽³⁾

وتتعدد الصورة الرمزية الطبيعية في النص الشعري لعلاقتها القوية مع الإنسان فتتداخل صور الطبيعة مع صور المرأة، فالشاعر يأخذ صورة الطبيعة وهي (الظبية) التي تُعدّ من عناصر الطبيعة ليرمز لها بالمرأة في قصيدة بعنوان (فتاة المصرف) يقول فيها:

يَا ظَبْيَةً فِي الْمَصْرِفِ الْعَرَبِيِّ أَنْتِ الرَّصِيدُ لِقَلْبِي النَّعْبِ
عَيْنَاكِ رَاحَةٌ مُهْجَتِي بِهِمَا أَرْتَاخُ مِنْ نَصَبٍ وَمِنْ لَغَبِ
يَا قُوتَنَا كُنْزَ صَفَاؤُهُمَا أَعْلَى مِنَ الْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ⁽⁴⁾

1- المرجع السابق نفسه، ص42.

2- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص161.

3- ديوان الفراشة، حسن السوسي، ص25.

4- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص117.

2- الطبيعة:

استخدم الشاعر رموز الطبيعة المتنوعة لكونها ميدان خصب يسرح فيها الشعراء ليستوحوا إلهامهم فتقوى أغراضهم الشعرية، ومن بين هذه الرموز الطبيعية الأشجار، والأزهار، والأرض، والسماء، والحيوانات، والحشرات، والصحراء، والبحر، غير أنّ بعضها يرمز للحياة والأمل والبعض الآخر يرمز للموت واليأس.

ومن الرموز الطبيعية التي استخدمها الشاعر الحشرات فقد استخدم (الجراد) هذه الحشرة التي لا تكون إلا في مجموعات كبيرة، فحين تغزوا أي مكان فإنّها لا تبقى ولا تذر، فلا تترك وراءها أخضراً ولا يابساً، ففي قصيدة بعنوان (إفريقيا) يقول في بعضها:

وَحَطَّ الْجَرَادُ بِأَسْرَابِهِ كَمَا شَبَّتِ النَّارُ فِي الرُّوبَعَةِ⁽¹⁾

وفق الشاعر في اختياره هذا الرمز حينما رمز به على جيوش الغرب المحتل وكتائبه الجرارة التي غزت إفريقيا فعاثت فيها فساداً، ودماراً، وتشريداً، وقتلاً دون وجه حق ودلالة هذا الرمز على همجية الغرب.

ويستعير الشاعر صورة أخرى من الطبيعة لتكون رمزاً له فوظف الشمس والنجم في النص من أجل أن يمزج الطبيعة في الإنسان، فالمسار الرباني البديع المنظم لكل من (الشمس والنجم) وسيرهم في مدارهم الفلكي له دلالة إيجابية على المستوى الاجتماعي، فدلّ به الشاعر على السير المنظم للإنسان الحر الكريم في حياته، ويظهر هذا في قوله:

وَالشَّمْسُ إِلَّا مَسْلُكاً وَاحِداً فَإِنْ تَحَدَّ فَالْكَوْنُ قَدْ يَنْهَدِمُ
وَالنَّجْمُ إِنْ خَالَفَ فِي سَيْرِهِ مَسْرَاهُ تَاهَ النَّجْمُ بَيْنَ السُّدُمِ⁽²⁾

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998، ص 60.

2- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص 177-178.

وفي نفس القصيدة استخدم الشاعر لفظ (النسر) ذلك الطائر الذي لا يعيش غير القمم فيلازمها ليكون رمزاً للدلالة على الشموخ، وتعلق النسر بالذرى والقمم العالية فلا يرضى بالعيش في الأماكن المنخفضة، فدلّ على سمو الإنسان وعلو مكانته ويظهر مدى نفور الإنسان من العيش الذليل ونجد ذلك في قوله:

فَالنَّسْرُ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الذُّرَى مَاوَى وَلَا يَأْلُفُ غَيْرَ الْقِمَمِ⁽¹⁾

3- رموز التراث الأدبي:

حاول الشعراء المحدثون "استخدام الشخصيات الأدبية رموزاً لمواقف اقترنت بهم، والتصقوا بها، ففي استحضار تلك المواقف استتارة لبعض الزوايا الفنية، أو الفكرية، أو الاجتماعية، أو السياسية والإيحاء بما تحمله تلك المواقف في ثناياها، والمزج بينها وبين المواقف الشعورية المعاصرة التي تطلبتها،"⁽²⁾ "ومن الطبيعي أيضاً أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الأكثر التصاقاً بنفوس الشعراء ووجدانهم؛ لأنها هي التي عانت التجربة الشعورية ومارست التعبير عنها وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر."⁽³⁾ ومن أمثلة تلك الرموز الشعورية التي وظّفها الشاعر حسن السوسي الشخصية الأدبية للشاعر العباسي (بشار بن برد) فيقول في قصيدته (الغارة):

فَيَا قَوْمَنَا قَدْ آنَ أَنْ تَتَمَثَّلُوا مَقَالَ (ابن بُرْد) حِينَ قَالَ فَأَحْكَمَا
إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَهُ (عَرَبِيَّة) هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمًا⁽⁴⁾

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص178.

2- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص159.

3- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1948، ص173.

4- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص134.

حاول الشاعر حسن السوسي أن يصوّر قوة الإصرار والعزيمة التي تميّز بها الشاعر القديم؛ ليرمز إلى الدور الإيجابي والمُجدي الذي يمكن أن يقوم به الشاعر؛ لتحريك همم الشعوب المستضعفة، وإثارة الاستعداد للقتال رغم الهزيمة والانكسار.

وظفر الرمز في شعره بالاهتمام البالغ لكونه منبع للإحياء يعتمد عليه في أعماله الشعرية، فهو كغيره من الشعراء الليبيين الذين جسدوا الرمز، لارتباط الشعر الليبي بما حوله من الشعر العربي برزت مظاهر التأثير واضحة للرمز في الشعر الليبي بتنوع صور الرمز ما بين الرموز الدينية، والتراثية، والتاريخية، والأسطورية، والنضالية، والطبيعية، فهي تحمل بين طياتها معاني إيحائية عميقة الأثر في الدلالة.

ثالثاً: الشعر الجديد:

ورد تعريف الشعر الحر على أنّه: " ذلك الشعر الذي لا يتقيد بالوزن أو القافية، ابتدعه الشاعر الفرنسي (لافونتين) في القرن السابع عشر بنظمه حكايات الحيوان في أبيات ذات أطوال مختلفة وقوافٍ متباينة. ولكن العصر الذهبي للشعر الحر في فرنسا هو منذ 1886 حين ازدهرت المدرسة الرمزية في الشعر التي اعتمدت على تجنيس الأصوات بدلاً من القافية، وعلى الإيقاع بدلاً من الوزن، ويُعدّ (جوستاف كان) أوضح مُبَيّن لمميزات هذا الشعر في المدرسة الرمزية الفرنسية، ويمكن القول إنّ أغلب الشعر المعاصر في أغلب اللغات قد تحوّل إلى الشعر الحر.⁽¹⁾ وتقول نازك الملائكة حول تعريف الشعر الحر: "هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنّما يصح أن يتغير عدد النفعيلات من شطرٍ إلى شطر ويكون هذا التغير وفق قانون عروضي يتحكم فيه."⁽²⁾

1- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص120.

2- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، الطبعة الثالثة، 1967، ص60.

وانطلقت البداية الأولى لحركة الشعر الحر من العراق على يد الشاعرة نازك الملائكة سنة 1947، ثم امتدت إلى باقي أجزاء الوطن العربي، وكانت أول قصيدة حرة الوزن والقافية بعنوان (الكوليرا).⁽¹⁾ وبذلك تُعدّ الشاعرة رائدةً من الرواد الأوائل في الشعر الحر فهي أكدت على مفهوم هذا الشعر منذ بداية انطلاقته استمراراً للحركات التجديدية السابقة حيث قالت: "إنّه لون بسيط من الخروج على القواعد المألوفة، أسلوبه جديد في ترتيب تفاعل الخليل ... ومزية هذه الطريقة أنّها تحرر الشاعر من طغيان الشطرين ففي البيت ذي التفعيلات الست الثابتة يضطر الشاعر إلى أن يخيم الكلام عند التفعيلة السادسة أو الثامنة، وإن كان المعنى الذي يريده قد انتهى عند التفعيلة الرابعة بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء."⁽²⁾

وعندما صدر ديوان (شظايا ورماد) في 1849/8/23 أثار ضجة عنيفة في الصحف داخل العراق وخارجها وكان أكثر أسباب ذلك كما تقول نازك "أني دعوت فيه إلى الشعر الحر ووضعت الموازين وأثبت أسماء البحور التي يمكن نظم هذا الشعر منها، وكانت دعوتي عنيفة جارفة دعوت فيها إلى تطوير أوزان الشعر وتطوير اللغة التي يكون عليها أن تركض مع الحياة فإن لم تفعل ماتت واستحقت التحنيط."⁽³⁾

ويمتاز الشعر الحر بتعدد بحور الشعر في القصيدة الواحدة وتنوع الوزن والقافية أي عدم التزامه بالقافية، وتتعدد القوافي في القصيدة الواحدة، وهذا يسوقنا إلى التنوع الموسيقي في القصيدة، ويقوم على الشطر الواحد إلا أنّه يطول أو يقصر، كما يلتزم بالتفعيلة الواحدة.

1- انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص 23.

2- ديوان شظايا ورماد، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، د. ط، 1949، ص 13.

3- قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، إعداد: محمود أمين العالم وآخرون، دار الثقافة، تونس، مقال بعنوان: الشعر في حياتي لنازك الملائكة، 1988، ص 259-260.

والشعر الحر ليس جديداً على البيئة الليبية، وإن كان ظهوره بصورة واضحة يعود إلى "الخمسينات من القرن العشرين على يد الشعراء الشباب في ذلك الوقت، ومنهم علي صدقي عبد القادر، وعلي الرقيعي، خالد زغبية، وغيرهم، وكان لرواج مجلات الشعر الحديث مثل مجلة (الآداب) ومجلة (شعر) أثرهما في شيوع نماذجها الشرقية بين الشباب والتمكين لتأثيره في النفوس، فضلاً عن قضايا الحياة التي كان يعالجها من وجهة نظر جديدة ... وفي أواخر الستينات صدرت دواوين وبرزت محاولات للتوسع في نشر الشعر الحر بأقلام نخبة من الشعراء منهم علي الفزاني، وحسن صالح، ومحمد الشلطامي، ثم في السبعينات وما بعدها ظهرت أسماء لها مشاركات متفاوتة في مستوى نضجها وحجم عطائها منها أعمال إدريس بن الطيب، والسنوسي حبيب،... وغيرهم من الشعراء.⁽¹⁾

وعرف الكثير من الشعراء الليبيين الشعر الحر الجديد فنظموا فيه قصائدهم، وتفننوا في كتابته تبعاً لما يقتضيه الموقف لتلك الظروف والأوضاع السياسية، والاجتماعية، ولكون هذا الشعر حركة جديدة فكانت بدايته بسيطة، ولكونه تجربة شعرية محملة بمفاهيم وطنية وقومية، تفاعلت مع أحداث الواقع المرير لقضايا الوطن، والمجتمع، والأمة التي أججها الوجود الاستعماري، فنارت مشاعر الشعراء، ومن هنا نال اهتمام الشعراء في ليبيا.

وتميز الشاعر حسن السوسي بهذا اللون من النظم - الشعر الحر - إلا أنه كان مقلداً له في شعره، وعلى حد قوله "ربما الدافع على الكتابة بهذا الشكل مجرد حب التنويع والخروج عن المألوف، لا ضيقاً به بل للتجربة فقط،"⁽²⁾ فمنه قوله في قصيدته (الميلاد الثاني):

1- الشعر الليبي في القرن العشرين، عبد الحميد عبد الله الهرامة، عمار جحيدر، ص28.
2- مجلة الفصول الأربعة، العدد 64-65، لقاء حسن السوسي، أعده: عبد السلام شلوف، ص214.

دَارَ الزَّمَانِ دَوْرَتَيْنِ

وَعُدْتَ -عُدْتَ يَا بُنَيَّ بَعْدَ حِينٍ

مِنْ عَالَمٍ كَعَالَمِ الْحُوتِ الَّذِي اخْتَوَى

مُسَيِّحًا - ذَا النُّونِ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذَرَكُهُ

عِنَايَةُ الرَّحِيمِ

وَتَحْتَوِيهِ سَرَحَةُ الْيَقُطِينِ⁽¹⁾

وكذلك قول الشاعر في قصيدة بعنوان (سيد العارفين):

يَا سَيِّدَ الْعَارِفِينَ

يَا بَهْجَةَ الرُّوحِ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ

يَا قِبْلَةَ الْعَاشِقِينَ

و يَا مَشْرِقَ الْأَمَلِ الْمُسْتَهْلِ

و يَا مَوِئِلَ الْمُتَقِينَ

و يَا مَنْ عَقَدْتُ عَلَيْهِ الرَّجَاءَ

وَأَعَدَدْتُهِ لِعَوَادِي السَّنِينَ

لِمَاذَا تُجَشِّمُنِي فَوْقَ مَا أُطِيقُ

وَتَقْتُلُنِي مَرَّتَيْنِ

وَتَعْرِفُ أَنِّي حَبِيسُ هَوَاكَ⁽²⁾

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص117.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص215.

ويمكن التمثيل للشعر الحر من حيث إنه ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، فيقصر أو يطول
فيمكننا أن نمثل لذلك بما قاله الشاعر في قصيدة بعنوان (العنوان):

هَٰذَاكَ

فِي أَوَّلِ ثَلَاثِ الزَّنَقَةِ

وُضِعَتْ لَوْحَةً

مَكْتُوبٌ فَوْقَ اللَّوْحَةِ دَرْبُ سَلِيمَةٍ

الدَّرْبُ أَمَامِي مُنْتَدٍ رَطْبٌ ضَيِّقٌ

تَسْبِقُهُ بَاحَةٌ فِي طَرَفِ الْبَاحَةِ دُكَّانٌ

وَوَقَفْتُ عَلَى دَارٍ مِنْ تِلْكَ الدُّورِ

تَحْمِلُ رَقْمًا

أَخْبَرَنِي شَيْخٌ هَرِمٌ يَجْلِسُ فِي سَمْتٍ وَوَقَارٍ

قَدَّامَ الدُّكَانِ

يُدَاعِبُ سِبْحَتَهُ

وَيُيَمِّتُ فَمَهُ بِالْأَذْكَارِ⁽¹⁾

وقوله في قصيدته (عهدة مستديمة):

بِكَلِّ الْمَقَابِيِسِ تَبْقَيْنَ أَنْتِ الْعَظِيمَةُ

وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ الْكَرِيمَةُ

وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ الَّتِي تُشْعَلُ الْبَالُ

أَنْتِ الزَّعِيمَةُ

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 197-198.

وَأَنْتِ الْحُكُومَةُ

فَأَسْرَارُ حُسْنِكَ - هَذَا - مُحَالٌ

تُقَاوِمُهَا قُوَّةٌ أَوْ عَزِيمَةٌ

وَقَدَامَ سُلْطَانٍ مَجْدِ الْجَمَالِ

يَطِيبُ الْفَرَارُ

وَتَخْلُو الْهَزِيمَةُ⁽¹⁾

والشعر الحر حركة تجديدية في الشعر العربي عامة، والشعر الليبي خاصة، مفادها التجديد في الأوزان والقوافي، وقيام الشعر الحر على وحدة التفعيلة، ولتميزت الأعمال الشعرية للشاعر حسن السوسي باكتسابها لخصائص الشعر الحديث والشعر الحر، فنجد من المقلين لقصيدة التفعيلة، بينما نجد جل دواوينه الشعرية احتوت على القصائد التقليدية والتي اتبع فيها الطريقة الخليلية.

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 177.

الفصل الثاني

النزعة القومية في شعر السوسي

المبحث الأول القضايا القومية

غلبت على شعر حسن السوسي نزعة قومية صادقة وواضحة، صدرت عن مشاعر تتطلع إلى مجتمع يرفض الظلم، والحد، والبغض، والطغيان، وينشر في محيط مجتمعه رائحة السلام، والعدل، والمساواة، والحرية، والألفة بين أبنائه. "الشاعر هو الذي يتخطى عالم فنه، ويتجاوزته؛ ليكون معلماً، ومرشداً، وموجهاً يثير مشاعر الإنسانية، وينشر بشعره المبادئ السامية، والمثل العليا، ويحارب بكلماته الظلم، والشر، ويستهدف دنيا إنسانية ملؤها السعادة في جميع أرجاء هذه البسيطة المترامية الأطراف."⁽¹⁾

فالشاعر ذو إحساس وشعور مرهف فمن هذا الشعور والإحساس يجعله يشعر بما يعانيه الإنسان من مرارة الحياة من ظلم، وفقر، وحرمان، فببراعة كلماته يعالج الشاعر قضايا ومشكلات، فيطالب برفع الظلم، وإنصاف الفقير، وإعطاء المحروم. وبهذا ينبذ الشاعر الخلافات بين أبناء الأقطار العربية، ويحثهم على ضرورة بناء الوحدة العربية الشاملة. وهكذا قد تجلت النزعة القومية في شعر حسن السوسي بعيدة عن أي تعصب عرقي، أو ديني، أو لوني، أو حضاري، أو اجتماعي.

ومن أبعاد تلك النزعة نشر المحبة بين أبناء العروبة والأمة العربية، فيها يقوى الانتماء القومي؛ من أجل تحقيق الحرية والوحدة العربية. "فالانتماء القومي لا يتنافى مع التسامح والإخاء الإنساني، فلا تعصب، ولا تمييز، ولا استعلاء."⁽²⁾

وأما الحديث عن النزعة القومية فإنه موضوع جدير بالدراسة لما له من علاقة بالإنسان، وارتباطه بقضاياها في مختلف الأقطار العربية، وعلى مر العصور يتطور مفهوم (النزعة)، ومفهوم (القومية) تاريخياً بتطور الثقافة، ونظراً لتردد كل من كلمة (النزعة)، و(القومية) في المؤلفات الأدبية والنقدية، وترددها أيضاً في مجالات الحياة اليومية، فلا بد لنا من التعرف على هذه الكلمات من الدلالات اللغوية والاصطلاحية كلاً حسب مصدرها، ولابد هنا من توضيح بعض المصطلحات التي يتردد ذكرها في ثنايا هذه الرسالة نحو لفظ (النزعة)، و(القومية).

1- النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم العيسى، ص 65.

2- المرجع السابق نفسه، ص 65.

والبحث عن مصطلح (النزعة) و(القومية) يستدعي تحديد المفهوم اللغوي لهذه الكلمات، ومن ثمّ تحديد مفهومها الاصطلاحي لإدراك فحوى كل منها بشكل واضح وصريح. فالهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على مفهوم (النزعة) و(القومية) عن طريق الإشارة العابرة؛ لتكوين فكرة شاملة عن هذا المفهوم.

النزعة:

- الدلالة اللغوية:

تمّ تحديد المفهوم اللغوي لكلمة (نزع) من خلال المعاجم اللغوية المختلفة، حيث عرّف معجم المصطلحات كلمة النزعة على أنّها (الميل).⁽¹⁾ ويقال: "نَارَعَتْنِي نَفْسِي إِلَى هَوَاهَا نِزَاعًا: غَالَبَتْنِي، وَنَزَعْتُهَا أَنَا غَلَبْتُهَا، ويقال: لِلإِنْسَانِ إِذَا هَوِيَ شَيْئًا وَنَارَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ: هُوَ يَنْزِعُ إِلَيْهِ نِزَاعًا.... وأصل النزع الجذب والقلع... ومنه نَزَعَ الإنسانُ إِلَى أَهْلِهِ وَالْبَعِيرُ إِلَى وَطَنِهِ يَنْزِعُ نِزَاعًا وَنُزُوعًا: حَنَّ وَاشْتَقَّ، وَهُوَ نُزُوعٌ، وَالْجَمْعُ نُزُوعٌ، وَنَاقَةٌ نَازِعٌ إِلَى وَطَنِهَا ... وفي الحديث: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ! قيل: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: النُّزَاعُ مِنَ الْقِبَائِلِ، هُوَ الَّذِي نَزَعَ عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ أَيْ بَعَدَ وَغَابَ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ نَزَعَ إِلَى وَطَنِهِ أَيْ يَنْجَذِبُ وَيَمِيلُ ... وَنَزَعَ فُلَانٌ إِلَى أَبِيهِ يَنْزِعُ فِي الشَّبَهَةِ أَيْ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَشْبَهَهُ." ⁽²⁾ "وقد أنزع القومُ إذا نزعت إبلهم إلى أوطانهم." ⁽³⁾

و(النزعة): عاد الأمر إلى أهله، (النُّزُوعُ): الذي يحن إلى وطنه ويشتاقه. ⁽⁴⁾

"وتُظْهِرُ اللُّغَةُ أَنَّ النِّزْعَةَ تَعْنِي حَرَكَةً مِنَ الدَّخْلِ إِلَى الْخَارِجِ ... أَوْ هُوَ إِخْرَاجٌ وَتَحَوُّلٌ فِي الْمَوْضِعِ، وَهَذَا نَجْدٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَزَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَيْ: حَنَّ وَاشْتَقَّ، وَيَنْزِعُ إِلَى وَطَنِهِ أَيْ: يَنْجَذِبُ وَيَمِيلُ، تَجْمَعُ: نِزَعَاتٌ بِمَعْنَى مَيُولَ وَاشْتِيَاقَاتٍ." ⁽¹⁾ والخلاصة من ذلك أنّ النزعة تعني (الميل).

1- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مادة نزع، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص222.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة نزع، ج14، ص349-350.

3- مجمل اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، د . ط، 1994، مادة نزع، ص863.

4- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، الطبعة الثالثة، 1985، مادة نزع، ص950.

وإذا تجاوزنا المعنى اللغوي لنصل إلى المعنى الاصطلاحي ممّا طالعنا عليه الفلاسفة من أنّ النزوع يقصد

به (المبول).⁽²⁾

- الدلالة الاصطلاحية:

"تؤخذ كلمة (نزعة) في المصطلحات الفلسفية العربية الراهنة للدلالة على المنحى الفكري، وتتخذ بشكل عام مع كلمات متجاوزة متقاربة هي: نسق، نظام فلسفي، مذهب، نظرية، تيار، حركة، إلّا أنّ النزعة ليست نسقاً عقلياً ولا نظاماً محكماً ممنهجاً ولا مذهباً متكاملًا."⁽³⁾ أي أنّ النزعة هي ميل فكري يحمل سمات معينة ودلالاته المذهبية أقل من المذهب.

إنّ حقيقة هذه النزعة كانت أصيلة في الإنسان ولم تكن أهواءً عابرة تهز المشاعر والأحاسيس وهدفها شامل نحو الإنسان فتطمح إلى السمو بالإنسان نحو القيم الرفيعة والمثل العليا وخلاصها من التعصب والتفريق والتجزئة وتحث الإنسان نحو الأخوة والألفة والتمسك بين أبناء الأقطار العربية حتى يسودهم الوئام، وتشدهم إلى غايات سامية مشتركة في وطن واحد وتتلاشى بينهم كل تعصب وتميّز فينعموا بالسلام المنشود، ومن هنا لا مفاضلة بين شرقي وغربي، أو بين مسلم ومسيحي، أو بين أسود وأبيض، أو بين عربي وأعجمي.

وترى الباحثة أنّ النزعة هي حراك شعوري متأجج داخلي تصدره النفس البشرية نتيجة ما يدور في داخل النفس الإنسانية من حب وحنين وشوق نحو أهله ووطنه فتظهره النفس إلى الخارج على هيئة سلوك، فيعبّر عنها الإنسان بال جذب والميل إلى ما آله إليه. ومن هنا يُفهم أنّ النزعة لم تكن فطرية بل اكتسبها الإنسان من الحياة التي عاشها بخلوها ومرها، كما ترى أنّ النزعة هي حوار داخلي بين الإنسان ونفسه.

1- النزعة الإنسانية، فصل سالم العيسى، ص 67.

2- انظر: أكسفورد للفلسفة، تد هوندرتش، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، ج 2، ص 919.

3- الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، الطبعة الأولى، 1986، ص 806 - 807.

القومية:

- الدلالة اللغوية:

حين تريد معرفة معنى القومية لابد من الرجوع إلى الأصل اللغوي لكلمة القومية، فالقومية في اللغة: تشتق من كلمة (قوم)، ويقول ابن الأثير: "القوم في الأصل مصدر قام،"⁽¹⁾ أي بمعنى اعتدل واستقام في الأمر.

والقَوْمُ في اللغة هم: "الجماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل: هو للرجال خاصة دون النساء."⁽²⁾

ووردت كلمة القوم في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.⁽³⁾

وكلمة القوم "يذكر ويؤنث، لأنَّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم."⁽⁴⁾

- الدلالة الاصطلاحية:

بعد أن تجاوزنا المعنى اللغوي لكلمة (القومية) يصادفنا المعنى الاصطلاحي. لم يكن هناك تعريف اصطلاحي محدد للقومية عند الباحثين والمفكرين وإن وجد كان ينطوي على ما يراه هؤلاء من تقارب تاريخي، وثقافي، وإقليمي.

إن لم يستطع الباحث والكتّاب أن يتفقوا على تعريف محدد لهذا المصطلح ألا وهو (القومية)، ولا أن يحددوا مدلولها بشكل واضح، فمنهم من قال عن القومية: هي (الدين)، ومنهم من قال: هي المنطقة الجغرافية، ومنهم من قال: هي العادات والتقاليد، وكذلك هناك من قال عن القومية: هي العرق البشري، كما أن هناك من جمع بين هذه المفاهيم كلها، ومنهم من أخذ ببعضها ورفض البعض الآخر.

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (قوم)، ج12، ص224.

2- المصدر السابق نفسه.

3- سورة الحجرات، الآية (11).

4- لسان العرب، ابن منظور، مادة (قوم)، ج12، ص224.

ومن هذا المنطلق فلا نستطيع الوقوف على مفهوم محدد؛ لأنّه مصطلح تعددت معانيه، وتتنوع دلالاته، ومضامينه، والذي بقيت عليه. "فالقومية مصطلح تاريخي واسع المعنى غامض الدلالة."⁽¹⁾

وفي ظل ما تقدّم نجد أنّ كلمة (القومية) يمكن أن تُفهم بمعانٍ كثيرةٍ دون حصرها في مفهوم معين، وهذا يدل على تباين الآراء حول مفهوم (القومية) اصطلاحياً، كما يدل على عدم وصول الباحثين والفلاسفة إلى مفهوم محدد للقومية فمنه نستنتج أنّ مفهوم (القومية) ليس ثابتاً بل يتطور بتطور المجتمعات؛ لأنّه يحمل مضموناً تاريخياً، وسياسياً، واجتماعياً.

إذن (القوم) كما ترى الباحثة هم: جماعة من البشر تربطهم علاقات إنسانية تتمثل في وحدة الأصل، واللغة، والدين، والعادات، والتقاليد، واللون، والماضي المشترك بين أبنائها وسائر الأقطار العربية.

وهكذا يتضح أنّ القومية: هي عبارة عن مجموعة من البشر تربطهم رابطة الشعور، والانتماء، والولاء لهذا الموقع الجغرافي الذي يعيشون فيه.

هذا يجرنا إلى أنّ اندماج الجماعات البشرية بعضها مع بعض يقوي هويتها، واستقلالها، وشخصيتها، ووحدها بما تحس وتشعر به من وحدة اللغة، والتاريخ، والانتماء، والآمال، والأهداف المشتركة.

فالعرب قبل القرن التاسع عشر الميلادي تكبلهم قيود الفرقة والتفكك والتجزئة مما سهل على أعدائهم سرعة السيطرة والقبض على العرب، وظل العرب يسبحون في بحيرة الركود والجمود والفساد والانحطاط الفكري في الشرق العربي، وارتبط مصير الأقطار العربية بعضها مع بعض التي كانت في "حوزة الدولة العثمانية"،⁽²⁾ ونحن إذا تتبعنا تتطور الاتجاهات الأدبية في الشرق العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

1- الظاهرة القومية مدخل على الفكر القومي العربي، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، مشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998، ص 27.

2- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، د. ط، 1985، ص 17.

نلاحظ غلبة النزعة العثمانية الإسلامية على مضمون الإنتاج الفكري لدى أعلام ذلك العصر الذين كانوا يؤمنون بالرابطة الإسلامية والجامعات العثمانية.⁽¹⁾

وخرج العرب من ذلك الكابوس الذي كان مسيطراً عليهم في القرن التاسع عشر عندما انبثقت الحركة الأدبية (الفكرية)، وظهرت بوادر الروح القومية في العرب؛ لتعبر عن مدى قوة القومية، وامتدت إلى كافة أنحاء العالم العربي، حيث أصبحت القضايا القومية همّاً من هموم الشعراء في العصر الحديث، محاولين الدفاع عنها، وعن مضامينها، والالتزام بمنهجها والسير على طريقها.

ونظراً لمكانة القومية عند الشعراء - قديماً وحديثاً- نادوا بها، وغنى لها الشعراء، ومن بين أولئك الشعراء الذين حرصوا على تجسيد المناسبات القومية بغاياتها الواضحة، والكامنة - مبينين أنّ وجود القومية مقترنٌ بوجود الأمة- الشاعر حسن السوسي، وستحاول الباحثة هنا تتبع أثر تصويره للقضايا القومية في الأقطار العربية.

1- قضية فلسطين:

أثارت قضية فلسطين اهتمام العرب قاطبة، وهذه الإثارة تتجلى بوضوح على ألسنة الشعراء في مختلف أوطانهم، فهي من القضايا المهمة في الشعر القومي العربي، وواقعٌ أليمٌ في صدر كل شاعر عربي.

فليس بغريب أن يبدأ الحديث بفلسطين التي تُعدّ قضيتها من أهم القضايا في الشعر القومي العربي، والشعر القومي الليبي؛ لمكانتها وهي القلب النابض بالحياة، والأمل للأمة العربية، فتمتاز بموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وهي تتوسط قلب الوطن العربي، ومركزها الديني الذي شهد مهبط الكتب السماوية، وما بها من أماكن مقدسة كالمسجد الأقصى، والحرم الإبراهيمي. وشهدت أرضها الكثير من المعارك، وأشهرها معركة (حطين) بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبي الذي قاتل الصليبيين بكل شجاعة حتى حقق لها النصر المؤزر.

فلم يقف تكالب القوى الاستعمارية على الوطن العربي حتى غرست إسرائيل الكيان الصهيوني في فلسطين

- قلب الوطن العربي- ليسهل عليها التهام ما حولها من الأقطار العربية قطعاً.

1- رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، ص 107-108.

"إن قضية فلسطين شكّلت في الحقيقة نكبة تاريخية وحضارية في الوطن العربي، حيث هزت الوجدان العربي في صميمه، وكان للكلمة الشعرية حضورها المشع كوجه من أوجه النضال الفاعل، في ثقافة أمنت وتؤمن بقوة الكلمة الباعثة على الفعل، هذه الكلمة التي ساندت حق الشعب الفلسطيني في محاولة استرجاع أرضه." (1)

وواكب الشعر العربي نكبة فلسطين وأحس بمدى خطورتها على مستقبل الأمة العربية، فشجّع الشعراء على النضال، وعدم الاستسلام لهذا الاستعمار الغاشم.

ولم تقتصر قضية فلسطين على الشعر العربي فحسب، بل شملت الشعر الليبي الحديث، وظهر عدد من الشعراء الليبيين للذود عنها، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر حسن السوسي الذي شغلته هذه القضية، كما شغلت غيره. فلنكبة فلسطين واقع أليم في نفس كل شاعر، سواء كان من الشعراء العرب، أو من الشعراء الليبيين.

وشغلت قضية فلسطين كل العرب، فهي تعدّ قضية الشعر العربي عامة، والشعر الليبي خاصة، فتفاعل عددٌ من الشعراء مع قضية فلسطين للذود عنها بحكم أواصر الانتماء والفخر بأصولها، والاعتزاز بعروبيتها، وكان من بين هؤلاء الشعراء الليبيون الشاعر حسن السوسي الذي تحركت مشاعره نحو نكبة فلسطين فكانت ذات الأثر البالغ في نفس الشاعر، وهذا الأثر يظهر واضحاً من خلال قوله في قصيدة (جانحاً نسر):

يَا "فِلِسْطِينُ" يَا جُرْحًا نَكَابَهُ وَيَا هَوًى فِي صُدُورِ الْعَرَبِ يُحْتَدِمُ⁽²⁾

في هذا البيت يصوّر الشاعر حالته الوجدانية نحو فلسطين، ومناداته لفلسطين بنبرة عربي.

"وتغدو أحداث فلسطين الدامية ملء دنيا العرب وشغلهم الشاغل"،⁽³⁾ فيقول في قصيدة بعنوان (تلتقي الأرض ها هنا والسماء):

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريه زرقون نصر، الجزء الأول، ص 227.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص 14.

3- الاتجاه القومي، عمر الدقاق، ص 376.

وَفِلَسْطِينُ وَهِيَ جُرْحٌ قَدِيمٌ كُلَّ يَوْمٍ تَسِيلُ مِنْهُ الدَّمَاءُ
أَتَخَنَّنَّا الْجِرَاحَ مَا نَمَّ عِضْوُ لَمْ تُبَاشِرْهُ طَغَنَةٌ نَجْلَاءُ⁽¹⁾

إنَّ الجرح الذي أصاب فلسطين لم يكن جرحاً حديث العهد على العرب بل موغل القدم، وهذا الجرح تأصل وتعمق في نفوس العرب ينزف دماً كل يوم ولم يتوقف حتى أثقلتنا الآلام والأوجاع على فلسطين، ولم يسلم من هذه الطعنة عميقة الأثر أحدٌ من العرب بل شملت العرب جميعاً.

ويمضي الشاعر في هذا البيت ليزكنا بشدة تغلغل المواجه والآلام في نفوس أبناء أمته على مداها الطويل فتأجج حين قال في قصيدة بعنوان (الانتفاضة):

وَأَنْ يُبْلِسَ فِي أَعْمَاقِ أُمْتِنَا جَرَحاً تَمَادَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَالْتَهَبَا⁽²⁾

يخيم على هذين البيتين التالين جو الأسى والكآبة ويظهر واضحاً جلياً حيث قال في قصيدة بعنوان (مهرجان الشعر التاسع - بغداد 1968):

هَذِي فِلَسْطِينُ الْعَزِيزَةُ جُرْحُهَا لِلْعَرَبِ مَصْدَرُ لَوْعَةٍ وَشُجُونِ
مَأْسَاتُهَا كَادَتْ تَهْدُ جَوَانِحِي وَيَكَادُ يَغْصِفُ يَأْسُهَا بِيَقِينِي⁽³⁾

هذي فلسطين التي أصبح جرحها للعرب واقعاً أليماً ومصدر الحرق، والحزن، والقلق، كما أرقت مأساتها الشاعر، فمن الصعب تناسيها، وهي تحطم ضلوع صدره من شدة ما يعانيه من الآلام على فلسطين.

ويحمل الشاعر قضية فلسطين إلى مجلس الأمم المتحدة (بريطانيا) حين يقول في قصيدة (إلى أوثانت^(*)):

هَذِي فِلَسْطِينُ وَالْآلَامُ تَغْمُرُهَا لَوْلَاهُمْ لَمْ تَكُنْ نَهْباً لِمُنْتَهَبِ⁽⁴⁾

أشار الشاعر في هذا البيت بـ "لَوْلَاهُمْ" قاصداً ذلك المجلس فيحمله مسؤولية ما حل بفلسطين.

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص 85.

2- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، ص 165.

3- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص 77.

* سكرتير الأمم المتحدة السابق.

4- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص 47-48.

وَيَصُورُ السُّوسِي الْعِيدَ وَالْجِرْحَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَصِيدَتِهِ (الْقُدْس) قَائِلًا:

أَضْلُهَا الْعِيدُ وَهَذَا الْجُرْحُ لَا يَنْدَمُلُ⁽¹⁾

غيمت هذه الآلام والجراح التي لم تشف بعد على فرحة العيد، وظل الألم دفين النفوس.

"إنَّ الاستعمار الصهيوني البشع حاول أن يغير الواقع الجغرافي، والتاريخي لأرض فلسطين بالعنف، وقوة السلاح، وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه طرد وتهجير السكان المحليين، وجلب المستوطنين اليهود ليحلوا محلهم، وذلك في اتجاه خلق دولة إسرائيل ومحو دولة فلسطين."⁽²⁾

وجسد السوسى أبرز صورة في مأساة فلسطين من قتل وتشريد وتهجير بقوله في قصيدة (القدس):

مَسْجِدُهَا مُعْطَلٌ وَأَهْلُهَا قَدْ رَحَلُوا
وَشَرِدُوا وَبُذِلُوا وَحُورِبُوا، وَقُتِلُوا
وَلَبَسُوا الذِّلَّ فَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ هَمَلٌ
لَا يَأْسُ لَكِنْ لَنْ يَمُوتَ فِي النَفْسِ الْأَمَلُ⁽³⁾

عبّر الشاعر عن صورة بشاعة التهجير لأهل فلسطين الذين ضلوا لاجئين في كل أقطار الوطن العربي، وأصبحوا بلا هوية، ولا كيان، ولا وطن يحميهم فهم همل في كل وطن.

وفي صورة أخرى يصورها الشاعر مبيناً فيها تهجير أهل فلسطين، واستيطان اليهود لتكون فلسطين وطناً لليهود بينما أصبح الفلسطينيون لاجئون في كل بلد، يسأل فيقول في قصيدة (عائدون) على لسان أهل فلسطين:

أَمِنْ الْعَدَالَةِ أَنْ تُشْرَدَنَا وَهُمْ يَسْتَوْطِنُونَا؟
وَيَكُونُ مَوْطِنُنَا لَهُمْ وَطَنًا وَنَحْنُ اللَّاجِئِينَ
فِي كُلِّ قُطْرٍ ثَلَاثَةٌ تُبْذَرُ لِمَوْطِنِهَا الْحَيْنَا⁽⁴⁾

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسى، ص5.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، ص220.

3- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسى، ص6.

4- ديوان الركب التائه، حسن السوسى، ص93.

"عَرَفَ الشعر القومي"⁽¹⁾ منذ زمنٍ بعيدٍ تخاذل الحكام العرب، واستبدادهم بِشعوبهم، ويبدو أنَّ الاستعمار انتَهز هذا الموقف لتتصيب بعض الحكام العرب حُكماً على شعوبهم، والهدف من ورائه واضح توطيد أقدامهم في البلاد العربية، وأنَّ يوقفوا من ثائرة الشعوب العربية ضدهم، وكان الحكام العرب أداة طيعة في أيدي الاستعمار؛ لتقتيت وحدة شعوبهم.

ولا ريب أنَّ هذه الأبيات ذات زفرة قوية يعبرُ فيها السوسي عن الحقيقة المؤلمة للحكام العرب تجاه تخليهم عن فلسطين في قصيدة (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) قائلاً:

وَالرُّؤُوسُ الْكِبَارُ لَا شَيْءَ إِلَّا	جَمَجَمَاتٌ مَحْمُومَةٌ وَإِدْعَاءُ
قَدْ أَدْلَوْا شُعُوبَهُمْ فَاسْتَكَاثَتْ	كَيْفَ تَلْقَى أَعْدَاءَ هَا الْمُؤْمِيَاءِ
فَقَتَلُوا فِيهِمُ الشُّمُوحَ فَهَانُوا	وَتَلَّاشَى طُمُوحُهُمْ وَالْإِبَاءُ ⁽²⁾

يلقي السوسي بلومه إلى الحكام العرب الذين لا يشغلهم غير المنصب والشهرة، فكبلوا شعوبهم وأذلوا أمام الأعداء، وقتلوا في نفوسهم النخوة، والعزة، والكرامة، والمروءة، والشهامة، وبذلك خاب أملهم وغاب مجدهم المنتظر.

ويتجبر الشاعر غضباً على موقف الحكام العرب نحو فلسطين إذ لم يحركوا ساكناً غير الجدل الذي لا يجدي بفائدة، وأصواتهم تملأ الدنيا جعجة ثم يصابون بالبكم ففي قصيدة (حزيران الحزين) يقول فيها:

وَحُكَّامُهُمْ كُلُّهُمْ غَاضِبُونَ	لَأَجْلِكَ يَا عَزَّةَ الْيَعْرَبِي
وَلَكِنَّهُمْ بَعْدَ مَا عَبَّروا	بِغَيْرِ حَدِيثِهِمُ الْمُغْضَبِ ⁽³⁾

تطاولت مأساة فلسطين، والحكام العرب يقفون وقفة المتفرج، تعالت أصواتهم غضباً تصل عنان السماء دون أن يفعلوا شيئاً سوى الجدل الذي لم يأتِ بثمرته.

1- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر الدقاق، ص333.

2- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص85.

3- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص36.

"فلسطين مهد عيسى، ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم، ومبعث سائر النبوات فقد كانت أرضها الطاهرة موئل الجهاد الدائب، والصراع الدامي. وكم سقط في أتون معاركها من شهداء، ونبت في ثراها المقدس من بطولات." (1) وينادي الشاعر فلسطين في نفس القصيدة قائلاً:

فِلَسْطِينُ يَا حُلْمَ النَّازِحِينَ وَيَا أَمَلَ الْمَشْرِقِ الْمُنجِبِ
وَيَا قِبْلَةَ الطُّهْرِ صَلَّى إِلَيْكَ الْمَسِيحُ وَأَسْرَى إِلَيْكَ النَّبِيُّ
وَرَفَّرَفَ حَوْلَ حَمَاكِ الطُّهُورِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فِي مَوَكِبِ
لَقَدْ كُنْتَ مَعْنَى يَشْدُ الْوَجُودَ فَأَصْبَحْتَ لَفْظَةً مُسْتَعْرَبِ
بَنُو الْعَرَبِ فِي كُلِّ أَقْطَارِهِمْ بِأَفْكَارِهِمْ أَنْتَ لَمْ تَغْزِبِي (2)

يناجي فلسطين فيبعث فيها روح الأمل والحياة؛ فهي أرض النبوات، وقبلة الطهر، ومهد المسيح، ومسرى محمد صلى الله عليهما وسلم، ثم يلقي إليها ما كانت عليه في الماضي من مكانة مرموقة، وما أصبحت فيه اليوم من هوان، ولكن العرب على مختلف أقطارهم لن يتخلوا عنها، بل واسوا إخوانهم الفلسطينيين بالكلمة الصادقة دفاعاً لا تملقاً. ويذكر الشاعر أنَّ فلسطين من أصل عربي في قصيدة بعنوان (إلى أوثانت) حيث يقول:

سَلِيلَةُ الْعَرَبِ مَذْكَانَتْ وَمَذْ وَجِدَتْ مَهْدُ الرِّسَالَاتِ وَالْأَدْيَانِ وَالْكَتُبِ
مِنْ أَفْقِهَا وَمَصَاتُ الْحَقِّ قَدْ سَطَعَتْ وَسَارَ فَوْقَ ثَرَاهَا الطُّهْرُ كُلُّ نَبِيٍّ (3)

لا يتجرأ أحدٌ بالتشكيك في أصل فلسطين، فهي من أصل عربي، وجزءٌ لا يتجزأ من الوطن العربي، بل قلبه، وأهلها من أصل عربي، أينما كانوا، وأينما وجدوا، وأرضها الطاهرة مركز الديانات، ومهد الرسالات، ومسرى الأنبياء.

1- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر الدقاق، ص426.

2- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص36.

3- المصدر السابق نفسه، ص48.

ويصور الشاعر مشهداً مثيراً للحمية من مشاهد فلسطين، وهي تشكو مرارة الألم، والذل، والهوان الذي أصابها للحكام العرب وشعوبهم، وهي في زنازن الاحتلال فمن قصيدة (دمشق) يقول:

فَفِلَسْطِينُنَا الْحَبِيبَةُ تَشْكُو لِبَنِي الْعَرَبِ وَطْأَةُ الْأَغْلَالِ⁽¹⁾

في حقيقة الأمر لم تشك فلسطين، ولكن شعب فلسطين شكا مستعرضاً الوضع المؤلم الذي تعيشه. ويحمس الشاعر أبناء قومه للذود عنها، وإنقاذها من قبضة الوحش الكاسر الذي خيم بجبروته عليها سنين طوالاً، فيقول في قصيدة (جانحاً نسر):

قَدْ آتَى لِلْفَجْرِ أَنْ تَبْدُو بِشَائِرُهُ وَأَنْ أَنْ تَتَلَّشَى هَذِهِ النُّظُمُ⁽²⁾

قاصداً من ورائه أنه حان الأوان للانتفاضة في وجه هذه الأنظمة، والحكومات المتهالكة، ولصفع الاستعمار شر صفعه. ويمضي الشاعر في مدح أبنائه ومباركة صحتهم في قصيدة بعنوان (الانتفاضة):

فَبَارِكْ اللَّهُ وَالْأَحْرَارُ صَحَوَتُكُمْ لَا يَهْدَأُ النَّارُ حَتَّى تَبْلُغُوا الْأَرَبَا⁽³⁾

ثم ينتقل الشاعر ليصور مشهداً آخرًا للأحرار في صحتهم بعد الغفلة قائلاً في قصيدة (أعياد):

قَدْ بَارَكْ اللَّهُ وَالْأَحْرَارُ صَحَوَتُهُمْ كَمَا تَنَبَّهَ - بَعْدَ النَّوْمِ - رُقَادُ⁽⁴⁾

يشير الشاعر إلى الحمية والنخوة في نفوس الأحرار من أبناء الأمة، واستيقظوا، وفطنوا إلى أن النعاس بداية النوم فظلت عيونهم صاحبة على عدوهم الغاشم، وجسد البيت مخاطر غفلة الشعوب التي تجعل منها فريسة سهلة بين مخالب الأعداء.

فالشعب الفلسطيني ظل مهجراً بعيداً عن وطنه الذي شلب غصباً بدون إرادة، وظلت أرضه مجرد ذكرى، تبعث في نفسه الألم، والشوق على فراقها، تحرك فيه غريزة الحنين، ومشاعر العودة إلى وطنه الحبيب، يقول الشاعر في قصيدة عائدون:

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص85.

2- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص15.

3- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، ص168.

4- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص26.

سَعُودُ يَا وَطَنِي الْحَبِيبُ إِلَيْكَ إِنَّا عَائِدُونَ
فَاللَيْثُ لَنْ يَنْسِيَ الْعَرِيْنَ وَإِنْ يَكُنْ تَرَكَ الْعَرِيْنَا
سَعُودُ يَذْفَعُ عَنْ قَدَاسَتِهِ أَكْفَ الْعَابِثِينَ
وَيُمَرِّقُ الْمُتَطَفِّلِينَ بِأَرْضِهِ وَالْغَائِرِينَ
مَا زَلْتُ ذَا حَقٍّ عَلَيَّ وَلَمْ أَزَلْ بَرًّا أَمِيْنَا
سَأْرُدُهُ - يَوْمًا - دَمًا حُرًّا نَزَارِيَا ثَمِيْنَا⁽¹⁾

يطمئن الشاعر الفلسطيني على إصراره على العودة إلى وطنه الحبيب، وسيتحدى بعزيمته كل الصعاب، والشدائد، ويبدل كل ما بوسعه من أجل تحريرها من براثن الاحتلال، وذاكرًا (الليث)؛ ليجسد قوة الإرادة والعزيمة في العودة.

ويعبّر الشاعر عن ممارسات العدو اللئيمة نحو الشعب الفلسطيني قائلاً في قصيدة (إلى أوثانت):

عُودُوا إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَجِلُّوا حَقِيقَتَهَا كَمْ فَوْقَهَا مِنْ دَمٍ يَجْرِي بِلَا سَبَبٍ
عُودُوا لَهَا وَاعْمُرُوا أَقْطَارَ رُقْعَتِهَا وَعَالَجُوا أَزْمَاتِ الْجَهْلِ وَالسَّغْبِ
وَقَوِّمُوا فَوْقَهَا مَا أَعْوَجَّ مِنْ سِنِينَ بِالْحَبِّ وَالْعَدْلِ لَا بِالنَّارِ وَالْحَطَبِ⁽²⁾

يأمر الشاعر أهل فلسطين المشردين بالعودة إلى وطنهم، وإظهار وفصح ما يعانيه الإنسان الفلسطيني داخل بلاده من أساليب التعذيب، والتشريد، والقتل، والفساد، كما يأمرهم بإعمار أرضهم، ويدعوهم إلى إصلاح ما أحدثه العدو داخل فلسطين من خراب، ودمار للأخضر واليابس، وزرع الفتن بين أهلها.

ويعلن السوسي عن أمل عودة الشعب الفلسطيني المهجر إلى دياره، وإلى قدسه الحبيب الذي طالما انتظر عودته، ولم شمله بعد تفرقه، وتوحيد صفه بعد تمرقه، لما له من أثر بالغ في استعادة هيبته، وكرامته، ويدفعه

1- ديوان الركب التائه، حسن أحمد محمد السوسي، ص92.

2- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص48.

إلى رفض الذل، والهوان، والخنوع أمام العدو المتعطرس، وعودة الأمن، والاستقرار في فلسطين لترفع أغصان الزيتون تبشيراً بنصرها وعودتها فيقول في قصيدة (مهرجان الشعر التاسع - بغداد 1968):

وَيَعُودُ شَعْبٌ قَدْ تَمَزَّقَ شَمْلُهُ لِدِيَارِهِ وَلِقُدْسِهِ الْمَأْمُونِ
وَيَعُودُ يَغْمُرُهَا السَّلَامُ بِنُورِهِ وَتَعُودُ تَرْفَعُ أَعْصُنَ الزَّيْتُونِ⁽¹⁾

2- مصر:

حفلت مصر بنصيب الأسد عند الشعراء الليبيين؛ وفاءً لِمَا قدمته من مساندة لأبناء ليبيا عندما هاجروا إليها فارين من الاضطهاد الذي فرضه الاستعمار الغربي عليهم، فأوتهم تحت جناحيها الحانية، ووقفت سنداً إلى جانب ليبيا تتاصرهما في محنتها.

يقول الدكتور قريه زرقون نصر:⁽²⁾ "شكّلت مصر قلعة الصمود والشموخ في تاريخ القومية العربية، فهي الرمز الحضاري الكثيف الدلالة والمُلهم لمشاعر الوحدة والتضامن العربيين وكانت هذه البلاد المعطاة قبلاً وملاًداً لغالبية المثقفين والشعراء العرب حين يشتد عليهم الوضع في أوطانهم، وتقسو عليهم مظاهر العيش فيه، بفعل اضطهاد الاستعمار ومن ثم كان حضورها المشع في غالبية الشعر العربي عامة والليبي خاصة،"⁽²⁾ فالشاعر أول المهاجرين إلى مصر فترة الاحتلال الإيطالي لليبيا، فلم ينسَ فضلها عليه، ويصور مشهد عودته إلى وطنه ليبيا، حيث يقول في قصيدة بعنوان (القاهرة في البال):

وَمَا كَانَ هِجْرَانُهُ عَنْ قَلْبِي وَلَا كُنْتُ عَنْ حَرْجِ هَاجِرَةٍ
فَإِنَّ الَّذِي بَيْنَنَا عَامِرٌ بِرَعْمِ الَّذِي كَانَ يَا "مَاهِرَةً"
فَمَا طُوِيَتْ بَيْنَنَا صَفْحَةٌ وَلَا أَنْفَصَمَتْ بَيْنَنَا آصِرَةٌ
وَكَيْفَ ؟ وَأَنْتِ مَحَطُّ الرَّجَاءِ بِنَا كُلَّمَا ضَاقَتْ الدَّائِرَةُ⁽³⁾

1- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص78.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريه زرقون نصر، ص313.

3- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص120.

يقول هنا ما كانت عودتي من مصر إلى ليبيا عن كُرهٍ أو ضيق عيش، بل كانت هناك عيشة رضية كريمة، فلا ننسى، ونتجاهل فضلها؛ لاحتوائها لنا في أوقات المحن العصبية، متسائلاً كيف قطع أواصر علاقتنا بها، وننسى فضلها علينا، وهي وطن الملاذ، والأمل، والرجاء عند اشتداد النوائب في أوطاننا.

ويمضي الشاعر في هذه الأبيات مخاطباً مصر حين خاضت حربها مع عدوها في نفس القصيدة قائلاً:

فَيَا قَلْعَةً مَا يَزَالُ الزَّمَانُ	يُرَدِّدُ أَمْجَادَهَا الزَّائِرَ
إِذَا كَشَّرَ الْجِدُّ عَنْ نَابِهِ	فَأَنْتِ الْمُقَطَّبَةُ الْكَاشِرَ
وَإِنْ لَآيَنَ الدَّهْرُ بُعْدَ الْجَمَاعِ	فَأَنْتِ الْمُدَلَّلَةُ الْآمِرَ
يَعُودُ إِلَى حَجْمِهِ كُلُّ مَنْ	تَمَدَّدَ فِي غَيْبَةِ "الْقَاهِرَ"
وَيَقْصُرُ كُلُّ طَوِيلِ النَّجَادِ	خُشُوعاً لِقَامَتِكَ الظَّاهِرَ
وَأَنْتِ مَهْمَا أَدْلَهُمُ الظُّلَامُ	تَظْلِي لَنَا النُّجْمَةَ الزَّاهِرَ
فَيَا عِصْمَةَ الْعَرَبِ مَهْمَا نَأَوَّا	وَمَوْئِلَ أُمَّتِنَا الصَّابِرَ
تَدُورُ حَوَالِيكَ آمَانَنَا	كَمَا دَارَ بِالْمَحُورِ الدَّائِرَ ⁽¹⁾

صورة واقعية رسمها السوسي لصمودها مر، وتحديها لعدوها المستبد بوجه عبوس متجهم في وجه الأعداء، وينتقل إلى ما حققته مصر من نصر على الأعداء بارزة قيمة وحجم عدوها أمام هذا النصر العظيم، قاطعة الطريق أمام كل من يحاول المساس بها، محذرة الأعداء من ثورة العرب إذا أرادوا الانتقام، وستبقى للعرب نجمة مضيئة تتلألأ في صفحة تاريخ الأمة العربية حافلة بالانتصارات الأبية في وجه العدوان، وها هو الشاعر يؤكد أنَّ مصر ملاذ العرب، ومنعتهم مهما بعدت المسافات عنها، فهي ملجأ كل العرب يحتمون بأرضها، والأمل، والرجاء الذي نعول عليه حين تُسد أماننا السبل، والأبواب.

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص 121-122.

ويفخر الشاعر بماضي مصر فيقول في قصيدة (القاهرة في البال):

لَكَ الْفَخْرُ فِي أُولَيَاتِ الزَّمَانِ	بِمَا لَمْ تَتَلْ مِثْلَهُ فَاحِرَةً
بُثُوتَ أَنْحُ آمُونٍ فِي مَجْدِهِ	وَرَمْسِيَّ فِي الْأَغْصُرِ الْغَابِرَةِ
بُنَاءُ الَّذِي مَا بَنَتْ مِثْلَهُ	بِنَاءً ... وَلَا حَلَمَتْ حَاضِرَةً
وَبِالْفَاطِمِيِّ وَمَا تَسْرُدِينَ	لَهُ مِنْ مَآثِرِهِ الْآسِرَةِ
وَ "بِالنَّاصِرِ الدِّينِ" مِنْ سَنِيهِ	إِلَى "ذِي الْفَقَارِ" لَهُ آصِرَةٍ
وَبِالْمُوقِفِينَ زُخُوفَ التَّتَارِ	فَكُنْتُ لَهُمْ صَفْقَةً خَاسِرَةٍ
وَدَارُ "ابْنِ لُقْمَانَ" أَذْرَى بِمَنْ	أَتَتْهَا بِحَاجَتِهَا زَائِرَةً
تُقَدِّي أَسِيرًا لَهَا مُوَثَّقًا	وَتَذْفَعُ عَنْ يَدِهَا صَاغِرَةً
وَبِالْعَابِرِينَ عَلَى عَزْمَةٍ	كَعِزِّ الْمُهَيَّجَةِ الْكَاسِرَةِ
وَبِالْمُرْتَجِينَ لِفَكِّ الْحِصَارِ	عَنْ "الْقُدْسِ" وَ"اللَّدِّ" وَ"النَّاصِرَةِ"
يُدَوِّرُ "الْمُقَطَّمُ" مِنْ حَوْلِهَا	كَنِصْفِ الْحِزَامِ عَلَى الْخَاصِرَةِ
فَكَمْ مُعْتَدٍ حَامٍ مِنْ حَوْلِهِ	فَقَارَتْ عَلَى جَيْشِهِ الدَّائِرَةِ ⁽¹⁾

يستغرق الشاعر في هذه الأبيات مسترجعاً الدور القيادي الذي لعبته مصر عبر التاريخ محذراً الأعداء منها، والاستفادة من عبر الماضي مذكراً بالأحداث والوقائع التاريخية التي جرت على أرضها كآثر الدولة الفاطمية، وبطولات صلاح الدين، وصفعة التتار، ودار ابن لقمان تلك الدار "التي وضع بها لويس ملك فرنسا بعد أسره إلى أن حضرت زوجته وافتدته"⁽²⁾ موضحاً كيف أرضخت عدوها أمامها مطأطئ الرأس يطلب العفو لإطلاق سراح أسيره، كما تحذر كل من تسول له نفسه بالاقتراب منها فهي عصية على أعدائها.

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص122-123-124.

2- المصدر السابق نفسه، ص123.

ويصور الشاعر مشهداً من مشاهد التمجيد والفخر لماضي مصر في قصيدة (مهرجان الشعر الثامن - القاهرة 1967) فيقول:

وطني الذي ملأ الزمان مفاخرًا وبه استفاق الشرق بعد هجوع
وأقام للأحرار من شهدائه في البذل أي منائر وشُموع⁽¹⁾

أخذ الشاعر يستعيد الماضي التليد بنوره المشرق لتزهو مصر بالعز والرفعة، وأظهر الدور البطولي لشهادتها الأحرار الذين سطوروا بدمائهم تلك الانتصارات في وجه الهجمة الاستعمارية البشعة على أرضهم، فلم يتوانوا في الدفاع عن أمجادها.

ويخاطب السوسي أبناء الأقطار العربية محذراً إياهم من العدو فإنه متربص بهم من كل جانب فلا تأخذهم الغفلة، مذكراً بأفعاله في الماضي، وما لحق بالبلاد من فساد، وخراب، وقتل، وتشريد دون وجه حق حيث يقول في نفس القصيدة (مهرجان الشعر الثامن - القاهرة 1967):

يا قومًا وعدوكم متربص يقظ فلا تستسلموا لهجوع
قد عاث في حرماننا وديارنا وأتى بكل مروع وفظيع⁽²⁾

حرص الشاعر على إيصال صوته لأصحاب الشأن بكل شجاعة، يستنهض الهمم من أجل إدراك الخطر الاستعماري الذي يتربص بالأمة العربية، وحثهم على الصمود في وجه العدو، ورفض الذل، والهوان.

3- تونس:

قاست تونس كأى جزء من الوطن العربي بشاعة وفضاعة الاحتلال الاستعماري، فقد سيطر عليها الاستعمار الفرنسي حقبة من الزمن، وعانت مظاهر شتى من التنكيل، والتشريد، والاستبداد.

1- ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، ص73.

2- المصدر السابق نفسه، ص74.

وبحكم رابطة الجوار، والشعور القومي الذي يربط بعض أبناء الأقطار ببعض انشغل الكثير من الشعراء الليبيين بقضايا هذا القطر الشقيق، وجاءت أشعارهم حافلة بمشاعر التضامن، والاتحاد، والإخاء، مما جعل الشاعر يشارك الشعب التونسي في همومه وأحزانه حيث يقول في قصيدة (رسول الحب):

أَنْتُمْو جِيرَةُ الْحِمَى وَبَنُو الْعَمِّ وَمَنْكُم نَصِيرُنَا .. وَالْوَلِيُّ
كُلَّمَا ضَاقَتْ الْأُمُورُ فَأَنْتُمْ سَدُّ رَافِدٍ وَخِلٌّ وَفِي
لَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَلَا حَالٌ مِنْ قَبْلُ دَخِيلٌ وَلَا سَعَى أَجْنَبِي⁽¹⁾

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن قوة العلاقة القومية التي تربط بين الشعبين ليبيا وتونس، فيخاطب الشعب التونسي بلهجة شديدة؛ ليبعث الطمأنينة والأمل في نفوسهم، ويدعوهم إلى مناصرة ومساندة إخوانهم عند الشدائد، ومدّ جسور التواصل، والتفاعل بينهما، ويرسي دعائم الأخوة والترابط بينهم، مصوراً حال الشعبين في وقوفهما ضد كل محاولات التجزئة بينهما.

ويحطم الشاعر تلك الخطوط الحدودية الوهمية التي رسمها الاستعمار بين الأقطار العربية، فأخذ يناجي أشقائه في تونس يدعوهم إلى التضامن، والمساندة مستشعراً فيه رابط الجوار والعروبة، والانتماء إلى الوطن العربي، ورابط الأصل، والتاريخ، والتراث، واللغة، والشعور الأخوي المشترك حيث يقول في قصيدة (أشواق):

يَا أَهْلَ " تُونِسَ " إِنَّا إِذْ نَحَلُّ بِكُمْ نَحَلُّ أَهْلًا بِنَا كَانُوا حَقِيئًا
جِيرَانُنَا وَبَنُوا أَعْمَامِنَا وَدَوُو أَرْحَامِنَا، بِكُمُو نِيْطَتْ أَمَانِينَا
إِنَّا وَأَنْتُمْ .. عَلَى نَهْجٍ يُقَرِّبُنَا مِنْ يَوْمٍ وَحَدَّتِنَا الْكُبْرَى وَيُذِنِينَا
فَنَحْنُ أَبْنَاءُ هَذَا الْمَغْرِبِ الَّتَحَمَّتْ أَجْيَالُنَا فِيهِ وَالتَّقَتْ أَيْادِينَا
كَانَ الْجِهَادُ لَنَا دَرْبًا وَمُنْطَلَقًا "حَتَّى عَدَّتْنَا عَلَى كُرْهِ عَوَادِينَا"⁽²⁾

1- تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 30-31.

2- المصدر السابق نفسه، ص 167.

برز للسوسي هذا الشعور العربي القومي من خلال تأخيمهم، وتآزرهم، واتحادهم مما زاد الشعور الأخوي، والترابط، والتلاحم معهم في آلامهم، ومسراتهم، ومذكراً بتاريخ الأمة الحافلة بالانتصارات، فهم أصحاب المبدأ النضالي والبطولي الذي خوّف عدوهم من الاقتراب منهم.

4- الجزائر:

تعرّضت الجزائر للاستعمار شأنها شأن غيرها من الأقطار العربية، وعانت منه أبشع جرائم الظلم، والاستبداد من قتل، وتعذيب، وتتكيل. وخلدت بلاد الجزائر صفحة مضيئة في تاريخ الجهاد العربي ضد الاستعمار الفرنسي حين قدمت مليون شهيد دفاعاً عن أرضها، وعرضها، وكرامتها، ومجدها التليد، ورفضت حياة الذل والمهانة فثارت، وقاومت، وصمدت ضد عدوها المستبد، فجسد هذا القطر المغربي مسيرة تاريخية نضالية، فسطر حروف انتصاراته بدماء الشهداء، وقد تفاعل الشاعر مع صمود وبطولات هذا الشعب العربي الأبي فمن قصيدة (تحية) يقول:

حَيِّ فُرْسَانَهَا الْأَشَاوِسَ مِنْ سَأَلُوا عَلَيْهَا لَظَى .. وَحَيِّ الْغَوَائِي
وَأَمْشِ فَوْقَ النَّرَى الْمُضْمَخِ طَيْباً خَاشِعِ النَّفْسِ مُطْمَئِنِّ الْكِانِ
وَحَذِّ الْحَذَرِ مِنْ بَرَاثِنِ لَيْثٍ وَحَذِّ الْأَمْنِ مِنْ عُيُونِ الْحِسَانِ
هَذِهِ الْأَرْضُ مُنْبِتُ الرَّفْضِ مَذَّ كَانَتْ وَمَعْدَى سَوَابِقِ الْفُرْسَانِ⁽¹⁾

تحفل هذه الأبيات وتحيي أبطال الجزائر الذين بذلوا أرواحهم فداءً لهذا الوطن الكريم، كما تحذرهم من غدر الأعداء لهم، فأرض الجزائر منذ أن وُحِدت كانت السد المنيع، فرفضت أن يطأها أقدام المستبدين، فهذه الأرض منبت الفرسان والأبطال الأشاوس.

كما يهنّي الشاعر أحرار الجزائر على ما حققوه من انتصارات، وبطولات نضالية مجّدت هذا القطر ففي قصيدة بعنوان (عيد استقلال الجزائر) حيث يقول:

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 39-40.

يَا مَوْطِنَ الْأَحْرَارِ يُهَنِّكَ مَا جَنَى	لَكَ مِنْ بَنِيكَ الْفَتِيَّةِ الْأَحْرَارُ
وَقَفْتُ لَكَ الدُّنْيَا تُصَفِّقُ وَأُحْنِي	لِجُنُودِكَ الْأَبْطَالِ الْاسْتِعْمَارُ
قَدْ ذَاقَهُمْ فَإِذَا بِهِمْ -فِي حَلَقِهِ-	مِثْلُ الشَّجِي فِي الْحَلْقِ بَلَّ هُمْ نَارُ
رَوْوَا تُرَابَكَ بِالْدِّمَاءِ فَأُيْنَعَتْ	لَكَ مِنْ جِنَى الْحُرِّيَةِ الْأَثْمَارُ
سَعَتْ الشُّعُوبُ إِلَى الْخَلَاصِ وَإِنَّمَا	مَسْعَاكِ لَمْ تَنْظُرْ بِهِ الْأَقْطَارُ ⁽¹⁾

جاءت هذه الأبيات تزخر بمعاني الفخر الذي سطره أبنائها الأحرار، وتنادي بصمود أهلها أمام الاستعمار،

وتشجذ الهمم للتصدي في وجه كل عدو جبان، فمجد أبطالها الأشاوس حين رووا هذه الأرض بدمائهم الطاهرة

ساعين إلى خلاص الشعوب من القيود التي تكبلهم.

ويستنهض الشاعر همم الشعوب، ويدعو إلى الاستعداد، والتسلح لمواجهة العدو الظالم، وبذل الغالي،

والنفيس في سبيل تحقيق العزة، والحرية، والكرامة ففي قصيدته (في حرب الجزائر) يقول فيها:

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى	وَلَا بَدَّ لِلْبَغْيِ أَنْ يُضْرَعَا
وَلَا بَدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يُنْجَلِي	وَلَا بَدَّ لِلصَّنْحِ أَنْ يَطْلُعَا
أَرَى الْعَرَبَ مَا زَالَ فِي غِيهِ	يُحَاوِلُ فِي شَرْقِنَا مَطْمَعَا
وَلَكِنْ سَنَقْنَعُهُ بِالسَّلَاحِ	إِذَا عَجَزَ اللَّيْنُ أَنْ يَقْنَعَا
فَشَاهَتْ فَرَنْسَا وَأَشْيَاعَهَا	وَمَنْ سَارَ فِي رَكْبِهَا أَوْ سَعَى
فَأَرْضُ الْجَزَائِرِ لِلثَّائِرِينَ	وَلِلْبَاذِلِينَ الدَّمَ الْمُتْرَعَا
سَتَرْجِعُ رَغَمَ حَمَاقَاتِهِمْ	لَنَا مَوْطِنًا وَلَهُمْ مَضْجَعَا
فَعَزْمُ الْجَزَائِرِ لَا يَنْتُنِي	وَلَيْتُ الْجَزَائِرُ لَنْ يُضْرَعَا
وَصَوْتُ الْحَقِيقَةِ مَهْمَا اخْتَفَى	فَلَا بَدَّ أَنْ يَجِدَ الْمُسْمَعَا
وَمَهْمَا تَلَجَّلَجَ صَوْتُ الضَّمِيرِ	فَلَا بَدَّ أَنْ يَخْرَسَ الْمَدْفَعَا ⁽¹⁾

1- ديوان الركب التائه، حسن أحمد محمد السوسي، ص 95 - 96.

يخبر الشاعر أنّ الاستعمار بغى على الوطن العربي الكبير، فلا بد من شد الوثاق للقضاء عليه، ولا بد من ظهور الحق وزهق الباطل، فالاستعمار الغربي وعلى رأسهم فرنسا وشركائها لا يزالون في ضلالهم وظلمهم رغبة في الشرق العربي، ولكن سنردهم بالحرب إذا لم تقد معهم الملاطفة والحوار، فأرض الجزائر مترعة بدم شهدائها الأبطال الذين قدموا أنفسهم فداءً لوطنهم الغالي، ويؤكد أنّهم سيعودون إلى وطنهم، ويكون لأعدائهم مقبرة، ويجسد بطولة الشعب التي لم تخر أمام عدوّهم، فهم كالأسود في شجاعتهم، وصوت الحق لن يغيب مهما طال الدهر، هذه هي ملاحم الثورة الجزائرية، وهم يقتحمون ساحات الوغى.

5- المغرب:

واجه هذا القطر العربي ثورة عارمة ضد الاستعمار الفرنسي، فمن مساعي الاستعمار طمس الهوية العربية، وتشويه التاريخ بما يحمله من ماضٍ وثرات، والقضاء على الإسلام، كما مارس أنواع التعذيب، والتتكيل، والقتل على أهلها. ودام هذا الاستعمار فترة زمنية طويلة، مما حرّك عزيمة أبنائها الأحرار فبذلوا أرواحهم في سبيل تحرير بلادهم، وساهم الشاعر في توطيد معاني التضامن، والمساندة لإخوته في المغرب حيث قال في قصيدة بعنوان (فاسية):

رَغْمَ البُعَادِ - وَشَائِحِ الأَنْسَابِ	إِنَّا وَأَنْتُمْ مَا تَزَالُ تَشْدُنَا
فِي المَجْدِ .. صِنُو الأَخْضَرِ الغَلَابِ	الأَطْلُسُ العِمْلَاقُ شَمَاخُ الذَّرَى
مَجْدَ السِّنِينَ وَرَوْعَةَ الأَحْقَابِ	وَطَنَانِ بَلِّ وَطَنٌ تَقَاسَمَ أَهْلُهُ
وَلِمَجْدِهِ وَجَمَالِهِ الخَالَابِ	يَبْقَى لِمَغْرِبِنَا الكَبِيرِ ولَاؤُنَا
فِي أَلْفِ مَلْحَمَةٍ وَأَلْفِ كِتَابٍ ⁽²⁾	وَلَأَمَةٍ كَتَبَتْ صَحَائِفَ مَجْدِهَا

يُظهر الشاعر معاني الأخوة والتآزر، وما يربط بينهم من وحدة الأصل، ويرى ما حققه الأبطال من بطولات، مجدها باقٍ، وشامخ شموخ الجبل الأخضر والجبل الأطلسي، فوطنهم واحد، وتاريخهم واحد، ويظل المغرب ملك

1- ديوان الركب التائه، حسن أحمد محمد السوسي، ص 99-100.

2- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، ص 247.

العرب جميعاً ليس لأهل المغرب وحدهم، وسجلت كتب التاريخ مجد وماضي هذه البلدان وما خلدته من ملاحم، وبطولات شهد لها الداني والقاصي.

وهكذا ارتفع الصوت الشعري لحسن السوسي في خضم التحولات التي مرّ بها المغرب موضعاً تضحيات، وبطولات أبنائه الأحرار في التصدي ومواجهة العدو الفرنسي، في قصيدة (مغربيّة) قائلاً:

حُبِّيَّتْ يَا وَطَنَ الْكَرَامِ وَبُورْكَتْ سَيْرُ الْبُطُولَةِ فِيكَ وَالشَّجْعَانِ⁽¹⁾

يحيي الشاعر وطنه المغرب على ما قدّمه أبنائه من انتصارات على عدوهم الظالم، مذكراً صنيع الأبطال، والشجعان الذين صنعوا التاريخ، ودافعوا عنه بكل صلابة.

وظهرت النزعة القومية في الشعر الليبي الحديث واضحة جلية، فعبر الشعراء عن هذه الأحداث، والوقائع التي عاشها كل قطر من أقطار الوطن العربي، وهذا الرسوخ القومي في نفس الشاعر الليبي جعله يقوي انتماءه القومي بالأقطار العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج، فلم يعترف بالحدود المصطنعة بل يعتز بعروبته، وانتمائه لأصل واحد، ولغة واحدة، ومصير واحد، وتاريخ مشترك.

وهذا ما دفع بالشعراء الليبيين إلى مشاركة أشقائهم العرب والتضامن معهم في محنتهم، وهدفهم الدفاع عن الوطن العربي الكبير، فكان الشاعر الليبي راصداً لكل حدث وواقعة تطرأ على الوطن العربي.

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص30.

المبحث الثاني

الأمة العربية عبر التاريخ

الأمة العربية أمة كل العرب على اختلاف ألوانها ولهجاتها، يعيش أبنائها في وطن واحد، متضامنين مساندين بعضهم البعض في السراء والضراء، ويشعر كل واحد منهم بما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه وطنهم العربي الكبير، فيضحون في سبيله ببذل النفس والنفيس، ساهرين من أجل ازدهاره وتقدمه، وتحريره من الأعداء. وشرف الله سبحانه وتعالى الأمة العربية بالإسلام، وميّزها عن بقية الأمم الأخرى بموقعها الجغرافي الاستراتيجي المتمثل في أرضها الخصبة المعطاة ومناخها المعتدل، ومياهها العذبة، وطبيعتها الخلابة، هذا ما جعل تكالب الأعداء في القديم والحديث على هذه الرقعة الطيبة، لنهب خيرات هذه الأمة والتتكيل بها. فتاريخ الأمة العربية سجلٌ حافلٌ بالمواقف البطولية المشرفة التي سُجلت في معارك عدّة خاضها أبناء هذه الأمة أثناء الفتح الإسلامي، أو عند دفع السيطرة من نوازع الشر الاحتلال الأوروبي وغيره. وهكذا تركوا صورةً تتشابه في تلوينها روائع التفاني والتضحيات وتعكس مفهوم الوفاء الذي ضلت الأمة حريصةً عليه، وتتعامل بموجبه مع الأحداث فأخذ الشعراء ينضمون قصائدهم ووظفوا أشعارهم عند الممارسات التي يتجلى فيها حجم الضمير العربي، وجداناً قومياً. ولذا تغنى السوسي بأمجاد وطنه، وبطولاته، وبحريته، وبجهاده التي ميّزت معظم أعماله الشعرية باستعراضه لثلاثة ملامح تاريخية يركز عليها عمق إبداعه الشعري في هذا المبحث ومن هذه الملامح: الشخصيات التاريخية، والمدن التاريخية، والمعارك التاريخية على الترتيب.

أولاً: الشخصيات التاريخية:

أفرز الصراع العربي مع الاستعمار الغربي شخصيات عربية فذة في القيادة، قادت الصراع الذي تعرّضت له الأمة العربية عبر تاريخها الطويل، حيث حاول الاستعمار طمس الشخصية العربية، ولكن العرب أخذوا في مواجهة هذا الاستعمار وتأكيد وجود الشخصية العربية التي أرادوا القضاء عليها بشتى الوسائل، فاكتمبت قوة وشهرة وصلابة في ميادين النضال والكفاح العربي.

ومن أبرز الشخصيات العربية التي لمعت في سماء البطولة في الفتح الإسلامي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تناولها الشاعر في العديد من قصائده: (خالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن العاص، والمثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني، والبراء بن مالك، وأسامة بن زيد) وغيرهم الكثير. ثم تناول أشهر الشخصيات العربية في الفتح العربي الإسلامي: (عقبة بن نافع الفهري، حسان بن النعمان الغساني، ويوسف بن تاشفين، وطارق بن زياد، وموسى بن نصير). ومن شخصيات خلفاء بني أمية ذكر: (معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز). يليها البطل (صلاح الدين الأيوبي) الذي يُعدّ المثل الأعلى للبطولة والفداء.

فأشاد الشاعر في هذين البيتين، بشخصيات قيادية لها باع طويل في حركة الجهاد ضد الأعداء، إبان فترة الفتوحات الإسلامية في قصيدة بعنوان (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) حيث قال:

أفما خالدٌ وسعدٌ، وعمرٌو والمثنى، وطارقٌ.. والبراءُ
ولواءٌ على أسامة يَهْفُو عَقَدَتْ عُقْدَةُ المكينِ السَّمَاءُ⁽¹⁾

ذكر الشاعر في البيت الأول عدة شخصيات ساهمت في الفتح العربي الإسلامي، من بينهم شخصية (خالد بن الوليد) الذي قاد (معركة اليرموك)، وعمل على توحيد صفوف الجيوش الإسلامية، وأظهر قوته وصلابته أمام الأعداء من الروم البيزنطيين في هذه المعركة التي أحرز المسلمون فيها نصراً عظيماً في بلاد الشام.⁽²⁾ يليها شخصية (سعد بن أبي وقاص) حين قاد (معركة القادسية) بأمر من (الخليفة عمر بن الخطاب)، وانتصر فيها المسلمون على الفرس وأبلوا بلاء حسناً.⁽³⁾

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص82.

2- انظر: دراسات في الوعي بالتاريخ، محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981، ص40.

3- انظر: معارك العرب ضد الغزاة، محمد عمارة، المركز العربي الدولي، مصر الجديدة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991، ص15-23.

ثم ينتقل الشاعر إلى شخصية قيادية لها أثرها في الفتح العربي الإسلامي (عمرو بن العاص)، بعد أن استكمل فتوحاته في بلاد الشام، ومصر، تأهب لفتح برقة وطرابلس - أي فتح ليبيا - لنشر للدعوة الإسلامية فيها، ولم يتوان في إعداد حملة لفتح شمال إفريقيا، فأرسل (عقبة بن نافع الفهري) لقيادة تلك الحملة.⁽¹⁾

وينتقل بعد ذلك إلى البطل العربي المسلم (المتى بن حارثة بن سلمه الشيباني)، وما حققه من انتصارات في جنوب العراق، وفلسطين، و(موقعة اجنادين) الشهيرة حيث انتصر المسلمون على الروم البيزنطيين، وتمّ كسر شوكة الإمبراطورية البيزنطية التي كان يقودها (هرقل) قائد الروم.⁽²⁾

ثم أشاد الشاعر بتلك البطولات، والانتصارات، والفتوحات، التي أحرزها ذلك القائد (طارق بن زياد) الذي حقق نجاحاته العظيمة في شمال إفريقيا بنشر الإسلام، ومبادئ الحق والعدل من ناحية، وما حققه من انتصارات على القوط من ناحية أخرى، ومن ثمّ واصل (طارق بن زياد) فتوحاته إلى بلاد الأندلس وحرر قرطبة، ومالطا، وطيطة من يد الإسبان، وجعلها تحت قبضته، فهو مضرب المثل في الشجاعة والأقدام والحنكة.⁽³⁾

ويُشيد الشاعر بشخصية (البراء بن مالك) الذي عاصر عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان شجاعاً يقارع بسيفه الأعداء ببراعة خارقة في ساحات الوغى بإيمانه وثباته على الحق، وكان (البراء) مضرباً للمثل في البطولة والتضحية والفداء، وشارك المسلمين في انتصاراتهم على الأهواز، والفرس في معركة ضارية، وغدا البراء شهيداً في تلك المعركة التي خاضها في سبيل الله.⁽⁴⁾

وفي البيت الثاني يذكرنا بشخصية إسلامية قيادية أخرى واكبت فتوحات الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاد الشام بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم تأهباً (أسامة بن زيد بن حارثة) لرئاسة جيش المسلمين لفتح بلاد

1- انظر: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، صالح مصطفى مفتاح المزيني، دار العربية للنشر والتوزيع، طبرق، الطبعة الثالثة، 2002، ص 26-27.

2- انظر: معارك العرب ضد الغزاة، محمد عمارة، ص 13-40.

3- انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط، 1981، ص 66.

4- انظر: رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم، خالد محمد خالد، الناشر دار المقطم، د. ط، د. ت، ص 439، 443-444.

الشام، ومحاربة الروم البيزنطيين والقضاء عليهم في الشام، ونشر دعوة الإسلام،⁽¹⁾ ثم عقد -عليه الصلاة والسلام- لأسامة اللواء، وقال له: (أغز باسم الله، في سبيل الله، وقاتل من كفر بالله).⁽²⁾

وقبيل خروج (أسامة) بجيشه انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرقيق الأعلى، فأصرّ (الخليفة أبو بكر الصديق) رضي الله عنه على خروج جيش (أسامة) لمحاربة الروم البيزنطيين، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وحقق المسلمون في هذه الحملة نصراً ميبناً.⁽³⁾

ويصف الشاعر لواء (عقبة بن نافع الفهري) في قصيدة بعنوان (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) فيقول:

وَلِوَاءٍ لِعُقْبَةٍ خَوْضَ الْبَحْرِ وَقَالَتْ بِفَيْئِهِ الْبَيْدَاءُ
وَعُزَاةٌ فِي الصَّيْفِ إِنَّ هَجَرَ الصَّيْفِ وَأُخْرَى إِذَا اكْفَهَرَ الشِّتَاءُ⁽⁴⁾

عُيِّنَ (عقبة بن نافع الفهري) والياً على إفريقية، عهد خلافة (معاوية بن أبي سفيان)، وهي تُعدّ الولاية الأولى لعقبة، ويُعدّ عقبة من أوائل المجاهدين في المغرب، واصل (عقبة بن نافع) مع (عمرو بن العاص) فتوحاته في برقه وطرابلس، ومن ثَمَّ اتجه إلى الجنوب، حيث فتح ودان، وجرمه، وقصور فزان، وغدامس ناشراً للإسلام بين صفوف قبائل البربر، وخاصة في منطقة طرابلس حتى وصل إلى فتح سببيلة، ثم وصل القيروان وبنى مدينتها، وجعلها قاعدة عسكرية في بلاد المغرب، وبعد أن أكمل عقبة بناء القيروان أمر (الخليفة معاوية بن أبي سفيان) بعزله، وولي (أبو المهاجر دينار) على إفريقية، وقبل وصول (أبي المهاجر دينار) إلى إفريقية كان الناس يغزونها، ثم يقتلون منها إلى مصر، وعندما غزاها (أبو المهاجر دينار) أقام بها الشتاء، والصيف، واستقر بها، حتى صارت إفريقية مقراً للمسلمين، وبعد وفاة (الخليفة معاوية بن أبي سفيان)، خلفه ابنه (يزيد)، فأعاد (عقبة بن نافع) إلى ولاية إفريقية، وعزل (أبا المهاجر دينار).⁽⁵⁾

1- انظر: سرايا وغزوات الرسول، كمال علي المنتصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص 84-86.

2- المرجع السابق نفسه، ص 84.

3- انظر: المرجع السابق نفسه، ص 84.

4- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 83.

5- انظر: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، صالح مصطفى مفتاح الميزيني، ص 52-54.

وعندما استقرت حامية (عقبة بن نافع) في القيروان قام بفتح المغرب "من أدناه إلى أقصاه حتى بلغ المحيط الأطلسي، فاتحاً للمناطق الواقعة بينه وبين القيروان، حتى أقحم فرسه في البحر قائلاً قوله المأثور: اللهم أشهد إنني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر، لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك."⁽¹⁾

وتوغل (عقبة بن نافع) في أقصى المغرب، وخاض معارك حاسمة مع قبائل البربر والبيزنطيين (الروم) واستشهد (عقبة بن نافع) و(أبو المهاجر) وسيفاهما بيديهما.⁽²⁾

وهنا يقبل الشاعر صفحات تاريخنا المجيد بذكر الماضي التليد في قصيدة (عودة) فيقول:

وَتُونُسُ "الْحُسْنُ كَمْ مَدَّتْ لَهُ سَبَبًا	وَتُونُسُ "الْمَجْدُ كَمْ أُرْسَتْ لَهُ طُنْبًا
كَانَتْ "لِعُقْبَةَ" بِاسْمِ اللَّهِ مُنْطَلَقًا	"وَلِلْأَغَالِبِ" سَيْفًا، طَالَمَا ضَرَبَا
وَطَالَمَا أَلْجَمَتْ لِلْغَزْوِ أَفْرَسَهَا	وَهَيَّاتَ لِلْمَغَارِ السَّرْجُ وَالْيَلْبَا
وَأُرْسَلَتْ خَيْلُهَا فِي اللَّهِ ضَارِبَةً	فَأَحْرَزَتْ فِي مَضَامِيرِ الْغُلَى الْقَصَبَا
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَمْ تَفْتَأْ بَيَّارِقُهَا	خَفَافَةً فِي الْأَعَادِي تَزْرَعُ الرُّهْبَا
وَهَا هِيَ الْيَوْمَ تَبْنِي صَرْحَ نَهْضَتِهَا	بِفَتْحَةٍ حَفَظُوا الْأَمْجَادَ وَالرُّتَبَا ⁽³⁾

يمضي الشاعر في قصيدته ليشيد بالدور القيادي الذي لعبه كلٌّ من (عقبة بن نافع) والأغالبة في بناء مجد تونس، (فالبطل عقبة بن نافع) القائد المسلم قاد الكثير من الحملات، وتصدى للغارات والغزوات التي شنها الروم على المسلمين في البر والبحر، فتصدى لهم بضرباته الساحقة في سبيل نشر الإسلام في كل مدينة فتحها، ودعا أهلها إلى الإسلام، وقام ببناء مدينة القيروان، وعمل على أعمارها⁽⁴⁾، كما فتح شمال إفريقيا حتى

1- في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط ، د. ت، ص 38-41.

2- انظر المرجع السابق نفسه، ص 41.

3- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص 80.

4- انظر: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، توزيع الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى 1974، ص 63.

وصلت فتوحاته المحيط الأطلسي، ثم عاد ودخل المغرب الأوسط قاصداً الرجوع إلى القيروان، ولكنه استشهد مع عدد كبير من جنوده -على يد البربر- بالقرب من قلعة تهودا المحادية لجبال الأوراس.⁽¹⁾

ثم ينتقل الشاعر ليبرز دور (الأغالبة) عبر التاريخ الممتد منذ حكمهم إفريقية (تونس الحالية) وتأسست هذه الدولة على يد (إبراهيم بن الأغلب)، وكان لهم باع طويل في درب الفتوحات التي امتدت حتى الجزر الإيطالية، وحققوا انتصارات عظيمة يشهد لها التاريخ، ويمجد بطولاتهم وتصديهم لهجمات أعدائهم، ومن الأحداث الجديرة بالذكر في تاريخ الأغالبة فتح جزيرة صقلية الإيطالية، كما ساهمت في نشر الحركة العلمية والثقافية في البلاد.⁽²⁾ وبهذا العمل البطولي تمكّن عقبة والأغالبة من المحافظة على مجد تونس ومكانتها بين الأقطار العربية الأخرى، وكذلك رفعوا راية النصر خفاقة عالية في وجه الأعداء على أرضها، ونهضوا بصرحها الحضاري. وبعد استشهاد (عقبة بن نافع الفهري) يأتي دور (حسان بن النعمان الغساني) ليستلم فتح شمال إفريقيا، وتحريرها من البيزنطيين القاطنين على السواحل، والبربر من الداخل في قصيدة (مغربية) يقول:

وَهُنَا بَقَايَا مِنْ مَّآثِرِ "يُوسُفَ" وَهُنَاكَ خَفَقَ مِنْ خُطَا "حَسَّانِ"⁽³⁾

شيد الشاعر في الشطر الثاني من هذا البيت بعمل (حسان) ودوره في فتح شمال إفريقيا. وأدرك الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) أهمية شمال إفريقيا، فأراد استعادة مدينة القيروان من أيدي البيزنطيين، فأمر بتجهيز جيش كبير من العرب، بقيادة (حسان بن النعمان الغساني)، الذي تحرّك بجيشه من مصر إلى شمال إفريقيا وصولاً إلى برقة وطرابلس، ثم وصل القيروان دون أن يواجه أي مقاومة تذكر، وبعدها إلى قرطاج، وصقلية، وإسبانيا، حيث تواجد القوات البيزنطية.⁽⁴⁾

1- انظر: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، عبد الواحد دنون طه، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2004، ص115.

2- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1961، ص476-477.

3- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص29.

4- انظر: في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص43-45.

وبعد انتصاره على البيزنطيين في الخارج توجه بقوته إلى مقاومة البربر في الداخل، حيث كانت تقودهم امرأة تلقب بالكاهنة^(*)، لم يتمكن (حسان) من هزيمتها في الحملة الأولى، بل تمكن من هزيمتها في الحملة الثانية على شمال إفريقيا، فنشر الإسلام بين تلك القبائل.⁽¹⁾

وبعد أن حقق هذا الانتصار العظيم، رجع (حسان بن النعمان) إلى القيروان، وفي عهد الخليفة (الوليد بن عبد الملك بن مروان) عُزل (حسان بن النعمان)، وولي (موسى بن نصير) لاستكمال الفتوحات في شمال إفريقيا.⁽²⁾ ويصور الشاعر ذاك القائد الذي كُلف بمهمة استكمال الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا، حتى بلاد الأندلس في قصيدة بعنوان (دمشق) يقول:

حَدَّثِينَا عَنْ مَوْكَبٍ "ابْنُ نُصَيْرٍ" حِينَمَا عَادَ مِنْ فُتُوحِ الشَّامِ
مَوْكَبٌ لَمْ تَشَاهِدِ الشَّمْسُ أَسْنَى مِنْهُ وَجْهًا تَحْتَ السَّنَى الْمُتَالِي
سَارَ فِيهِ الْأُلُوفُ بَيْنَ أَسِيرٍ مُؤْتِقٍ فِي الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ⁽³⁾

يخاطب الشاعر مدينة دمشق بكلمة (حدثينا) لتخبره عن مسيرة الفتوحات التي قام بها القائد (موسى بن نصير) وتوليه فتوحات شمال إفريقيا بعد عزل (حسان بن النعمان الغساني)، إذ انطلقت مسيرته من مصر وشاركه في هذه الحملة الكثير من القادة العظماء أشهرهم (طارق بن زياد).⁽⁴⁾

وعند وصول (موسى بن نصير) إلى شمال إفريقيا اندمج وتعاون مع قبائل البربر ليسهل عليه تحرير شمال إفريقيا، وتمكن من توسيع فتوحاته حتى شملت كل الشمال الإفريقي من القيروان حتى المحيط الأطلسي.

* الكاهنة: ديهيا وُلدت عام 585 وترعرعت في ماسكولا بجبال الأوراس (خنشلة الواقعة في الشرق الشمالي الجزائري حالياً)، ثم صارت زعيمة قبيلة جراوة، قبل أن تتحول إلى حاكمة للأوراس، خلفاً لكسيلة. انظر: تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، ب. ط، ص 67.

1- انظر: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، صالح مصطفى مفتاح الميزيني، ص 56 - 59.

2- المرجع السابق نفسه، ص 58 - 59.

3- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص 83.

4- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص 126، وانظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد دنون طه، ناطق صالح مطلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص 46.

وفي تلك الحملة تمكّن من أسر عدد كبير من البربر إلى جانب الغنائم والأموال الطائلة التي أرسلها إلى مصر ودمشق. وبعد إخضاع قبائل البربر لولايته توجّه لتحرير المناطق الغربية من شمال إفريقيا، وجعلها تابعة للدولة العربية الإسلامية.⁽¹⁾

وعندما زحف (موسى بن نصير) اصطحب (طارق بن زياد) في حملته على (طنجة) في المغرب حيث جعله في مقدمة جيشه، وحقق فتحها، ثم توغل إلى الجنوب وتمت بذلك السيطرة على شمال إفريقيا من برقة إلى المحيط الأطلسي.⁽²⁾

كما تمّ في عهد الخليفة الوليد الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا تحت قيادة كلٍّ من (طارق بن زياد) و(موسى بن نصير)، واستمر الزحف نحو إسبانيا في معركة فاصلة دارت بين المسلمين والقوط، وكان النصر حليف المسلمين. وما حققه (طارق) في معركة (شدونة) من نصر جعله فتحاً لتحرير باقي الأندلس، وأخذ في تحريرها مدينة تلو المدينة، حتى انتهى كل من القائدين (طارق بن زياد) و(موسى بن نصير) من فتوحاتهما في الأندلس، ثم بعث الخليفة (الوليد بن عبد الملك) أوامره برجوعهما إلى دمشق، وخلف (موسى بن نصير) ابنه (عبد العزيز بن نصير) على الأندلس.⁽³⁾

وحقق هاذان القائدان العظيمان نجاحات باهرة في تحرير شمال إفريقيا وصولاً إلى المحيط الأطلسي، وبلاد الأندلس، من جور الاحتلال، وجاهدوا في سبيل نشر مبادئ الحق والعدل، فهما من أعظم ما أنجبت الأمة العربية الإسلامية، وهما مضرب المثل في الشجاعة والإقدام.

وتطرق الشاعر إلى شخصية بطولية أخرى حققت نجاحاتها في إفريقيا الشمالية الغربية وبلاد الأندلس وهو (يوسف بن تاشفين) الذي لعب دوراً بارزاً في توحيد المغرب الأقصى والأندلس في قصيدة (لو كنت أحمله في الجفن ما تعب) قائلاً:

1- انظر: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، عبد الواحد دنون طه، ص 130-132.

2- المرجع السابق نفسه، ص 132.

3- انظر: في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 66-71.

و"يُوسُفُ" مِنْ هُنَا نَجَى كَتَائِبُهُ لِيُوقِفَ الْمَدَّ عَنْ غَايَاتِهِ حُقْبًا
مُرَابِطِي هُنَا كَانَتْ بِدَايَتُهُ فَشَبَّ لَا مُثَرَفًا غُرًّا وَلَا خَشَبًا
أَبَتْ مُرُوءَتُهُ إِلَّا يُجِيبَهُمْ لَمَّا أَهَابُوا فَكَانَ الصَّارِمَ الذَّرْبَا
لِلَّهِ وَالْمَجْدِ مَا أَبْلَتْ كَتَائِبُهُ وَلِلْمُرُوءَةِ وَالْإِسْلَامِ مَا رَأَى
قَدْ عَادَ وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ لِرَأْيَتِهِ وَعَفَّ لَمْ يَغْتَنَمْ فَيْئًا وَلَا سَلْبَا
فَكَانَ "طَارِقُ" عَصْرٍ غَابَ طَارِقُهُ قَدْ وَطَدَ الْفَتْحُ لَمَّا رَكْنُهُ اضْطَرَبَا⁽¹⁾

يتحدث الشاعر عن أعمال (يوسف بن تاشفين) البطولية فهو يُعدّ المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين في المغرب الأقصى، واتصفت هذه الشخصية بالاسلة بصفة القيادة والزعامة، وما يصاحبها من شجاعة، وإقدام بين قومه، وصرامة في الحكم ومهابة الأعداء له، فلم يتأثر بحياة الترف والقصور والشهرة كبعض الولاة، ولكنه حقق انتصارات عظيمة، شملت فتوحاته بلاد المغرب، ولم يتوقف عند تحرير بلاد المغرب الأقصى فقط بل توجه بجيشه الجرار لمقاومة الإسبان (اليهود والنصارى) في بلاد الأندلس، وعمل على نشر الإسلام بها. فما حققه (يوسف بن تاشفين) في هذا الكفاح المسلح المير هو تقوية العلاقات بين المغرب الأقصى والأندلس.⁽²⁾

وفي موطن آخر يتحدث الشاعر عن مآثر (يوسف بن تاشفين) التي توالى فتوحات بلاد المغرب على يده، وأحكم قبضته عليها ثم عبر بفتوحاته إلى بلاد الأندلس، فهو قائد من قواد التاريخ الذين لمعت أعمالهم البطولية في سماء النضال من أجل الحرية ووحدة الشعوب في قصيدة بعنوان (فاسية) يقول فيها:

فَتْرِيكَ (يُوسُفَ) فِي زُرُودِ مَحَارِبٍ وَثْرِيكَ (زَيْنَبَ) فِي بُرُودِ كَعَابٍ⁽³⁾

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص227-228.

2- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص436. وانظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى، 1980، ص27-28.

3- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، ص250.

يذكر هنا ما حققه البطل (يوسف بن تاشفين) من مآثر تُنسب إليه والتي من بينها توحيد شمال إفريقيا الغربي، إذ قام بفتح مدينة طنجة وتلمسان، ووهران بالجزائر، وصولاً إلى مدينة تونس، وفي بلاد المغرب الأقصى حيث شرع في بناء مدينة (مراكش) التي جعلها عاصمة المغرب الأقصى، وبنى المسجد الجامع، وله باع طويل في الفتوحات لخبرته وبراعته القيادية في خوض الحروب وشجاعته وثباته على الحق، وبذلك استطاع ابن تاشفين أن يحقق وحدة المغرب والأندلس واستقرار سيادة المرابطين على المغرب الأقصى والأندلس لمدة طويلة.⁽¹⁾

ويذهب شاعرنا ليصور شخصية (طارق بن زياد) الذي ترعرع في بلاد المغرب ضمن قصيدة (مغربية) قائلاً:

فَهُنَا تَعَلَّمَ - فِي الْبَادِيَةِ - "طَارِقُ" صَيْدَ النُّجُومِ وَحَنَكَةَ الرُّبَّانِ⁽²⁾

يعبر الشاعر بكلمة (هنا) قاصداً بها بلاد المغرب، فيشير بها إلى (طارق بن زياد) الذي نشأ في بلاد المغرب وعاش بين ربوعها، تلك هي البادية التي تعلّم في أحضانها مهارات الصيد والشجاعة والمبارزة بالسيوف حتى جعلته شاباً يافعاً محنكاً يخوض المعارك لا يهاب الموت.

ويتناول الشاعر في أبيات من قصيدة (دمشق) ما كان عليه خلفاء الدولة الأموية من مجد وعظمة وشرف، وهم شامخون شموخ الجبال في رفعتها، ثابتون بعزمهم في دمشق ويقول فيها:

شَادَ فِيكَ الْخَلَائِفُ الْغُرَّ مَجْدًا رَاسَخَ الْآسِ شَامِخًا كَالْجِبَالِ
فَإِذَا مَا ذَكَرْتُ عَهْدَ (ابْنِ هِنْدٍ) مَاسَ عِطْفَاكِ فِي بُرُورِ الدَّلَالِ
وَتَلَقَّتُ إِنْ ذَكَرْتُ (ابْنَ مَرْوَا) (نَ) إِلَى عَهْدِ عِزَّةٍ وَجَلَالِ
وَ(ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) يَنْشُرُ ظِلَّ الْعَدْلِ يَسْرِي عَلَى الرَّبَى وَالتَّلَالِ
كَانَ فَوْقَ الْمُلُوكِ عِزًّا وَجَاهًا فِي الثِّيَابِ الْمُرَقَّعَاتِ الْبَوَالِي
إِنْ يَقْلُ يُنْصِتَ الْجَمِيعُ وَيَعْرُو كُلُّ جَيْشٍ كَهْزَةِ الزَّلْزَالِ

1- انظر: مختصر تاريخ العرب، غفيف البعلبكي، ص436. وانظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، ص27-28. وانظر: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، مطبعة المدني مصر، الطبعة الثانية، 1990، ص37-56.

2- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص29.

كُنْتُ إِذْ ذَاكَ قِبْلَةَ الشَّرْقِ وَالْغَرْ بَ وَمَثْوَى الثُّقَالِ وَالرِّحَالِ

لَكَ يُجَبَى الْخِرَاجُ مِنْ آخِرِ الدُّنْيَا وَتَأْتِيكَ حَاصِلَاتُ الْغِلَالِ⁽¹⁾

يشير شاعرنا إلى مآثر بني أمية، والتي سجلها التاريخ في صفحاته المشرقة، وابتدأ بذكر عهد (ابن هند) وهو (معاوية بن أبي سفيان)، الذي اشتهر بقوة العزيمة والدهاء والشجاعة، إذ يُعدّ أول خليفة للمسلمين في الدولة الأموية، حين توليه الخلافة في الكوفة قام بنقلها إلى دمشق، وجعلها عاصمة الدولة الأموية، وعمل (معاوية) على الاهتمام بهذه المدينة حتى أصبحت أجمل المدن الأموية ببنائها الفاخر من قصور، وحدائق، وناפורات، وملاهي، وبنى قصر الخضراء، وشيد المساجد، وصارت تنعم بالرفاهية والعظمة، وحقق لها الاستقرار والأمن، حتى غدت حاضرة الإمبراطورية الإسلامية،⁽²⁾ ومن أعظم أعماله بناء البحرية العربية الإسلامية، وإنشاء أسطول بحري للمسلمين لحماية الشواطئ العربية في البحر المتوسط، كما عمل على تجهيز جيش كبير لتحطيم الإمبراطورية البيزنطية، وفتح عاصمتها القسطنطينية ولكن لم يتمكن من فتحها لمناعة أسوارها ومتانة حصونها.⁽³⁾

ثم استطرد في سرده حتى عهد الخليفة (عبد الملك بن مروان) ليشيد بعزه ومجده وسلطانه، فكان أنموذجاً للطبيعة الأموية بشدة بطشه ونشاطه واهتمامه وميله إلى الشجاعة، فبمهاراته استطاع تثبيت مركزه، وتقوية نفوذه العظيم بين بني أمية، ومن أعماله استولى على الحجاز بعد مقتل (ابن الزبير)، وأخضع مكة، وصار (عبد الملك بن مروان) سيد الإمبراطورية الإسلامية، وأحكم قبضته على جزء كبير من الإمبراطورية البيزنطية، وعلى جزء كبير من شمال إفريقية.⁽⁴⁾ وبهذا العمل القيادي قوي مركزه وقدره في الدولة الأموية وبين أهل العراق، وينتهي بالشاعر المطاف ليوضح دور الخليفة الأموي (عمر بن عبد العزيز) حين توليه الخلافة، حيث ساد السلام والأمن والعدل في عهد خلافته، فلم يحمل في نفسه جبروت وكبرياء الملوك على رعيته، بل كان حكمه

1- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص 82-83.

2- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص 185.

3- انظر: الدولة الأموية، الشيخ محمد الخضري، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998، ص 313-314.

4- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص 99-102.

على نهج الخلفاء الراشدين، فنشر بينهم العدل والإنصاف والوفاء، حكم بينهم بالرفق واللين، شهدت عليه الأرض وما عليها،⁽¹⁾ كان أعدل حكام بني أمية وأكثرهم تقوى وخوفاً من الله.

كما كان في عهده مسؤولاً عن الخزانة العامة للمسلمين ما يسمى (بيت مال المسلمين)، وكان لكل فرد حق في أن يتقاضى مرتباً من داخل الدولة، وكانت كل ولاية تدفع الضرائب إلى خزانته.⁽²⁾

(عمر بن عبد العزيز) كان أكثر ملوك بني أمية قوة وقدراً ومنزلةً على الرغم من ثيابه البالية المرقعة، وكان صوته مسموعاً بين رعيته يهز كهزة الزلزال، وكانت دمشق في عهده مأوى القوافل والتجارة يأتي إليها من الشرق والغرب، ويجمع (عمر) الخراج من دمشق وما يجاورها في الولاية كل آخر موسم، ويأتي إليها بثمر المحاصيل من الأموال المفروضة على كل مدينة في الولاية.

ولم يتوقف تحرير العرب لبلدانهم من الفرس والروم البيزنطيين، بل ظهر ما يُعرف بالحروب الصليبية التي عمدت إلى مهاجمة المسلمين؛ لتحقيق ما يرنون إليه من هيمنة سيطرتهم على المسلمين، وتحقيق مآربهم الاستعمارية في الشرق العربي. وباندلاع هذه الحروب ظهر (صلاح الدين الأيوبي) ببسالته حين تصدى للصليبيين (الإفرنج) وحرر القدس، ومجده الشاعر في قصيدة بعنوان (دمشق) قائلاً:

وَوَلَدَتِ الرَّجَالَ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ	يَغْرِبِي يَحْمِي حِمَى الْأَشْبَالِ
فَمَتَى تُنَجِّبِينَ مَثَل "صَلَّاحِ الدِّ	يَنْ "يَمْخُو إِسَاءَةَ الْاِحْتِلَالِ؟
وَيُذِيقُ الْيَهُودَ مَثَلِ الصَّلِيبِيِّينَ	كَأَسِ الرَّدَى وَكَأَسِ الْوَبَالِ
فَفِلَسْطِينُنَا الْحَبِيبَةُ تُشْكَو	لِبَنِي الْعُرْبِ وَطْأَةَ الْأَغْلَالِ
نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِهِ الْيَوْمَ	مَ لَأَعْبَاءِ قَوْمِهِ حَمَّالِ ⁽³⁾

1- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص110.

2- انظر: المرجع السابق نفسه، ص179.

3- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص85.

يتحدث السوسي عن البطل (صلاح الدين الأيوبي) الذي تُوج تاريخ البطولة والفداء بدمائه الزكية، وروحه الطاهرة، كان المثل الأعلى للبطولة، خلده التاريخ في سفر نضال الشعوب، وأنّ ما قيل من شعر عن البطل (صلاح الدين الأيوبي) ما هو إلّا قوافي تعبق برائحة الكفاح، وبين ثناياها نفحات الشجاعة والإقدام.

فدمشق خلفت رجالاً من كل أب عربي الأصل يدافعون دفاع الأشبال في قوتهم، ثم يسأل الشاعر دمشق متى تأتي ببطل كالبطل (صلاح الدين الأيوبي) الذي صار مضرِباً للمثل في البطولة والإقدام، حين كبّل أعداءه الصليبيين بالهزيمة المادية والمعنوية، وأنّ الأمة العربية بحاجة إلى مثل هذا البطل المقدم. إنّه أنموذج فذ لشخصية دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، إنّه محرر القدس - مهبط الأنبياء ومسرى النبي العربي عليه الصلاة والسلام - وبطل معركة حطين التي كبّد فيها الإفرنج شر هزيمة.

ثانياً: المدن التاريخية

شهدت المدن العربية فتوحات العرب المسلمين لها، حين قاموا بفتحها وتحريرها من سيطرة أعدائهم المتجبرين من الفرس والروم والأسبان، وعملوا على بنائها وإعمارها بعد عملية كل فتح عربي إسلامي، حتى أصبحت منائر للعلم، والثقافة، يتوافد عليها العلماء وطلاب العلم والفقهاء من كل حذب وصوب، وصارت أكبر المراكز للحضارة العربية الإسلامية. وذكر الشاعر في قصائده عدداً من المدن التاريخية ذات الصلة بالحضارات العربية الإسلامية التي أقامها العرب في ذلك الزمن سواء في بلاد الشام، أو العراق، أو المغرب الأقصى، أو بلاد الأندلس. فيتحدث عن مدينة دمشق وما حققته من انتصارات، وما خلّفته من أمجاد من خلال تاريخ العرب الحافل بالبطولات الرائعة وما حظيت به من تقدم وازدهار في ربوعها في قصيدة (جانحنا نسر) فيقول:

(دِمَشْقُ) يَا فَجْرَ أَيَّامٍ مُحَجَّلَةٍ كُنَّا بِهَا نَسْرِجُ الدُّنْيَا وَنَلْتَجِمُ

أَيَّا سَمَاءٍ: نُجُومُ الْعَرِّ مَطْلَعُهَا مِنْهَا وَمِنْ أَفْقِهَا تَسَاقُطُ الرُّجُمُ

مِنْكَ انْتَشَرْنَا ضِيَاءٌ لَا حُدُودَ لَهُ تَنَادَحُ -تَحْتَ سَنَاهِ الْمَشْرِقِ- الظُّلُمُ⁽¹⁾

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص14.

مدينة (دمشق) من أقدم المدن التاريخية في بلاد الشام، شهدت ازدهارها منذ احتلال الروم لبلاد الشام، واتخذ الروم (دمشق) عاصمة ومقرًا لقواتهم العسكرية في ذلك الوقت، وعند فتح المسلمين لبلاد الشام أصبحت حاضرة الإمبراطورية الإسلامية طول فترة عهد الخلفاء الراشدين، ومن ثمّ صارت عاصمة الدولة الأموية عند تولي (معاوية بن أبي سفيان) الخلافة في الكوفة ثم قام بنقلها إلى (دمشق)، فأصبحت غاية في الترف، والعظمة، وازدهرت بتقدم العمران والبناء الفاخر من حدائق ومباني وقصور كقصر الخضر الذي بناه (معاوية)، ويُعدّ من أهم معالمها، والمساجد كمسجد الجامع الأموي الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك، والملاهي والنفورات، بالإضافة إلى مراكز العلم والثقافة، حتى غدت أكبر وأعظم المدن الإسلامية، وبهذا القدر شهدت مجداً عظيماً⁽¹⁾، و(دمشق) ببلاد الشام عاصمة (سوريا) حالياً.

ثم ينتقل الشاعر ليمجد بطولات العظماء من خلفاء وقواد وفاتحين للبلاد العربية فيقول في قصيدة بعنوان (جانحاً نسر):

"أُمِيَّةٌ" وَجُبُودُ النَّصْرِ ضَارِيَّةٌ اللَّهُ أَكْبَرُ تَحْدُوها فَتَقْتَحِمُ⁽²⁾

يصور الشاعر الأعمال البطولية لأولئك الإفذاذ من بني أمية حين لبوا نداء الجهاد (الله أكبر) فكان شعاراً وفاتحة للنصر على الأعداء. وهنا يتناول الشاعر الموقف البطولي لفتح عاصمة الإمبراطورية الرومانية مدينة (القسطنطينية) حيث يقول في قصيدة (جانحاً نسر):

عَلَى مَشَارِفِ "قُسْطَنْطِينِيَّةٍ" عَلمٌ يَهْفُو وَفَوْقَ دُرَى "قُسْطَالَةَ" عَلمٌ⁽³⁾

تلك المدينة التي لم يتمكن المسلمون بقيادة (معاوية بن أبي سفيان) من فتحها مع تكرار المحاولة؛ لعوامل عدة من بينها مناعة أسوارها، وقوة تحصينها، ولكن هناك من اخترق الصعوبات والحواجر، وحقق البطولة الخارقة، التي جعلت الشاعر يستلهم روعتها من خياله، حين ظهرت بسالة البطل (محمد الفاتح) الذي تمكن بخبرته

1- انظر: الدولة الأموية، الشيخ محمد الخضري، ص313-314.

2- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص14.

3- المصدر السابق نفسه، ص14.

القيادية من الاستيلاء على مدينة (القسطنطينية)، وتمكّن من الفتك بالإمبراطورية الرومانية، فقام بفتحها وجعلها عاصمة لدولته سنة 1435 وهو أحد حكام الدولة العثمانية، ثم غير اسم المدينة وأطلق عليها (أستانبول)، وبهذا الفتح العظيم علق على مشارف المدينة راية النصر.⁽¹⁾

يليهام مملكة (قشتالة) حيث صور الشاعر الموقف البطولي الذي قامت به القوات المرابطية بقيادة (يوسف بن تاشفين) أمير دولة المرابطين، وهي تتصدى للقوات الإسبانية في مملكة (قشتالة) ببلاد الأندلس (إسبانيا الحالية)، وانتهت هذه المعركة بمقتل (سباتشو) قائد القوات الإسبانية، وهو ابن الفونس السادس الذي فرّ هارباً من المعركة حين انتصرت القوات المرابطية على القوات القشتالية في معركة حاسمة رافعين علم النصر فوق جبالها الشامخة.⁽²⁾

وفي بيت في قصيدته (جانحا نسر) يشير الشاعر بكلمة (هناك) إلى وجود قبر (أبي أيوب) في (دمشق) ويشير كذلك بكلمة هنا إلى وجود (عبد الرحمن الداخل) ودولته الأموية في الأندلس حيث قال:

هَـنَاكَ قَبْرُ (أَبِي أَيُوب) مُؤْتَلِقٌ وَهَـا هُنَا (الدَّاخِلُ) المِيمُونُ مُبْتَسِمٌ
أَيَّامَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلْكِتَابِ فَمَا غَيْرُ الَّذِي بَكِتَابِ اللَّهِ يَلْتَزِمُ⁽³⁾

يصور الشاعر تألق سيرة البطل (صلاح الدين الأيوبي) في تاريخ البطولات بعد موته، فهو مضرب الأمثال في البطولة والفداء والذي "دفن بجوار المسجد الأموي في دمشق"،⁽⁴⁾ ثم يصوّر الشاعر مكانة (عبد الرحمن الداخل) حين ترجّع على كرسي العرش وتوليه الدولة الأموية في الأندلس، وعمل على إحيائها بعد سقوطها في يد العباسيين في بغداد، هذه هي مواقف الأبطال من الرجال، في زمن كان كتاب الله يحكمهم فالتزموا به.⁽⁵⁾

1- انظر: الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1967، ص140.

2- انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، ص257-258.

3- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص14.

4- صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد الدومي، المكتبة التحضيرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص164.

5- انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، ص206-209.

ويصف الشاعر مدينة بغداد في بلاد العراق زمن العصر العباسي، فيوضح مكانتها التاريخية بين المدن الأخرى في عصري الخليفة (أبي جعفر المنصور)، و(المأمون) في قصيدة (مهرجان الشعر التاسع بغداد 1968) بقوله:

بَغْدَادُ سِحْرُ الشَّرْقِ فَنِيحُ أَرِيحَهُ بَغْدَادُ كِنَزُ مَعَارِفِ وَفُنُونِ
عَرِيَّةُ الْمِيلَادِ يَنْبُضُ قَلْبُهَا بِدَمِ نِزَارِي الْأُصُولِ ثَمِينِ
حَسَنَاءُ فِي أَكْنَافِ "جَعْفَرُ" نَشِئَتْ وَرَبَتْ وَشَبَّتْ فِي حِمَى "المَأْمُونِ"⁽¹⁾

يصف الشاعر مدينة (بغداد) بـ (سحر الشرق) وهي غاية في التعبير لإظهار الصورة الجمالية لهذه المدينة بفنها المعماري الإسلامي الجديد، كما تُعدّ منبراً للعلم والعلماء والفقهاء، والفنون، والمعارف المختلفة، ومركزاً للخلافة العباسية صاحبة السلطان الشرعي على جميع الأقطار الإسلامية.⁽²⁾

ثم أشاد بأصول مدينة (بغداد) العربية العريقة في نشأتها، وهذا دليل قاطع على وحدة الأصل العربي، وما تربطه من قرابة الدم، فالعرب هم أكثر أناس يتمسكون بالنسب والقرابة، فتُعدّ هذه الروابط من الروابط القومية.

وينتقل الشاعر في البيت الثالث ليجري اهتمامات الخليفة (أبي جعفر المنصور)، والخليفة (المأمون)، ففي الشطر الأول أبرز الشاعر أعمال (أبي جعفر المنصور) المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، والذي قام ببناء مدينة بغداد زمن حكمة وجعلها عاصمة لدولته ومقرّاً لخلافته إذ بذل (أبي جعفر المنصور) قصارى جهده لإظهار مدينة بغداد في أجمل صورة، كما شجّع الحركة العلمية والصناعية والفنية المختلفة.⁽³⁾

وفي الشطر الثاني تطرّق إلى جهود (المأمون) أثناء حكمه لبغداد حين أوقف الفتن ونشر الأمن والاستقرار، وعمل على إعمار (بغداد) وصيانتها وتنظيمها، بعد ما حل بها من تخريب ودمار وقت الحصار، كما شهدت

1- ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، ص76-77.

2- انظر: في التاريخ العباسي والأندلسي، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص56.

3- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص199.

بغداد في عهد (المأمون) نهضته علمية متقدمة من خلال تشجيع حركة الترجمة والاقتباس من علوم الفرس والهند والروم البيزنطيين،⁽¹⁾ و"أهتم المأمون بجمع تراث الأمم القديمة الأخرى، وبخاصة التراث اليوناني".⁽²⁾ ولا يفوت الشاعر الحديث عن مدن بلاد المغرب فهي قاعدة من قواعد الحضارة الإسلامية، حيث برزت الأحداث التاريخية التي مرّت بها كل مدينة، من "مقاومة الاستعمار الأوروبي"،⁽³⁾ وما شهدته من اهتمام ونشاط في حركة البناء والتعمير في عصر المرابطين والموحدين، كبناء المدن والمنازل والقصور والحدائق والمساجد،⁽⁴⁾ كما نمت الحركة الفكرية والعلمية وازدهرت على يد الكثير من علماء وفقهاء بلاد المغرب،⁽⁵⁾ إلى جانب نشر الإسلام هادفين إلى إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والمعرفة، بتعليم الناس كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.⁽⁶⁾

فبدأ الشاعر بذكر مدينة (الرباط) وهي إحدى مدن بلاد المغرب الأقصى الساحلية، وأشار إليها بكلمة (هنا) لتحديد مكان وجودها في المغرب، حيث قام الموحدون ببناؤها وجعلوها عاصمة لهم، ولا تزال إلى اليوم عاصمة المغرب الأقصى قائلاً في قصيدة مغربية:

وَهُنَا "الرِّبَاطُ" عَلَى الْمُحِيطِ تَرَبَّعَتْ تَزْهُو بِتَاجِ الْحَسَنِ وَالسُّلْطَانِ⁽⁷⁾

يصف الشاعر الموقع الجغرافي لمدينة (الرباط) حين بناها الموحدون على البحر المحيط، ويرى تربعها على المحيط كتريع التاج فوق رأس السلطان، مما زادها حسناً وجمالاً في منظرها، وهي تزهر بطبيعة خلابة ساحرة، وازدهرت المدينة في عصر الموحدين بالبناء والعمران حيث تمّ بناء المنازل والقصور والمساجد كـ "جامع حسان وصومعته الشامخة المشيدة على الطراز البيزنطي"،⁽⁸⁾ والمدارس والمستشفيات، وكان طابع البناء فيها بين

-
- 1- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص243. وانظر: الدولة العباسية، محمد الخضري، ص190 - 195 - 196.
 - 2- في التاريخ العباسي والأندلسي، أحمد مختار العبادي، ص108.
 - 3- تاريخ حركات التحرر في العالم، محمد امحمد الطوير، منشورات الزاوية، ليبيا، الطبعة الثانية، 2002، ص111.
 - 4- انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، حسن علي حسن، ص372.
 - 5- انظر: المرجع السابق نفسه، ص443.
 - 6- انظر: المرجع السابق نفسه، ص449.
 - 7- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص29.
 - 8- تاريخ العرب الحديث، زاهية قدورة، دار النهضة العربية، د. ط، 1985، ص530.

الطابع الإسلامي، والطابع الشرقي،⁽¹⁾ ويطلق على مدينة (الرباط) رباط الفتح لمكانها حيث كانت رباطاً عسكرياً على أعداء الإسلام.⁽²⁾

ويمضي الشاعر إلى مدينة أخرى من مدن بلاد المغرب الساحلية، وهي (الدار البيضاء)، ومن ذلك قوله في قصيدة (مغربية):

وَالدَّرَةُ "الْبَيْضَاءُ" تَخْتَلِبُ النُّهَى وَتَتِيهُ كَالْحَسَنَاءِ بَيْنَ حِسَانِ⁽³⁾

يصف الشاعر المدينة (بالدرة)، وهذا رمز لجمالها الساحر، وطبيعتها الخلابة الزاهية في عيون الناظرين، ولموقعها على الساحل الذي أضفى عليها رونق الجمال، وهي من مراكز الاصطياف المعروفة في بلاد المغرب، لوقوعها على مضيق جبل طارق، مما جعلها تمتاز بمناخ معتدل، وصيف جميل، واشتهرت المدينة بكثرة الموانئ بعضها يقع على المحيط الأطلسي، وبعضها يطل على البحر المتوسط، ولهذا أصبحت عاصمة المغرب الاقتصادية والتجارية، كما تمتاز المدينة بفنها المعماري الجميل الضخم وأبنيتها ومعالمها حديثة الطراز.⁽⁴⁾

ويشير الشاعر بكلمة (هنا) التي توجد بها مدينة "فاس"، التي عمل الأدارسة العلويون على تأسيسها واتخذوها عاصمة لهم في ذلك الوقت،⁽⁵⁾ في قصيدة (مغربية) فيقول:

وَهُنَا مَنَائِرُ "فَاسٍ" تَهْدِي فِي الدُّجَى
فِيهَا رِيَاضُ الصَّالِحِينَ وَحَوْلَهَا
تَرْكُو بِسَاحَتِهَا الْعُقُولُ فَبُورَكَاثَ
بِشْعَاعِ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
حَلَقَاتُ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
مِنْ مَنَبَتِ خَضَبٍ وَمِنْ بُسْتَانِ⁽⁶⁾

1- انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، ص 374، ص 384-385.

2- انظر: في التاريخ العباس والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 11-12.

3- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص 29.

4- انظر: تاريخ العرب الحديث، الزاهية قدورة، ص 530 - 531.

5- انظر: في التاريخ العباس والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 11.

6- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص 29.

يتحدث الشاعر عن مدينة (فاس) حين صارت لها مكانتها الثقافية والدينية والعلمية والتجارية بين مدن بلاد المغرب الأقصى، إذ حظيت من قبل المرابطين والموحدين بالبناء والتعمير، وبناء المساجد كجامع (القرويين) الذي أشرف على بنائه (يوسف بن تاشفين) الذي ظل منبراً يشع بعلمه، ويتوافد إليه طلاب العلم لتلقي علومهم، وجامع (الأندلسيين) الذي بناه (الناصر الموحدي)، وتألفت المدينة بنشاطها العلمي والديني والأدبي كذلك، حيث وجود جامعة (فاس)، وجامعة (القرويين) التي كانت ولا تزال ملتقى المفكرين، حتى صارت منبراً تشع بنورها للعلم والعلماء، وينهل من علومها ومعارفها الداني والقاصي من طلاب العلم،⁽¹⁾ وظلت فاس القديمة مركزاً للنشاط الاقتصادي على عكس فاس الجديدة التي ظلت مركزاً للحكم.⁽²⁾

كما يشير الشاعر بكلمة (هنا) مرتين في الشطر الأول ليؤكد مكانة مدينة (مراكش) التي يطلق عليها (الحمراء)^(*) في بلاد المغرب التي بناها المرابطون عهد (يوسف بن تاشفين) واتخذها عاصمة لهم، ومن بعدهم الموحدين، فهي ذات مركز مهم بين مدن المغرب الأقصى،⁽³⁾ ضمن قصيدة (مغربية) فيقول:

وَهُنَا - هُنَا - "الْحَمْرَاءُ" وَهِيَ مَثَابَةٌ وَهُنَا رُبُوعُ الْعَزِّ مِنْ تَطْوَانِ⁽⁴⁾

شهدت مدينة "مراكش" تطوراً وازدهاراً في حركة التعمير والبناء في ظل المرابطين والموحدين،⁽⁵⁾ إلى جانب تشجيع ولاية الأمر للعلم والعلماء، ومساهماتهم في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام حتى صارت مراكش مركزاً لطلاب العلم والمعرفة.⁽⁶⁾

1- انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، ص448. وانظر: تاريخ العرب الحديث، زاهية قدورة، ص530.

2- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد بن سودة، الجزء الثاني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995، ص140.

* سميت الحمراء للون تربتها الحمراء.

3- انظر: في التاريخ العباس والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص11.

4- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص30.

5- انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، ص372.

6- انظر: المرجع السابق نفسه، ص446 - 447.

ثم يأتي الشاعر في الشطر الثاني ويشير بكلمة (هنا) ليظهر عز مدينة (تطوان) بين مدن المغرب الأقصى الساحلية، مصوراً مكانة المدينة، وهي تنعم بمركزها التجاري والعلمي، كانت ولا تزال عاصمة الشمال العلمية والإدارية، كما بلغت شأنًا عظيمًا بسبب موقعها على مفترق الطرق البحرية، إلى جانب كثرة الموانئ البحرية فيها كبناء الجديدة وأزمور والقنيطرة، فهي تُعدّ مقرأً للتجارة الداخلية.⁽¹⁾

واستهل الشاعر حديثه عن بلاد المغرب الأقصى بذكر إعلان للأمر (قل - قف)، وأراد بالفعل الأول (التذكير) بمجد وتاريخ المغرب وما حققته من بطولات مجدها الأبطال والعظماء على أرضها، ثم يأتي بالأمر الثاني (التأمل) لربط وجه التشابه بين بلاد المغرب والأندلس من ناحيتين الجغرافية والتاريخية، ليزكروا بمجد وتاريخ هاتين البلدين، لذلك فإنّ المغرب الشقيق ربط مصيره وإمكانياته وأهدافه بالأندلس منذ البداية، حتى أصبحت جزءاً من كيانه، ولهذا قرن الشاعر المغرب بالأندلس⁽²⁾ في قصيدة بعنوان (لو كنت أحمله في الجفن ما تعب)، ومن ذلك قوله:

فَقُلْ لِمَنْ زَارَ هَذِي الْأَرْضَ مُدَكِّرًا أَعِدْ هُنَا الْمَجْدَ وَالتَّارِيخَ وَالْعُرْبَا
قَفْ - مِثْلَنَا - وَتَأْمَلْ فِي مَلَامِحِهَا وَأَهْلِهَا تَجِدِ الْأَجْدَادَ وَالْعَقَبَا⁽³⁾

ويصور الشاعر المدن الأندلسية في أوج ازدهارها فأشار في هذا البيت لمدينة (قرطبة) واهتمامات (عبد الرحمن الداخل) لها في نفس القصيدة بقوله:

نَسْتَأْفُ مِنْ رِيحِهَا أَنْفَاسَ (قُرْطَبَة) وَمَا بَنَى (الدَّاحِلُ) الْمَيْمُونُ أَوْ نَشَبَا⁽⁴⁾

وكان الشاعر يستلهم من عبير المغرب أنفاس (قرطبة) لترد إليه روحه، وهذا دليل على الحب العميق الذي يختزله الشاعر في نفسه نحو (قرطبة) حين كانت زمن الدولة الإسلامية قاعدة رئيسة من قواعد الإسلام

1- انظر: تاريخ العرب الحديث، زاهية قدورة، ص535.

2- نظر: في التاريخ العباس والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص19 - 20.

3- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص226-227.

4- المصدر السابق نفسه، ص227.

بالأندلس وعمل الأمير (عبد الرحمن الداخل) على إحياء الدولة الأموية بالأندلس بعد سقوطها في يد العباسيين واتخذ قرطبة عاصمة الأندلس، وأول من غرس بذور الحضارة الإسلامية في الأندلس، وبنى المسجد الجامع، ونظم أمور الدولة السياسية والاقتصادية، واهتم بالحركة العمرانية التي لم يسبق لها مثيل حتى صارت الأندلس مركزاً للعلم والحضارة، وبعد سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين شوهت جميع هذه المعالم بأيدي اليهود والنصارى، وأصبحت مدينة أوريبة بكل معنى الكلمة، وحُولت المساجد إلى كنائس كمسجد (قرطبة) الجامع الذي شُوهت معالمه الإسلامية، وأزيلت القباب القديمة، ونُصّب فوقها الصלבان، وأزيلت جميع الزخارف الإسلامية القديمة ووضع زخارف نصرانية مكانها.⁽¹⁾

ثم ينتقل الشاعر إلى مدينة أخرى من مدن الأندلس العريقة مبرزاً معالمها وآثارها الأندلسية قبل سقوطها في يد أسبانيا النصرانية ففي قصيدة (لو كنت أحمله في جفني ما تعباً) يقول فيها:

وَإِنْ تَشَأْ فَهُنَا "غَرْنَاطَةُ" رَفَلْتُ فِي حِلْيِهَا وَارْتَدَّتْ أَتْوَابُهَا الْقُشْبَا⁽²⁾

يشير الشاعر إلى ازدهار مدينة (غرناطة) أيام الدولة الإسلامية، إذ تُعدّ من المراكز العلمية التي ساهمت في إثراء الرقي للحضارة العربية الإسلامية، وصارت موطناً لتوافد العلماء والفقهاء، وامتازت بفنها المعماري وتطور معالم العمران فيها، ومن أشهر معالمها (قصر الحمراء) الذي أسسه بنو الأحمر عند حكمهم لها، وصمدت (غرناطة) في وجه الأسبان طويلاً، فكانت آخر معقل للعرب والمسلمين في الأندلس.

وبهذا الحدث المروع سقطت مدينة (غرناطة) في أيدي الأسبان، واختفت معالم الدولة الإسلامية، وحلت محلها مدينة أوريبة صرفة، ولم يبقَ من معالمها وآثارها الأندلسية سوى القليل المشوه بزخارف النصرانية على يد اليهود والنصارى.⁽³⁾

1- انظر: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1997، ص 18-19.

2- ديوان تقاسيم على أوثار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 227.

3- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص 505. وانظر: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، ص 160-165.

ويليها مدينة (إشبيلية) ليحدثنا عن أعظم مدن الأندلس وأجملها أيام الدولة الإسلامية التي أشرقت بمعالمها وآثارها الأندلسية أيام (بني عبّاد) في نفس القصيدة حيث قال:

وَرَبِمَا مَثَلْتُ "أَشْبِيلِيَا" وَزَهَيْتُ فِيهَا غِرَاسُ "ابْنُ عَبَّادٍ" وَمَا وَهَبَا⁽¹⁾

يتحدث الشاعر عن بصمات (بني عبّاد) في مدينة (إشبيلية) عهد الدولة الإسلامية، من حيث تطور العمران وبناء الصروح والمدن والميادين والمساجد والمعاهد والمراكز العلمية ذات الحركة الثقافية العريقة، وبناء الحدائق والمنتزهات، حتى أصبحت أجمل مدن الأندلس، وعند سقوط (إشبيلية) في أيدي القشتاليين تحولت هذه الآثار والصّبغات الإسلامية إلى الطابع النصراني وهُدمت المساجد وبنى مكانها الكنائس.⁽²⁾

ثالثاً: المعارك التاريخية

منذ قديم الأزل والأمة العربية تعاني خطر التحديات مع خصومها من الفرس والروم البيزنطيين، فكانت أعظم قوة مهيمنة على الأرض، ولكن الأمة العربية لم تغفل عن هذا الخطر الداهم، ومنذ تلك الآونة وحدثت العرب صفوفها وجعلتها قوة واحدة متضامنة، تتصدى لعدوها وتقاومه تحت راية الإسلام، واستطاع العرب تحرير الأرض العربية من سيطرة الفرس والروم التي دامت قرناً بعيدة، وبفضل الانتصارات التي حققها العرب في كثير من معاركهم أصبح الحكم لهم.

ويذكر شاعرنا من تلك الانتصارات معركتين وآثارهما على العرب والإسلام من عزة ومجد فيقول في قصيدته (تلتقي الأرض ها هنا والسماء):

وَسَرَايَا فِي الْقَادِسِيَّةِ وَالْيَرْمُوكِ تَعْنُو لِعِزِّهَا الْجَوْرَاءِ⁽³⁾

قدّم الشاعر ذكر معركة (القادسية) على (اليرموك) مع أنّ المصادر التاريخية تثبت تقدّم معركة (اليرموك) على (القادسية)، حيث جرت أحداث معركة (اليرموك) سنة 634، بين العرب المسلمين بقيادة (خالد بن الوليد) في

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص227.

2- انظر: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، ص45-49.

3- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص83.

بلاد الشام وبين الروم البيزنطيين بقيادة (هرقل)، فهي تُعدّ من أعظم المعارك في تاريخ الإسلام حيث مُني فيها الروم بالهزيمة، في حين أحرز العرب المسلمون النصر المبين.⁽¹⁾

بينما وقعت أحداث معركة (القادسية) سنة 636، فهي من المعارك الحاسمة والمصيرية التي دارت راحاها بين العرب المسلمين والفرس فكان على رأس العرب (سعد بن أبي وقاص)، وكان (رستم) على الفرس، وكانت تلك المعركة على أرض العراق، وتُعدّ هذه المعركة من أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي، حيث وَفَّقَ الله العرب المسلمين فيها، وأحرزوا انتصاراً باهراً، بعد أن قُتل قائد الفرس. ولعل هذا ما جعل شاعرنا يقدّم ذكر (القادسية) عن (اليرموك)، ومن خلال تلك النتائج العظيمة صار للعرب القيادة في الشرق بدل الفرس والروم.⁽²⁾

شهد الوطن العربي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حركة استعمارية شرسة من قِبَل الغرب البغيض، تُعرف بالحروب الصليبية؛ لتحقيق ما تنووا إليه من فرض سيطرتها وتحقيق آمالها ومطامعها في الشرق، وتُعدّ تلك المطامع أهم عامل لتوجه الحملة الصليبية إلى الوطن العربي، ولذا يُعدّ العداء بين الغرب والشرق منذ قرون طويلة فهو ليس وليد اللحظة.⁽³⁾

ويصور لنا الشاعر معركة (حطين) وكيف كانت جيوش المسلمين تواجه زحوف الإفرنج الصليبيين في قصيدة (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) قائلاً:

وَالْفُتُوحَاتُ وَالزُّخُوفُ إِلَى حِطِّينَ تَنْتَرَى.. وَيَسْقُطُ الشَّهْدَاءُ⁽⁴⁾

حشد (صلاح الدين الأيوبي) قوة كبيرة من المسلمين استعداداً لمواجهة الصليبيين وقائدهم (ريموند)، وتوافدت تلك القوة الإسلامية إلى معركة (حطين) التاريخية⁽⁵⁾ بكل حماس وإقدام دون تخاذل أو تهاون، وأخذت تقاتل

1- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص45.

2- انظر: مختصر تاريخ العرب، عفيف البعلبكي، ص35. وانظر معارك العرب ضد الغزاة، محمد عمارة، ص15-25. وانظر دراسات في الوعي بالتاريخ، محمد عمارة، ص40-48.

3- انظر: الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، ص5.

4- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص83.

5- انظر: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986، ص38. وانظر: معارك العرب ضد الغزاة، محمد عمارة، ص50-51.

دفاعاً عن أرضها، من أجل تحرير (القدس)، فهو مهبط الأنبياء، ومسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ويشير الشاعر إلى كثرة سقوط الشهداء في ساحة المعركة وهم يروون بدمائهم الطاهرة أرض القدس ثمناً لحريتهم، وبذلك التضحيات البطولية، والحماس المتقد، والإيمان الذي لا يتزعزع في قلوبهم حقق المسلمون النصر على الصليبيين، و"بقيادة صلاح الدين الأيوبي فأبرز نواياه الجميلة نحو الدفاع عن مجد العروبة."⁽¹⁾ واليوم تتكالب قوى الشر وتنقض على هذه الأمة العربية طمعاً في خيراتها التي منحها الله لها، ورغم أن تلك الأطماع لم تكن جديدة من قبل الاستعمار، فالأمة العربية عبر تاريخها النضالي، كانت ولا تزال سداً منيعاً بكل ما تملك من نفسٍ ونفيس أمام تلك الأطماع التي تخفي خطرهما على العروبة والإسلام.

وتشابهت أحوال الأمة العربية في كفاحها ضد الاستعمار الأوروبي المكوّن من (إيطاليا، وفرنسا، وبريطانيا)، سواء في شمال إفريقيا وتتمثّل في (ليبيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، ومصر)، أو في بلاد الشام وتتمثّل في (سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين).

وعمّق الاستعمار الأوروبي سيطرته على البلاد العربية، فكانت ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي، بينما المغرب، والجزائر، وتونس، ومصر، وسوريا تحت الاحتلال الفرنسي. وتعرّض هذه الشعوب للاحتلال الاستعماري جعلها تترج وتئن تحت سيطرته سنين طويلة، ولكن روح المقاومة الوطنية لم تخدم طويلاً حتى تقجر لديهم حافز الحماس للتضحية والنضال، وخاضت الشعوب معارك وطنية ضد أعدائها المعتدين عليها بغير وجه حق في أوطانها.

وعلى الرغم من انشغال الشاعر حسن السوسي بقضايا ليبيا الوطنية، وما كانت تعانيه ليبيا من الاستعمار الإيطالي الفاشستي فإنّه لم ينشغل عن قضايا عروبه القومية في الأقطار العربية المجاورة، بل مزج الشاعر بين المعارك الوطنية التي دارت أحداثها في المغرب وسوريا وبين المعارك الوطنية التي دارت أحداثها في ليبيا، وهذا دليل ثابت وقطعي على حب الشاعر لقوميته العربية، وانتمائه العروبي، وأنّ ليبيا جزء من الوطن العربي لا

1- صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد الدومي، ص72.

يمكن فصله عن بقية الأقطار العربية الأخرى؛ فليبيا يربطها بهذه الأقطار رابط القومية المتمثل في التاريخ، واللغة، والدين، ووحدة الأصل والدم، والعادات المشتركة، والتاريخ المشترك، فالقومية شعور كامن في نفس كل عربي تجاه وطنه العربي الكبير ولا يحتكرها على وطنه الصغير الذي يعيش فيه، "وهكذا بدأ المد القومي في الشعر الليبي حتى أصبح ظاهرة يتميز بها هذا الشعب، فالشاعر عندما يتحدث عن وطنه ليبيا فهو يتحدث عن وطنه العربي الكبير".⁽¹⁾

ومن هنا أظهر السوسي مشاعره القومية في شعره وهو يصور نضال كل من المغرب وليبيا من أجل الحرية والاستقلال، وما عاناه الشعب المغربي من استبداد الفرنسيين، وما عاناه الشعب الليبي كذلك من ظلم وقهر الإيطاليين، فهو يقول في قصيدة (فاسية):

"وَادِي الْمَخَازِنِ (*) فِيهِ فَضْلُ بَطُولَةٍ وَ (الْقُرْضَابِيَّةُ) (*) مِنْهُ بَابُ غِلَابٍ"⁽²⁾

يصور الشاعر في الشطر الأول نضال وبطولة فرسان المغاربة في ساحات الوغى وهم يقاومون البرتغاليين في معركة (وادي المخازن) بكل عزيمة وإصرار حتى حققوا النصر المؤزر على أعدائهم.⁽³⁾

ثم ينتقل في الشطر الثاني فيصور استبسال وتضحيات أبطال ليبيا الشرفاء الذين دفعوا أرواحهم فداء للوطن الغالي، في معركة (القرضابية)، وهم يتصدون للغزاة الإيطاليين، ولتلاحم أبناء الوطن في قوة وطنية واحدة -الشرق، والغرب، والجنوب- سجلت أعظم المعارك في تاريخ الجهاد الليبي، وقضت على هيبة إيطاليا.⁽⁴⁾

فيشير الشاعر إلى قوة الأمة العربية في انتصارها على الاستعمار الأوروبي في أعظم معارك سجلها التاريخ، وتغنى بها الشعراء تمجيذاً لها في أطول ملحمة غنائية و تعبيراً عن فرحة النصر وروعته.

1- الحس النضالي في الشعر الليبي المعاصر دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، خليفة أحمد محمد العتيري، جامعة السابع من أبريل، 2003-2004، ص 69.

* وادي المخازن: معركة مشهورة بين المغاربة والبرتغاليين هُزم فيها البرتغاليون..

* القرضابية: هو اسم لبئر، واسم القرضابية تعرف لكافة المصادر الإيطالية باسم معركة قصر أبي هادي بالقرب من سرت.

2- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، ص 248 .

3- انظر: تاريخ العرب الحديث، علي سلطان، منشورات مكتبة طرابلس العلمية والعلمية، د. ط، 1997، ص 571-573.

4- انظر: معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د. ط، 1983، ص 409.

ثم يمضي الشاعر إلى موقف تاريخي آخر للأمة العربية عبر تاريخها الطويل المليء بالمفاجآت السارة والمحبطة من قصيدته (أشواق) يقول فيها:

هَذَا "الشَّمَالُ" كِتَابٌ حِينَ تَقْرَأُهُ تَجِدُ فُضُولاً لَهَا كُنَّا عَنَّاوِينَا
"وَادِي الْمَخَازِنِ" سَطَّرَ فِي صَحَائِفِهِ وَيَوْمُ "جُلْيَانَةِ" سَطَّرَ لِقَارِينَا⁽¹⁾

يشير الشاعر في البيت الأول إلى تاريخ المغرب في الشمال، وما حققه من انتصارات أثناء الفتح العربي لشمال أفريقيا، وصولاً إلى بلاد الأندلس، وفي البيت الثاني يصوّر حالة الأمة العربية وهي تتذبذب بين القوة والضعف في مواجهة الاستعمار الأوربي، فيقارن بين الموقف البطولي الذي تجسده معركة (وادي المخازن) وما سطرته من انتصارات كُتبت بحروف مضيئة في كتب التاريخ وخلدها ومجدها، وشهد لها بقوة، وصلابة، وشجاعة فرسانها الأشاوس، فتُعَدّ من أعظم المعارك في بلاد المغرب الأقصى، بين موقف الضعف الذي تجسده معركة (جليانة)^(*) في ليبيا، عندما تصدى المجاهدون الليبيون للقوات الإيطالية الفاشية، فلم يحالفهم حظ النصر.

ويهدف الشاعر إلى أخذ العبرة والاستفادة من الماضي، ويدعو أبناء الأمة العربية إلى الترابط وتوحيد الصف العربي، والتعاقد في وجه الاستعمار الحاقد.

ويتفاعل الشاعر مع ما حلَّ بأمتة العربية حين اعتراها الضعف والتفرقة، وصارت تنن تحت قبضة الاستعمار البغيض، ويظهر ذلك في قوله في قصيدته (جانحا نسر):

و"مَيْسَلُونَ" لَهَا "جُلْيَانَةُ" بَسَطَتْ يَدًا تُحَطِّمُ فِيهَا الصَّارِمَ الْخَذِمَ
صِنُونُ قَدْ قَاسَمَا الْأَغْبَاءَ بَيْنَهُمَا وَالْآنَ بَيْنَهُمَا الْأَمْجَادُ تَقْسِمُ⁽²⁾

يتحدث الشاعر عن صورة واقعية لحالة الأمة العربية في المشرق والمغرب حين وقعت فريسة بين مخالب الاستعمار البغيض، ورجوع الشاعر إلى الماضي ليذكر أبناء أمتة ووطنه بدسائس الأعداء المستعمرين، فكانت

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، ص167.

* جوليانا: يطلق على الساحل الرملي الذي نزل به الإيطاليون عند احتلالهم لبنغازي، كما عرفت أيضا بالمعركة الأولى. معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة محمد التليسي، ص124.

2- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص13.

معركتي (ميسلون)^(*) و(جليانة) أبلغ صورة في التعبير عن حالة الأمة اليوم، وما تعانيه من انقسام وتجزئة، وحديث الشاعر عن (سوريا) يُعدّ امتداداً لوطنه ليبيا.

فالشعب العربي شعبٌ واحد، من المشرق إلى المغرب يربطهم ماضٍ مشترك، حملوا أعباءه فدفَعوا الغالي والنفيس لتحريره من براثن الاستعمار، واليوم أمجادهم يفتسمها المستعمرون فيما بينهم، والعرب يتفرجون لا يحركون ساكناً.

* ميسلون: موقعة مشهورة بين الجيش السوري بقيادة (يوسف العظمة) وزير الحربية السورية والقوات الفرنسية بقيادة (غورو).

الفصل الثالث

النزعة الوطنية في شعر السوسي

المبحث الأول القضايا الوطنية

التمهيد

امتزج حب الوطن عند حسن السوسي بالحنين، والشوق الذي يخفيه بين جوانح صدره؛ ليبحث عن علاقات ودية بين أبناء الشعوب أكثر ترابطاً، وتمسكاً، وأصالَةً.

هذه النزعة منبثقة عن مشاعر لشاعر أحب قومه، ووطنه؛ فدافع عنهما بسلاح الكلمة الصادقة والخالصة، وهي تدفع بالشاعر إلى التطلع للقيم العليا، والطموح إلى خلق مجتمع يسوده المحبة، والرحمة بين جميع أبنائه، فيعالج بكلماته قضايا، ومشكلات لها صدى في شعره.

وبذلك ظهرت النزعة القومية عند الشاعر نتيجة ما يربطه بهذا الوطن من حب لأهله، ووطنه الذي عاش وعاش فيه، وشوقاً إلى ذكريات الطفولة والصبا التي عاشها، وبطبيعة الحال فإنّ الإنسان يحنّ إلى المكان الذي أبصر فيه النور لأول مرة.

" فالإنسان بطبيعته شديد الاشتياق إلى الشيء الذي آلفه سواء أكان ذلك وطنه أم غير وطنه، لاسيما إذا ربطته بذلك المكان ذكريات إنسانية معينة باعتباره كائناً اجتماعياً تربطه بغيره علاقات اجتماعية مختلفة." (1)

ولعل الشاعر جُبِل على رهافة المشاعر، وفيض العواطف؛ لهذا السبب جعل الشاعر يعبر عن ما يحس به في أعماقه حين يكون بعيداً عن وطنه، وأهله. فالنزعة عند السوسي هي صوت داخلي صدرته نفسه؛ نتيجة ما يدور فيها من هواجس، وخواطر، وأفكار، وعبر الشاعر عن حنينه، وشوقه إلى مسقط رأسه، ومرتع طفولته، وصباه، كما عبّر عن محبته لوطنه وقوميته وأمته في قوالب شعرية توحى بمدى احتراق عواطفه، وتأجج مشاعره.

وهذه النزعة لم تقتصر على السوسي بذاته في الشعر الحديث، بل تميّز بها شعراء العصور السابقة، بداية بالشعر الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي، والأندلسي، وعند شعراء المهجر كذلك، وكثير من شعراء العصر الحديث.

1- الموازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، بو جمعة بو بغيو، ص 218-219.

* الوطنية:

- الدلالة اللغوية:

إذا أردنا معرفة معنى الوطنية وجب علينا أن نرجع إلى الأصل اللغوي لهذا المصطلح، فالوطنية في اللغة: مشتقة من كلمة (وطن) ويعرفه ابن منظور على أنه "الْمَنْزِلُ تَقِيمُ بِهِ ، وهو مَوْطِنُ الْإِنْسَانِ ومحلّه، ...

أَوْطَنْتُ وَطَنًا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَنِي

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَامِلًا هَا لَمْ أَسْكُنْ

بِهَا وَلَمْ أَرْجُنْ بِهَا فِي الرَّجْنِ

وَوَطَنْتُ الْأَرْضَ وَوَطَنْتُهَا تَوَطِينًا وَاسْتَوَطَنْتُهَا أَيِ اتَّخَذْتُهَا وَطَنًا، وَوَطَنَ بِالْمَكَانِ وَأَوْطَنَ، أَيِ اتَّخَذَهَا مَحَلًّا وَمَسْكَنًا يقيم فيه ... كما تعني أيضاً، أَوْطَانُ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ أَيِ مَرَابِضُهَا وَأَمَاكِنُهَا الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا، قَالَ الْأَخْطَلُ:

كُرُّوا إِلَى حَرَّتَيْكُمْ تَعْمُرُونَهُمَا كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ⁽¹⁾

- الدلالة الاصطلاحية:

لم يكن هناك تعريف واضح أو محدد لدى الكتاب والمفكرين لمصطلح الوطنية، فالواقع أن مفهوم مصطلح (الوطنية) يختلف باختلاف العصور لتعدد معانيه، وتنوع دلالاته، ومضامينه.

وعُرف الوطن منذ العصور القديمة على أنه: المنزل، والقبيلة، والعشيرة التي يقيم بها الإنسان، ثم اتسعت حدود هذا المفهوم إلى ما يسمى بالبلاد أو القطر.⁽²⁾ فالوطنية تبدأ بحب المنزل أي ما نسميه الآن بحب الوطن، وحب الوطن لدى الإنسان شيء طبيعي، وغريزة أودعها الله في نفس البشرية فإنّ هذا الإنسان يتعلق بالمكان الذي اعتاد عليه وآلفه وترعرع فيه، وكانت لديه مع هذا المكان ذكريات جميلة، فطبيعة الحال يحنّ إلى المكان الذي ترعرع فيه.

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة وطن، ج15، ص239.

2- انظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918 إلى 1968، محمد عبد الله عطوات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص256.

ويمكننا القول: إنّ حب الوطن مزروع بقلب كل إنسان وطني يحب وطنه، ويعشقه، فيقدّم لهذا الوطن كل غالٍ ونفيس، ويعمل على تأدية ما عليه من حقوق، وواجبات تجاه وطنه، والدفاع عن حرمة، وحرية، ومقدساته.

ويقول الدكتور محمد الصادق عفيفي عن الوطنية بمعناها العام أنّها: "حب هذا الوطن، والشعور نحوه بارتباط روحي، وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة، وتجعله يحبها، ويفتخر بها، ويعمل من أجلها، ويضحي في سبيلها."⁽¹⁾ وترى الباحثة أنّ الوطنية هي شعور عاطفي داخلي صادق نحو الوطن الذي ينتمي إليه.

1- حب الوطن

"الوطن كلمة بسيطة سهلة المخارج الحرفية، لكنها تحمل مدلولاً عميقاً، وقيماً لا تقدر."⁽²⁾ فحب الوطن حب فطري، يولد مع الإنسان؛ لذا نراه يحنّ إلى مسقط رأسه، وحب الوطن قديم قدم وجود الإنسان على هذه البسيطة، ففي العصر الجاهلي كان الشعراء يققون على الأطلال، ويكون على الديار، ثم استمر عبر العصور -الإسلامي، والأموي، والعباسي، والمملوكي، والأندلسي- إلى عصرنا الحديث، والمعاصر، وسيظل في كل عصر يتغنى شعراؤه بالوطن الذي لا يقدر بثمن.

إنّ الإنسان بطبيعته محب لوطنه، ذلك المكان الذي ولد ونشأ فيه، وتكونت فيه أجمل ذكرياته، وقضى فيه أجمل أيامه، ذلك المكان الذي أنعم بخيراته الوفيرة، فحبه يجري في عروقنا مجرى الدم في الشرايين؛ فهو جزء لا يتجزأ منا، نضحي في سبيله ببذل النفس والنفيس، فالوطن للإنسان مهد طفولته، ومريع صباه، وموطن ذكرياته، ومثوى قبره. "فالوطن أو الأرض التي مشي عليها الآباء والأجداد، ونبتت في تربتها بذرة وجودهم الأولى، وتوارثها الأحفاد من بعدهم هذا مما جعله يمثل قيمة قصوى عميقة في صميم الوجدان والانتماء، والولاء للوطن والأرض يكون بذلك بعداً طبيعياً لدى الكثيرين من الناس، والحرارة التي تجيش في صدور هؤلاء تكون أرضاً

1- الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، محمد الصادق عفيفي، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، القاهرة، بغداد، الطبعة الأولى، 1969، ص9.

2- الوطن والإنسان والثورة، خديجة محمد الأخطل، ص249.

مشتركة يتشارك فيها الشعراء.⁽¹⁾ "وكان وما زال وسيظل الوطن أغنية"⁽²⁾ يمجدها الشعراء، وينضمون فيها قوافيهم الشجية، وألحانهم العذبة؛ لتطرب القلوب، وتتسيهم كآبة الماضي الأليم.

وفي ذلك يتغنى شاعرنا بحب وطنه (ليبيا) معبراً عنه بكلمة (عشتك)، ولطالما تغنى الشعراء بأوطانهم، ولطالما تحدث أهل اللغة والفصاحة عن عشقهم لأوطانهم، وذلك منذ البدايات فليس غريباً على شاعرنا الذي عانى من ألم الغربة وفراق وطنه أن يجعل لوطنه عنواناً لقصائده، وعبارات ينظم بها أبياته، وكذا أن يفسح له موطناً في قلبه ونفسه، فالوطن عنده أرحب من كونه أرض وفي ذلك تغنى بحبه له فيقول ضمن قصيدة (صورة):

عَشِقْتُكَ يَا مَوْطِنِي الطَّيِّبَا	وَصِيرْتُ حُبَّكَ لِي مَذْهَبَا
هَوَاكَ هَوَايَ الَّذِي شَقَّنِي	وَأِنْ شَرَّقَ الْقَلْبُ أَوْ غَرَّبَا
فَأَنْتَ الْأَمَانِيُّ وَالذِّكْرِيَا	وَأَنْتَ الطُّفُولَةُ .. أَنْتَ الصَّبَا
أَغَارُ إِذَا غَابَتْكَ الْجَنُوبُ	وَأَشْفِقُ إِنْ مَارَحَتْكَ الصَّبَا
تَفَيَّاتُ فِيكَ ظِلَالُ النُّجُومِ	وَقَبَّلْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَوْكَبَا
وَأَوْحَيْتَ لِي أَنْتَ حُلُوَ النَّسِيمِ	وَأَلْهَمْتَنِي النَّغْمَ الْمُطْرَبَا
وَهَيَّاتْ لِي فِي الدُّرَى مَرْبَا	وَمَهَّدْتَ لِي فِي الصَّبَا - مُلْعَبَا ⁽³⁾

ذكر العشق في مطلع قصيدته ولا شك أن شاعرنا بذكر هذه الكلمة وما لها من دلالة في درجات الحب والهيام وبذلك يريد أن يعبر عن حبه للوطن بتلك الدرجة التي تحملها هذه اللفظة وهي (العشق) حتى صار حبه مقدساً في قلبه، وروحه مشغولة بحبه، فالوطن منتهى الأمل، ورمز الأمانى والذكريات والطفولة والصبا التي عاشها على أرضه، ولشدة حبه له فهو يغار عليه من هبوب الرياح، ويخاف عليه من نسيم الهواء، وتجول في ربوعه

1- موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية، بوجمعة بو بعيو، ص 219.

2- أغنيات للوطن، عبد الله زاقوب، منشورات مجلس الثقافة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2006، ص 7.

3- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص 122.

فلم يجد وطناً يضاهيه، ويزهى بأصل نسبه العريق الذي حلى في عينيه وقلبه، وفي وطنه وجد المأوى الذي في ظله استظل، وعلى أرضه مرح وسرح، مما زاده حلاوة ظهور فرحته في عينيه وقلبه فاستوفاه بالنغم الشجي الطروب، ولا أظن أنّ الشاعر - بعد هذا الهيام - في حاجة إلى أن يبرهن على عشقه، وحبّه الذي ظل متوهج في خلجات قلبه، وبين جوانح صدره.

وفي موطن آخر يصوّر الشاعر روعة التعبير، وصدق المشاعر التي ربطت بينه وبين وطنه (ليبيا) حين أنشد مخاطباً إياه في قصيدة (موطن الأمجاد) فيقول:

يَا مُوْطِنِي يَا مُوْطِنَ الْأَمْجَادِ	إِنْ غَبَّتْ عَنْ عَيْنِي احْتَوَاكَ فُؤَادِي
وَمَوَدَّتِي لَكَ فَوْقَ كُلِّ وَدَادِ	حَنِينُكَ حُبّاً لَا يُقَاسُ بِغَيْرِهِ
مِنْ كُلِّ ذِي كِبْدٍ وَكُلِّ جَمَادِ	إِنِّي أَقْدِسُهُ، وَأُكَبِّرُ مَنْ بِهِ
حُبِّي، فَلَاذْكُرِي وَلِلْمِيْلَادِ	إِنْ لَمْ يَكُنْ لَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ
وَلَهُ إِذَا آتَلَقَ الصُّحَىٰ إِنْشَادِي	وَبِهِ إِذَا احْتَلَاكَ الظَّلَامُ تَفْكَرِي
شَوْقِي وَمِنْ أَمْجَادِهِ أَمْجَادِي ⁽¹⁾	وَأَلِيهِ - إِنْ حَنَ الْغَرِيبُ لِأَرْضِهِ

يعبر الشاعر عن مدى عشقه الصادق لوطنه الطاهر، وخلود حبه في قلبه، وإن غابت عينه عنه، ورفض الشاعر أن يتعلق قلبه بغير وطنه الغالي، فهو مكان إقامته ومرباً أمجاد أمته.

وأظهر تفوق حبه لوطنه العزيز على باقي الأوطان، ولم يجعل لحبه نداً لمكانته في قلبه، فمجده وعظمه بما حققه أبناؤه من شرف وعزة، ورفع من قدره وقدر كل ما وجد على بسيطته من مخلوقات، وجماد. فالشاعر يشترك إلى وطنه كأبي غريب يحن لأرضه، فيستمد عظمته من عظمة وطنه الحبيب.

ويصوّر السوسي حنينه وعشقه للوطن في أجمل صورة حينما أبرز معنى عشق بلاده إلى درجة الهيام من خلال ما نسجه في قصيدته (ليالي بلادي) قائلاً:

1- ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، ص 11.

رَعَمُوا أَنَّنِي نَسِيتُ هَوَاهَا	وَادَّعُوا أَنَّنِي هَوَيْتُ سِوَاهَا
كَذَبَ الْمُرْجِفُونَ فِيمَا ادَّعَاوُهُ	وَرَوُّوا بَاطِلًا، وَقَالُوا سَفَاهَا
هِيَ نَفْسِي فَكَيْفَ أَنْكِرُ نَفْسِي	وَهِيَ رُوحِي أَحْلَامُهَا وَمَنَاهَا
قَدْ تَرَشَّقْتُ حُسْنَهَا بِضَمِيرِي	تَعَشَّقْتُ مَجْدَهَا وَعَلاَهَا
فَهِيَ - فِي الصَّحْوِ - مَلءُ عَيْنِي وَقَلْبِي	وَإِذَا نِمْتُ دَاعَبَتْنِي رُؤَاهَا
مَذْهَبِي أَنَّنِي أَحْبَبْتُ بِقَلْبِي	حِينَمَا يُعْمَلُ الْأَنَامُ الشَّفَاهَا
لَيْسَ عِشْقًا أَنِّي أَصِيحُ وَأَهْذِي	مُغْلِنًا أَنَّنِي صَرِيحُ هَوَاهَا
أُصَدِّقُ الْعَاشِقِينَ مَنْ لَمْ يَنْوِهِ	مَرَّةً - بِاسْمِ غَادَةٍ يَهْوَاهَا ⁽¹⁾

هنا في هذه الأبيات يكذب الشاعر حديث الوشاة الذين ظنوا أنه ترك حب بلاده وأحب غيرها، فعبر عن صدق محبته، وعشقه لبلاده عندما فقال: (هي نفسي) أي جعل حبها من حب روحه إليه، وهي الحياة التي فيها أحلامه، وكل ما يتمناه فعشق عزها، وشموخها، وبهذه الكلمات المعبرة والتي حملت بين طياتها معاني صادقة نحو بلاده، لم يدفعه إليها ترف، ولا زيف، ولا تملق، ولا سمعة بل حب بلاده (ليبيا) في قلبه متأصل الجذور. ويظل الحنين والعشق إلى الوطن أحاسيساً، ومشاعر تداعب كل وطني حر يغار على وطنه، ويرفض حب غيره، فيهتف الشاعر للوطن بكلمات تحمل أفضال وطنه عليه في أجمل صورة حيث قال في قصيدة بعنوان (معنى الوطن):

وَلِأَنَّهُ قَدْ كَانَ يُطْعِمُنِي	وَلِأَنَّهُ قَدْ كَانَ يَكْسُونُنِي
وَلِأَنَّهُ قَدْ كَانَ يَجْمَعُنِي	وَلِأَنَّهُ قَدْ كَانَ يُؤْوِينِي
وَلِأَنَّنِي لِشَرَاهِ مُنْتَسِبٌ	وَبِأَرْضِهِ بَسَقْتُ أَفَانِي
وَلِأَنَّ لِي فِي أَهْلِهِ نَسَبًا	وَعَشِيرَةً - إِنَّ خِفْتُ تَحْمِينِي ⁽¹⁾

1- مجلة الفصول الأربعة، قصيدة (ليلاي بلادي)، حسن السوسي، العدد8، السنة الثانية، ص140-141.

حيث يتغنى الشاعر حسن السوسي بأفضال وطنه الذي أطعمه من خيريه فلم يشعر بطعنة الجوع، وكساه من العراء فلم يشعر بقسوة برد الشتاء وجمعه بأحابيه وأصدقائه وجيرانه فلم يحس بالغبية، واحتضنه في كنفه فلم يحس بالخوف، وترابه مثوى جسده بعد موته، وبأرضه امتدت جذوره ففيه قرابته وأهله وقبيلته التي تدافع عنه وتحميه إذا شعر بالضعف.

وهنا يبرز الشاعر ما عليه تجاه وطنه الغالي من واجبات تدفعه لعشق وطنه وخدمته، فهو الذي احتضنه، وعاش في كنفه كريماً معزراً معبراً عنه بقوله في قصيدة (معنى الوطن):

وَجَبَ الْوَلَاءُ لَهُ عَلَيَّ بِمَا	قَدْ كَانَ يُؤْثِرُنِي وَيُولِينِي
لَيْسَ الْوَلَاءُ لِأَنَّهُ وَطَنٌ	قَدْ كَانَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي
لَا بَلْ لَأَنَّ وَلَاءَهُ خُلُقٌ	فِي فِطْرَتِي وَهَوَاهُ كَالَّذِينَ
وَلَأَنَّهُ مِثْلُ الْعَقِيدَةِ فِي	خَلْدِي تَمُورُ بِهِ شَرَابِينِي
وَلَأَنَّهُ شَيْءٌ أَقْدَسُهُ	لَا لُقْمَةً - إِنْ جُعْتُ - تَكْفِينِي ⁽²⁾

تمضي الأبيات لتبين سبب التزام الشاعر بحب وطنه، ووجوده والولاء له، لا لكونه أطعمه وسقاه ولكن حبه طبع في أخلاقه متأصل، ويعشقه كعشق دينه الذي هو عليه، فحب الوطن من الإيمان، ويرى هذا الحب عهداً عقد عليه قلبه فصار يسري في شرايينه، سريان الدم في العروق، وحبه مقدس وطاهر ينزهه، ولا يبيع وطنه، ولا يرخص عليه في سبيل سد جوعه بل يضحي بما لديه لنصرته.

ويصور السوسي في موطن آخر عشقه لوطنه فيبرز مكانته وأهميته أمام الآخرين، فالوطن مرتبط جذوره، وتاريخه، وماضيه متغنياً به فيقول في قصيدته (معنى الوطن):

وَأَرَاهُ مَعْنَى حِينَ يُبْصِرُهُ	غَيْرِي مَلَكَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
وَلَأَنَّهُ ذَاتِي - فَلَسْتُ أَرَى	مَعْنَى لِدَاتِي - حِينَ يَجْفُونِي

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص5-6.

2- المصدر السابق نفسه، ص5-6.

سَيَظَلُّ شَيْئاً لَا أَقْتُمُهُ	إِلَّا بِمَا حَمَلَتْ شَرَايِينِي
وَأَرَى مَسَاوِيَهُ - إِذَا وُجِدَتْ	حُلماً وَمَا الْأَحْلَامُ تَغِينِي
وَأَرَى مَحَاسِنَهُ - وَإِنْ خَفِيَثْ	وَتَصُوغُهَا نَغْماً دَوَاوِينِي
هُوَ فِي فَمِي لَحْنٌ وَفِي خَلْدِي	مَعْنَى بِهِ كُلُّ الْمَضَامِينِ ⁽¹⁾

يرى الشاعر وطنه شيئاً عظيماً تختلف عن رؤية غيره من الناس، حين جعل نفسه معلقة بالوطن الذي بدونه لا يستطيع العيش، فلا يرى لنفسه معنى إذا قطع صلته به، وسيظل عشقه لوطنه لا يقدر بثمن، بل ينمو حبه في قلبه، هذا الحب تقدره الشرايين التي حملته، ويرى أنّ مساوي الوطن غطّت عليه محاسنه، وجعلها أغنيات ترتّم بها في دواوينه، فالوطن صار أغنية يرددها الشاعر على لسانه وذكرى عالقة في قلبه حتى جعلته يفصح معبراً عن حب الوطن.

2- قضية الحرية:

الحرية عتق من العبودية بكافة أشكالها، وهي مطلب أساسي لكل الشعوب في العالم، ولتحقيق هذه الحرية لابد من بذل النفس والنفيس، ولنيل الحرية لابد من مواجهة الأعداء والتصدي لهم، وتحطيم كافة القيود التي تهدد حرية الإنسان فوق الأرض وتحت السماء، والسعي لنيل الحرية ضرورة يحتمها علينا واقع الحياة لنحيا حياة كريمة، وعزيزة فوق تراب أرضنا، وتحت سماء وطننا الغالي، فأجدادنا دفعوا أرواحهم فداءً لهذا الوطن الذي روه بدمائهم الزكية.

فبالحرية تسمو الشعوب وتبني مجدها وعزها، فلا يستطيع الإنسان الوصول إلى الحرية إلا ببذل مطالبها، والإنسان أينما وُجد يطلب الحرية، ويناضل من أجلها في سبيل العيش الكريم "ولذلك فمطلب الحرية وإنهاء

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 6-7.

عذابات المواطن وتغيير واقعه البائس أمر ضروري لأي إنسان يشعر بمأساة وطنه الخاصة،⁽¹⁾ ويكون الجهاد في سبيله من أعظم الأعمال التي يقدمها الإنسان؛ لتحقيق النصر والخلاص من العدو، وآثاره على أرضه.

ويشير الشاعر إلى تحطيم قيود العبودية -التي تقف في طريق حرية الإنسان ليعيش في هذه الحياة حراً لا قيود تكبله لأنه ولد حراً- وإحلال مكانها السلام، والعدل، والمساواة، والحرية ويبقى الأمل مسيطراً على ذهن الشاعر وعقله، فتظهر صورة ذلك الأمل جلية وواضحة في أشعاره ويبقى رابطاً ذلك الأمل بالوطن الباعث للنصر والحرية في قصيدة (أعياد) التي يقول فيها:

فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَحْجُوبٍ وَمُرْتَهَنٍ	وَلَيْسَ ثَمَّةَ أَسْوَارٍ وَأَجْنَادٍ
فَلَيْسَ فِي عَالَمِ الْأَحْرَارِ سَلْسَلَةٌ	وَلَيْسَ فِي عَالَمِ الْأَحْرَارِ أَصْفَادُ
وَلَيْسَ كَالْحِلْمِ وَالْإِحْسَانِ مُعْتَقَلٌ	وَلَيْسَ مِثْلَ الضَّمِيرِ الْحَرِّ جَلَادٌ
كَمْ كَلِمَةٍ زَرَعَتْ فِي الْقَلْبِ مُوجِدَةً	وَلَطْمَةً جَنَيْهَا كُفْرٌ وَالْحَادُ؟ ⁽²⁾

استخدم الشاعر في هذه الأبيات الكثير من الألفاظ التي ترمز إلى عبودية الإنسان في السجون نحو (محبوب مرتهن، أسوار، أجناد، سلسلة، أصفاد، معتقل، جلاد) وأراد أن يحرر الإنسان منها بكلمة النفي (ليس) التي هدمت قضبان الحديد التي كانت تكبلهم فأصبحوا أحراراً يستنشقون عبير الحرية بشداها العذب الفواح، فالإنسان بطبعه عاشق للحرية؛ لأن الله خلقه حراً. ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير العقل ويجسده في الاحتكام والتصرف بلين ورحمة في الأمور حتى يرضي ضميره الحي فهو الرادع لها، فكم من كلمة أوقدت في قلوب الناس الفتنة، والحقد، والبغضاء ونالوا منها صفة ظلاماً، وبهتاناً، وأدخلتهم في غياهب الظلمات. لذلك ينشد الشاعر ويستبشر بالحرية، فهي سر الوجود، والسعادة، فيقول:

اسْتَبْشَرَ النَّاسُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَأَنْتَعَشُوا	فَكُلُّ دَارٍ بِهَا بَغْتُ وَمِـلَادُ
سُرُورُهُ فِي عُيُونِ الْقَوْمِ مُرْتَسِمٌ	وَنُورُهُ فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ وَقَادُ ⁽¹⁾

1- الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، ص214.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص22.

يوضح الشاعر كيف استقبل الناس خبر الحرية بفرح وسرور وجعلهم في انتعاش بعد يأس كان جاثماً عليهم فأصبحوا أحراراً يمتلكون الحرية التي هي المطلب الحقيقي لسعادة الإنسانية، وخلصها من العبودية، فجاءت ألفاظه سهلة واضحة المعاني لا يعترئها الغموض معبراً بكلمات بسيطة نحو (استبشر، انتعشوا، بعث، ميلاد، سروره، نوره، وقاد) ولكن تحمل بين طياتها معاني كبيرة في نفس الإنسان الذي لطالما انتظر هذه البشري السارة، ويصوّر الشاعر فرحة الناس بالحرية التي عمّ خيرها في كل بيت من كل قرية، ومدينة، ورسم البهجة في عيون الناس واشتعلت قلوبهم فرحاً بنور الحرية.

وأشار الشاعر بكلمة (هنا) إلى المكان، وهو وطنه الحبيب (ليبيا) التي حررها أبناءها الأبطال، ودفع الليبيون ثمن هذه الحرية بأنّ رخصت نفوسهم من أجل حرية وطنهم الغالي، وكرامته، ورووا بدمائهم الزكية تراب وطنهم الطاهر وذلك قوله في قصيدته (عروبة):

هَـنَا التَّقِيْمُ عَلَى أَرْضٍ مُخَرَّرَةٍ أَنْتُمْ وَأَبْنَاؤُهَا الْأَحْرَارُ أَخْرَارُ⁽²⁾

حيث يخاطب الشاعر أبناء عروبتهم، وأبناء وطنه، وهم مجتمعون على أرض الحرية (ليبيا) تلك الأرض التي قدمت قوافل من الشهداء؛ لأجل نيل الحرية، والكرامة، والعزة، حتى أصبحت محررة من براثن الاستعمار الإيطالي، وها هي اليوم حرة أبيّة مجتمع أبناءها وأبناء عروبتهم على أرضها المحررة ينعمون بالحرية.

ويهتف الشاعر لخلص الإنسان من ظلم العبودية التي فرضها عليه الاستعمار محرضاً على رفع لواء المقاومة من أجل الاستقلال، والحرية فيقول ضمن قصيدة (موطن الأمجاد):

لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يُنْزَلُ فَجْرُهُ فَيَزِيحُ لَيْلَ النَّكْسَةِ الْمُتَمَادِي
نُلْقِي بِهِ كَيْدُ الْيَهُودِ بِجَا حِمٍ مِنْ نَارِنَا فَحِيلَهُ لِرَّمَادِ
وَيَعُودُ الْعَرَبِي - فِي أَوْطَانِهِ - مَجْدُ الْكَرِيمِ وَعَزَّةُ الْأَنْجَادِ⁽³⁾

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص22.

2- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص24.

3- ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، ص14-15.

ففي هذه الأبيات يرى الشاعر أنَّ للحرية ثمناً، وللظلم نهاية مهما طال ظلام ليله سينجلي ظلام هذا الليل السرمدي، ولابد أن يظهر نور الصباح العليل الذي يرمز إلى حرية الإنسان، والتحرر من استعباد، واستبداد العدو له، كما يصوّر الشاعر تصدي أبناء الأوطان للأعداء من أجل نيل الحرية، والحياة الكريمة على أرضهم، ويظهر شدة القتال، وقوة الحرب، وصرامتها ضد عدوهم اللدود، وحطموا بعزائمهم التي لم تُخز كيد خصمهم؛ ليعود كل عربي إلى وطنه، ليعيدوا لأوطانهم مجدها، ورفعته، وقوتها، وغلبتها بعد ضعفها.

3- التحريض على الثورة:

الإنسان في كل مكان مطلبه الحرية، والعزة، والكرامة، فلا يرضى بحياة الذل والخنوع الذي فرضه الاستعمار عليه، حين جعله مسلوب الحرية، والإرادة، حتى صار أبناء هذا الوطن يئنون تحت قيود العبودية، والذل، والمهانة. وللتغيير من هذا الواقع المتعفن الذي فرضه الاستعمار الغاشم تجاه وطنه يجدر على أبناء الوطن النهوض للتصدي للوقوف في وجه كل من يريد أن يدنس أرض الوطن الغالي.

ولم يكتفِ الشاعر بحب وطنه وعشقه له، ولكنه أراد أن يعمل من أجل هذا الوطن بأن يستنهض همم أبنائه؛ لكي يغيروا من واقعهم الأليم الذي عاشوه زمن الاحتلال، وأن ينتفضوا ضد الاضطهاد والفساد الذي جاء به الاستعمار، "الكلمة هي التي تذكي موجات الغضب، وتصنع براكين التحدي، وتؤجج حماسة المناضلين من أجل الاستمرار في النضال حتى الخلاص من قبضة المستعمر الغاشم."⁽¹⁾

ولعل أهم ما يدفع الشاعر إلى التحريض على الثورة ضد الأعداء هو حال البلاد، وما كانت تعانيه من أوضاع قاسية في السابق من جراء ظلم عدوهم البغيض، وما كان تحريض الشاعر لأبناء وطنه إلا لصالح البلاد للدفاع عنها، واسترجاع حقوقها المهدورة، وكرامتها المنتهكة من قبل العدو المستعمر، وليحقق لوطنه واقعاً أفضل.

كما يُظهر الشاعر تحريضه، وتنبيهه لأبناء وطنه بكل صراحة ليكونوا على أهبة الاستعداد للمقاومة والتصدي للطغاة الذين يتآمرون لاحتلالنا بقوله في قصيدته (قبل المؤتمر):

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، الجزء الأول، ص216.

وَيَسْعَى إِلَى إِرْضَائِهَا الْمُتَمَلِّقُ

يَبِيْتُ لَهَا الْأَعْدَاءُ كَالْأَمْسِ سُهْدًا

وَيَلْمَعُ نَجْمٌ غَارَ وَاللَّيْلُ مُطْبِقٌ⁽¹⁾

فَيَرْجِعُ مَجْدٌ كَانَ وَالْدَّهْرُ مُقْبِلٌ

يحذر الشاعر أبناء ليبيا الشرفاء من مؤامرة هؤلاء الأعداء، وتطلعهم نحو بلادنا؛ لاستهدافها واستهداف الوحدة العربية، لإعطائها كل من يتودد ويتلطف لأعدائه من الخونة والعملاء الذين يتملقون لأعدائهم طمعاً وذلة، كما يحرض الشاعر أبناء شعبه على الثورة في وجه المستعمر الغاشم حتى يعود مجدها وعظمتها التي سلبت منها في الماضي، واليوم بتحدياتهم، جعلوا بريق الحق يلعب في ظلام الليل.

ويوصي الشاعر ويحرض أبناء وطنه، وأبناء الأقطار العربية على الدفاع عن وطنهم الغالي، وأمتهم، ويذكرهم بأن حق وواجب الدفاع ليس عن الوطن فقط بل عن الأمة العربية فنراه يؤكد وصيته بالأمة العربية، حينما يقول في قصيدة تحت عنوان (قبل المؤتمر):

وَعَهْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ أَبْقَى وَأَوْثَقُ

لَأَمَّتِكُمْ حَقٌّ عَلَيْكُمْ وَوَاجِبٌ

فَإِنَّ سِنَانَ الْحَرْفِ يَرْفُو وَيَخْرُقُ

تَوَاصَوْا بِهَا خَيْرًا وَكَوْنُوا أَسَاتِهَا

تُنَاطُ بِهِ آمَالُهَا وَتُعَلَّقُ

لَكُمْ كُلُّ عَامٍ مِهْرَجَانٌ وَمُلْتَقَى

فَإِنَّكُمْ أَبْرَ النَّاسِ عَهْدًا وَأَصْدَقُ⁽²⁾

فَلَا تَخْذُلُوهَا فِي رَجَاءٍ تُنِيْطُهُ

يخاطب الشاعر أبناء ليبيا، وأبناء عروبه في حق الدفاع عن الأمة العربية والوفاء لها، فالتاريخ هو خير سجل لأعمالهم البطولية المجيدة، كما يرفض وجود الطغاة على أرض أمتهم، ويهتف بالثورة العربية الشاملة؛ لتطهرها من دنس العبودية، ويوصيهم بأن يكونوا سنداً لها، وكذا يحذرهم من التقصير في حقها عند النداء، فأبناء الأمة هم أصدق الناس وفاءً، وعهداً في الدفاع.

وبهذا تظهر الملامح الوطنية عند شاعرنا فتحريضه لم يقتصر على أبناء وطنه (ليبيا) بل تعدى حدود وطنه الأصغر (ليبيا)، ليشمل وطنه الأكبر (الأمة العربية)؛ لأن معاناتهم واحدة وأهدافهم كذلك.

1- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص 10-11.

2- المصدر السابق نفسه، ص 13.

ونظم السوسي كلماته المحرّضة ضدّ عدو الوطن والدّين، وخاطبها نسيج قصيدته؛ ليحرك مشاعر وهمم أبناء وطنه الأحرار، فيجمع في أسلوبه الجمل الإنشائية والخبرية حينما يتساءل متعجباً في وطنه وكيفية العيش في وطنٍ سُلّبت خيراته، وانتُهكت حرّماته، وصار أبنائُه تحت رحمة الطغاة المستبدين في قصيدته (أعياد) التي يقول فيها:

كَيْفَ الْحَيَاةُ عَلَى أَرْضٍ مُرَوَّعَةٍ بَغْيًا وَفِي النَّاسِ أَرْيَابٌ وَعَبَّادُ
وَلِلصَّوَارِيخِ فِي الْأَجْوَاءِ وَلَوْلَا وَلِلْأَسَاطِيلِ إِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ
مَنْ يَرْدَعِ النَّاسَ مَنْ يُلْجِمُ تَجْبُرَهُمْ فَهُمْ - عَلَى الْأَرْضِ - إِرْعَاجٌ وَإِفْسَادُ⁽¹⁾

ما كانت أسئلة الشاعر إلّا تحريضاً للنهوض بالهمم؛ لمواجهة الطغاة وتحقيق النصر المبين رافضاً حياة الذلة، والمهانة، داعياً إلى الثورة من أجل حياة العزة والكرامة، متسائلاً عمّن يكف كيد هؤلاء الطغاة، ومن يقف أمام تكبر وعنفوان الاستعمار واستبداده الذي ملأ الأرض رعباً وفساداً.

ومن أجل تغيير الواقع الأليم يحرض السوسي أبناء وطنه لمقاومة الاحتلال، ويدعوهم إلى الثورة في سبيل تحرير الإنسان الليبي من الاستبداد، والاستعباد الذي فرضه الاستعمار الغاشم على الليبيين في وطنهم. حيث يقول في قصيدة (النجم الساطع):

لِهَذِهِ الْأَرْضِ حَقٌّ فِي ضَمَائِرِنَا وَحُرْمَةٌ دُونَهَا الْأَرْوَاحُ تُبْتَذَلُ⁽²⁾

في هذا البيت يتحدث الشاعر عن منطقة العقيلة في ليبيا ذلك المكان الذي شهدت أرضه أيام الاحتلال الإيطالي لليبيا أكبر معتقل لليبيين الذين رووا بدمائهم الطاهرة أرض هذا المكان، ويشير إلى حق وواجب الدفاع عنها، وفي سبيل تحريرها ترخص الأرواح.

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 27- 28.

2- المصدر السابق نفسه، ص 37.

وهنا استدعى الشاعر ماضي العقيلة المرير، وما واجهه أهل البادية سكان النجوع من قبائل الشرق في ليبيا من ظلم وقمع من قبل الاستعمار الإيطالي، وهم يزجون بهم في معتقل العقيلة رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، وشيوخاً، وبسبب ما لاقوه من تعذيب وجوع وعطش ومرض وألم وقهر وظلم استشهد الكثير منهم.

كما يبين الشاعر في قصيدة أخرى أثر التحريض الذي ظهر واضحاً في نهوض همة المرأة بدافع الشعور الوطني، ووقوفها إلى جانب أخيها الرجل، ببذل ما تملكه من حلي يزين جيدها، فقد أظهرت زهداً من أجل تحرير الوطن، لتنهأ بحياة العزة، والكرامة، والشرف فوق تراب وطنها الغالي، لنقطف أبيات من قصيدة (موطن الأمجاد) فيقول فيها :

خَلَعْتُ عَقَائِلِي الْخُلِيَّ مُشْعَةً	وَبَرَزْنَ - حَيْنَ بَرَزْنَ - كَالزُّهَادِ
آثَرْنَ أَنْ يَزْدَنَّ بِالْأَمْجَادِ	عَنْ زَيْنَةِ الْأَذَانِ وَالْأَجْيَادِ
وَتَدْفَقُ الْمُتَبَرِّغُونَ بِمَا لَهُمْ	وَدِمَائِهِمْ، لِلْبَرِّ لِلْإِسْعَادِ
مَنْ فَاتَهُ إِلَّا تُرَاقُ دِمَاؤُهُ	وَتَذُوبُ مُهْجَتُهُ لِمَصَدِّ الْعَادِي
مَا فَاتَهُ بَذَلُ الْكَرِيمِ وَجُودُهُ	وَسَخَاؤُهُ بِالْمَالِ وَالْأَمْوَادِ
فَتَبَارَكْتَ هِمَمُ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهَا	جَاءَتْ بِشَرِيَّةٍ مَائِيهَا وَالزُّرَادِ ⁽¹⁾

صور الشاعر اندفاع أبناء الوطن رجالاً ونساءً نحو الدفاع عن الوطن متبرعين بأموالهم، وأنفسهم في سبيل كرامة وعزة هذا الوطن المجيد. وبارك همم أبناء وطنه، وعروبه في توحيد جهودهم، وتضامنهم صفاً واحداً دافعاً منه؛ لتقديم التضحيات، وتحريضهم على دفع الظلم عن أوطانهم.

4- الصمود:

واجه أبناء الشعب الليبي عدوه على الرغم من الظروف الصعبة التي مرّ بها الوطن، وعقدوا العزم على المواجهة حتى يحقق النصر المؤزر على الاحتلال الإيطالي الذي فرض سيطرته على ليبيا، فوقف الشعب الليبي صامداً أمام قوى الاحتلال؛ من أجل تحقيق الحرية، والحياة الكريمة لأبنائه على أرضها.

1- ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، ص14.

ولم يكن صمود أبناء الوطن الشرفاء في وجه الطغاة لنيل المناصب والكراسي، ولكن كان هدف صمودهم أبعد من ذلك ألا وهو تحقيق النصر، والحرية، والكرامة، والعزة للوطن وأهله، فبذلوا أرواحهم فداء له، انطلاقاً من أن الدفاع عن الوطن مسؤولية أبنائه الأحرار، فقد تحدّوا، وناضلوا، وقدموا التضحيات رغم ما واجههم من ذل واضطهاد وهموم فاختراروا الصمود في وجه الطغاة؛ تحقيقاً للحياة الكريمة.

وفي صورة شعرية صادقة يُظهر الشاعر صمود الأبطال ودورهم النضالي في الدفاع عن أوطانهم من قصيدة (أعياد) يقول:

عَلَى دُرُوبِ الْعُلَا سَأَلَتْ نُفُوسُهُمْ وَعَزَمُهُمْ فِي مَجَالِ الْمَوْتِ وَقَادُ⁽¹⁾

بنظرة يملؤها الفخر في نفس الشاعر وهو يرى الأبطال عقدوا عهداً على أنفسهم، وأقسموا على الموت؛ للصمود في وجه الطغاة في سبيل حياة العزة والكرامة.

كما يصوّر الشاعر حالة الشعب الليبي فترة الاستعمار الإيطالي، وما عاناه من ضيم وذل وهوان تحت أقدام (ماليتي وكاني) فيقول ضمن قصيدة (هوامش على دفتر العشق):

طَابَتْ جِرَاحَاتُ الزَّمَانِ وَعُوجِلَجَتْ آثَارُ "مَالِيَّتِي" وَحَمَقَةُ "كَانِي"⁽²⁾

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن انتهاء العصر الماضي الأليم الذي عاناه الشعب الليبي، وهو يريزح تحت نير الاستعمار الإيطالي، ولكنه صمد صمود جباله حتى مَنَّ الله عليه بالنصر المبين من عنده، وقضى على ما خلفه كل من (ماليتي، وكاني) وهم "من كبار الضباط أيام الاستعمار الإيطالي."⁽³⁾

ويشير السوسي إلى وجود الاستعمار الإيطالي حين بسط نفوذه على أرض ليبيا بكلمة (كانوا هنا) بقوله في قصيدة تحمل عنوان (النجم الساطع):

كَانُوا هُنَا ثُمَّ سَارُوا صَاغِرِينَ يَدَا وَمُهْجَةً وَعَنْ الْأُوطَانِ قَدْ رَحَلُوا⁽¹⁾

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص26.

2- المصدر السابق نفسه، ص34.

3- المصدر السابق نفسه، ص34.

يشير الشاعر إلى هزيمة إيطاليا ورحيلها عن أرض الوطن فاختر من المفردات ما يؤكد ذلك (كانوا هنا، رحلوا) ويصوّر الشاعر صمود الشعب الليبي في وجه الاستعمار الإيطالي، وعدم خضوعه للاستعمار. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عاناها فإنّه صمد حتى رحل عدوه ذليلاً، وهو يجر وراءه أذيال الخيبة، والهزيمة، راحلاً عن هذا الوطن من غير عودة.

وفي موضع آخر يتغنى الشاعر بذكرى الغارة الأمريكية البشعة على مدينتي بنغازي وطرابلس حين أطلقت صواريخها على الشعب الليبي وهم نيام آمنين في ديارهم فقال ذلك في قصيدة بعنوان (نبيلة):

إِنَّهُمْ رَاحُوا بِعَارِ الدَّهْرِ رَبْحاً وَحَصِيلَهُ

وَبَقَيْنَا مِثْلَمَا نَحْنُ شُمُوخاً وَرَجُولَهُ

وَسَنَبْقَى نَحْنُ أَرْضاً وَسَمَاءً مُسْتَحِيلَهُ

فَلْيُمُوتُوا هُمْ بِغَيْظٍ لَا شَفَى اللَّهُ غَلِيلَهُ⁽²⁾

في هذه الأبيات يصوّر الشاعر هزيمة الحلف الأطلسي فلم يجنِ إلّا العار والخزي، وبقاء صمود الشعب الليبي فوق أرضه، وتحت سمائه شامخاً عزيزاً ألبياً، ولا يتجرأ أحدٌ على احتلال أرضه، واختراق سمائه، فيموت عدونا بغيبته، وهو يجر أذيال هزيمته النكراء.

وحاول الشاعر أن يرسم صورة واقعية للغارة الأمريكية البريطانية على مدينتي بنغازي وطرابلس عند وصفه لصورة العدو وهو يتسلل كتسلل السارق في ظلام الليل الحالك حتى لا يراه أحد حينما قال في قصيدة (الغارة):

وَقَدْ أَدَجَنَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَعَثَّمَا

وَأَرْعَبَ - مَا شَاءَ الْغُرُورُ - وَهَدَّمَا

وَيُطْفِئُ فِينَا رُوحَنَا الْمُتَضَرِّمًا

عَنْ الْعَرَضِ وَالَّذِينَ الْمُقَدَّسِ وَالْحِمَى⁽¹⁾

تَسْلَلُ كَالسُّرَاقِ فِي عَسَقِ الدُّجَى

فَأَرْهَبَتْ مَا شَاءَتْ طَبِيعَتُهُ لَهْ

وَلَكِنَّهُ هَيْهَاتَ يَهْدِمُ عَزَمًا

فَمَا زَالَ مِنَّا مَنْ يَصُولُ حَمِيَّةً

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص39.

2- ديوان إشارات، حسن أحمد محمد السوسي، ص122.

يُمكن الشاعر في تصوير العمل الإجرامي الذي قامت به أمريكا حين أغارت على ليبيا وأرعبت الناس وهم نيام في مضاجعهم مما زاد غرورهم وتجبرهم، ولكن هناك من صمد وكسّر شوكتهم، وهدم غرورهم، تحية إلى أبناء الوطن الذين لم تخر عزائمهم بل صمدوا صمود الأسود، وهم يتساقطون دفاعاً عن وطنهم الغالي بكل شجاعة، ومروءة، ومازال نضالهم وصمودهم وقاداً في وجه كل من يريد التسلل لهذا الوطن العفيف، وسوف نحمي عرضنا، وديننا، ووطننا.

كما خاطب الشاعر الشعب الليبي ليثبت على ما هو عليه من صمود وعزة في وجه العدو البغيض الذي جاء غازياً إلى أرضنا للنيل منا حين غارت أمريكا على ليبيا وضربت شعبنا بصواريخها في ظلام الليل، والناس آمنين غارقين في سباتهم فيقول في قصيدة بعنوان (الغارة):

فَيَا شَعْبَنَا الْغَالِي فِدَى لَكَ كُلُّ مَنْ	سَعَى سَعْيَةً لِلنَّيْلِ مِنْكَ وَمَنْ رَمَى
فَعِشْ فَوْقَ أَرْضِ أَرْضَعَتِكَ حَمِيَّةً	مُبَارَكَةً قَدْ زَادَهَا اللَّهُ أَنْعَمًا
شَرِيعَةً هَذَا الْعَصْرِ قَانُونُ غَابَةِ	فَكُنْ فِيهِ صَقْرًا أَوْ فَكُنْ فِيهِ ضَيْغَمًا
فَعِشْ فِيهِ مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ رَافِعًا	جَبِينَكَ نَحْوَ الشَّمْسِ وَالنَّجْمِ وَالسَّمَاءِ ⁽²⁾

يذكر الشاعر الحمية في قلوب أبناء وطنه ليبيا، ويأمرهم بالعيش على تراب أرضهم التي أعطتهم الود، والحنان، والأمن، والأمان، وهم ينعمون بخيرات بلادهم، ويرى أن ما يحكم هذا الزمان هو قانون الغابة الذي أطلق شعاره البقاء للأقوى، زمان فيه القوي يأكل الضعيف، فيأمرهم بعيش الصقور وهي شامخة لا ترضى بالمهانة والذلة أمام عدوها، وأن يكونوا أقوياء بقوة الأسد أمام جبروت، وتكبر، وغطرسة عدوهم البغيض.

فعش يا شعب ليبيا في هذا الزمان مرفوع الكرامة، والعزة، والشموخ، وارفح رأسك متطلعاً إلى العلا بكل شموخ، ورفعة، وحرية.

1- ديوان إشارات، حسن أحمد محمد السوسي، ص134.

2- المصدر السابق نفسه، ص134.

المبحث الثاني

الجوانب الوجدانية

الوجدان لغة:

تحمل كلمة الوجدان في مضمونها عدة معانٍ وهي الغضب، والحزن، والحب، ويتفاوت استخدام كلمة الوجدان بحسب الموقف الذي يقتضيه في إرادة المعنى.

وبهذا عرّف ابن منظور الوجد الذي انصرف إلى معاني الغضب، والحزن، والحب على أنّه جملة المعاني التي تدل في اللغة. "وَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْعُصْبِ يَجِدُ وَيَجِدُ وَجْدًا وَجْدَةً وَمَوْجِدَةً وَوَجْدَانًا: غَضِبَ ... وَوَجَدَ بِهِ وَجْدًا: فِي الْحُبِّ لَا غَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيَجِدُ بِفُلَانَةٍ وَجْدًا شَدِيدًا إِذَا كَانَ يَهْوَاهَا وَيُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا ...

وَوَجَدَ الرَّجُلُ فِي الْحُزْنِ وَجْدًا بِالْفَتْحِ، وَوَجَدَ (كِلَاهُمَا عَنِ اللَّحْيَانِي) حَزْنَ، وَقَدْ وَجَدْتُ فُلَانًا فَأَنَا أَحَدُ وَجْدًا وَذَلِكَ فِي الْحُزْنِ".⁽¹⁾ وربط الوجد بين معاني إيجابية ومعاني سلبية، فالمعاني الإيجابية تتمثل في الحب الذي يدفع بالإنسان إلى التفاؤل، والسرور، والانبساط، بينما المعاني السلبية تشمل الحزن، والغضب الذي يدفع بالإنسان إلى القلق الإزعاج، والفرع.

الوجدان اصطلاحاً:

الوجدان هو "قوة باطنة ندرك بها الدخائل"،⁽²⁾ ومن هنا "نستطيع إطلاق مصطلح الوجدانية على كل ما يعتمل في النفس البشرية من أحاسيس ومشاعر، مركبة أو بسيطة، بجميع أشكالها المتناقضة من حب وكره، ومن غضب وانبساط، ومن غبطة وخوف، مع مراعاة العمق غير المعتاد".⁽³⁾

فالوجدان شعور منبثق عن الإحساس بما يقتضيه الموقف الإنساني من حب، أو حزن، أو غضب، "وثورة الوجدان، أو تفجر العاطفة الوجدانية، عنصر رئيسي في كل إنسان إلا أنّها تتفاوت من شخص لآخر".⁽⁴⁾

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (وجد)، ج15، ص157.

2- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ص930.

3- التجربة الوجدانية في الشعر الليبي الحديث "أحمد الشارف وأحمد رفيق أنموذجاً"، زينب أبو عجيبة علوان الفصل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، ليبيا، 2006، ص7.

4- المعاني الوطنية، صالح عبد الله قرقر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د. ط، 2005، ص40.

"إنَّ الشعر الوجداني يرتبط بكل إحساس أولي باللذة، أو الألم، وقد يرتبط بضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة، أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة ويدرك ذلك كله بالحواس الباطنة،"⁽¹⁾ فمن الطبيعي للشعراء أن ينحوا في شعرهم هذا اللون؛ لتأصله في طبيعة نفوسهم المتأرجحة بالحنين، وتعبيراً عن مواقف الحياة التي يعانيتها الشاعر، وهو ملموس واضح في الشعر الوطني لأنه يدل على صدق انتماء الشاعر لوطنه، وشعبه، ما ألهب وجدانه.

ويتضح أنَّ الوجد الذي هو بمعنى الحب لا يقتصر على حب الرجل للمرأة بل يتعدى إلى حب الله تعالى في ذاته وصفاته، وحب الوطن، والإنسانية، وحب الفضائل، والمثل والمبادئ، والأخلاق النبيلة.⁽²⁾ والسوسي يُعدُّ أحد شعراء الشعر الوطني، وغلب على قصائده هذا اللون فكانت ملمحاً واضحاً للتجربة الوجدانية.

1- التغزل بالوطن:

حب الإنسان لوطنه وتعلقه به يكشف عن مدى تعلق وجدانه وشعوره بذلك الموطن الذي وجد فيه الأمن، والسعادة، وشب على أرضه، وعاش فوق ترابه، وتحت سمائه سجل على رماله أعظم ذكريات طفولته وصباه، فمكانة الوطن وأهميته للإنسان كمكانة الروح في جسده، فحب الوطن متأصل في قلب كل إنسان فهو حب فطري ولد معه، ومهما اختلفت الظروف وقست على الإنسان لن يُفِرَّط في وطنه، وما هذه العلاقة الحميمة إلاّ تعبير عن هواجس الإنسان حين يبلغ حبه لوطنه درجة الهيام، ومحبة الشعراء لأوطانهم والتغزل بها عُرف عند بعض الشعراء قديماً وحديثاً، وعلى اختلاف عصورهم، وتفاوت الشعراء في التعبير عن هذا الحب الذي يُظهر لواعج الشوق لدى الشاعر وإحساسه المرهف تجاه وطنه.

"إنَّه الوطن الذي ضمَّنا أحياءً واحتضننا أمواتاً فحقُّ للشعراء أن يتغزلوا فيه وينظموا الكلام عقداً متلاًلاً."⁽³⁾

1- الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، محمد عبد عبد الله عطوات، ص523.

2- انظر: التجربة الوجدانية في الشعر الليبي الحديث، زينب أبو عجيبة علوان القنصل، ص8.

3- الشعر المعاصر في واحات الجفرة، سعاد امحمد بشير وعبة، رسالة ماجستير، جامعة التحدي، سرت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2009، ص104.

وهذا ما ظهر واضحاً في شعر السوسي حينما تغزل بوطنه ليبيا من خلال كلماته الشاعرية الجياشة التي تتسم بعمق الوجدان، وهي (سأحويك، غرامك، خاطري، هوى، شذى) فيعبر بها الشاعر عن بقاء ورسوخ حب وطنه في خاطره، ذلك المكان الذي ولد وعاش فيه، وتنعم بخيراته فارتوى وجدانه بحبه، وتشربت عروقه لذلك الشعور الصادق، فلن ينسى ذلك أفضاله عليه مهما حصلت معه من أمورٍ عارضة وسيبقى الوطن في الوجدان معبراً عن ذلك بقوله من قصيدة بعنوان (صورة):

سَأَحْوِيكَ يَا مُوْطِنِي صُورَةً تُلَوِّنُهَا ذِكْرِيَّاتُ الصَّبَا
وَيَبْقَى غَرَامُكَ فِي خَاطِرِي هَوَى غَامِراً وَشَذَى طَيِّباً⁽¹⁾

زاد حب الوطن في وجدان الشاعر عندما احتواه، وجعله صورة تزين ذكرياته، ويبقى حب الوطن في نفس الشاعر الهواء الذي يستنشقه فيغمره بحبه.

ثم يمضي الشاعر رسماً لوحةً تصويريةً رائعة؛ ليتغزل بواحة الكفرة، بهذه الواحة الغناء، فهي مسقط رأسه، ومرتع طفولته، وملاعب عزه فيقول في قصيدة (الكفرة):

جَنَابُكَ يَا مَهْدَ الْجَلَالِ مَهِيْبٌ وَحُسْنُكَ يَا أَخْتَ الْجَنَانِ قَشِيْبٌ
وَطْفُوكَ هَذَا بِالْجَمِيْلَاتِ مُوْلَعٌ أَمَّا هُوَ لِلْحُسْنِ الْبَهِيْجِ رِيْبٌ ؟
بِأَسْرَارٍ مَا أَرْضَعْتِهِ وَسَقَيْتِهِ تَرَعْرَعُ حَتَّى قَدْ عَلَاهُ مَشِيْبٌ
فَمَا زَالَ فِي عَيْنِيهِ حَشْدٌ مِنَ الرُّوَى لَهْنٌ بِأَذْيَالِ الْفُؤَادِ نُشُوْبٌ
وَفِيهِ صَفَاءٌ مِنْ سَمَائِكَ غَامِرٌ وَمِنْ أَفْقِكَ الْمَوْسُوعِ فِيهِ لُحُوبٌ
إِذَا كُنْتُ قَدْ أَحْبَبْتُ غَيْرَكَ مَرَّةً فَأَنْتَ هَوَايَ الْبِكْرِ (فِيهِ أَدُوبٌ)
وَإِنْ ثُبْتُ عَنْ حُبِّ الْجَمِيْلَاتِ تَوْبَةً فَحَاشَاكَ أَنْيَ عَنْ هَوَاكِ أَثُوبٌ⁽²⁾

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص123.

2- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1986، ص85-86.

أحب الشاعر واحة الكفرة منذ نعومة أظافره، وترعرع هذا الحب في قلبه حتى أن صار كبيراً، ومازال فؤاده متعلقاً بصفاء سمائها، وعذوبة مائها، وطول نخيلها وفاءً لما أرضعته وسقته من صدق الحب، وإخلاصه لها. ويعترف للواحة بأن حبه لها هو الحب الأول الذي ملك وجدانه حتى تمكن في عروقه، وسار فيها مسرى الدم، ثم يؤكد على عمق وجدانه لهذه الواحة حين قال: وإن رجعت وتخلي عن حب الجميلات من النساء فلن يرجع عن حبك أيتها الواحة، وهذا ما يدل على صدق وطنيته فلم يهوى غيرها على الرغم من بعده عنها سنوات طوال. ويؤكد الشاعر على عمق المحبة التي يضمها في وجدانه تجاه واحة الكفرة حين يصفها بعشقه البكر فيقول في قصيدة بعنوان (تكريم):

فَأَنْتِ الْهَوَى الْبِكْرُ لَمْ نَلْتَقِ	لَغَيْرِ هَوَاكَ وَلَمْ نَنْصَرِفْ
سِوَى بَنِي غَازِي فَإِنَّا عَلَى	هَوَاهَا اتَّفَقْنَا وَلَمْ نَخْتَلِفْ
جَنَحْنَا فَكَانَتْ لَنَا مَوْطِنًا	وَنُبْنَا فَكَانَتْ لَنَا مُنْعَطَفٌ ⁽¹⁾

يخاطب الشاعر واحة الكفرة باعتباره ابن تلك الواحة التي يسري هواها في عروقه، ولم يلتقت لغيرها، ولم يتنازل عن عشقه لها منذ نعومة أظافره حتى صار كهلاً، وجعل عشقه للواحة كعشقه لبنغازي على حد سواء فصار حبهما لدى الشاعر في مرتبة واحدة، ولا يزايد عليهما فكل من الكفرة وبنغازي لهما مكانة عظيمة في وجدانه. وفي لوحة شعرية صادقة صوّر لنا السوسي شدة شوقه، وتعلق وجدانه بالجبل الأخضر حينما تغزل فيه بكلماته الرقيقة الحانية عبّر من خلالها عن مشاعره تجاهه وفيه يقول في قصيدة (الجبل):

أَتَيْتُكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْأَشْمُ	وَبَيْنَ جَوَانِحِي شَوْقٌ مُهِمٌ
حَمَلْتُكَ فِي الضُّلُوعِ هَوَى وَشَوْقاً	وَأَيَّاماً لَهَا فِي الْعُمْرِ رَشْمٌ
أُفَّتْشُ فِيكَ عَنْ أَيَّامِ عُمْرِي	وَهَلْ بَعْدَ الصَّبَا لِلْعَيْشِ طَعْمٌ ⁽²⁾

1- ديوان إشارات، حسن أحمد محمد السوسي، ص 87.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 20.

أظهر الشاعر مدى شوقه وحبّه الذي يحمله في صدره للجبل الأخضر؛ فهو جزء من وطنه ليبيا ذلك المكان الذي قضى فيه أجمل ذكريات صباه.

ثم ينتقل السوسي إلى التغزل بمدينة مصراتة حين زارها حاملاً في وجدانه أشواقه وعواطفه النبيلة حيث قال في قصيدة بعنوان (ضرة الشمس):

أَتَيْتُ أَحْمِلُ أَشْوَاقِي وَآهَاتِي حَتَّى لَقَيْتُكَ يَا أَحْلَى حَبِيبَاتِي
أَتَيْتُ وَالشَّوْقُ فِي جَنْبِي مُسْتَعِرٌّ وَفِي دَمِي جَمْرَاتٌ مِنْ صَبَابَاتِي⁽¹⁾

يحمل الشاعر في قلبه شعوراً ملتهباً تجاه مدينة مصراتة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على صدق محبته، وإخلاصه لها، وهي جزء لا يتجزأ من الوطن (ليبيا).

2- حب الديار ووصف حالها:

من البديهي للإنسان أنْ يُحِبَّ المكان الذي ألفه وشب عليه، وترعرع على أرضه، وعاش بين أكنافه، وخاصةً إذا ربطته بهذا المكان ذكريات طفولته وصباه، فحب الديار من حب الوطن إذ هي جزء من الوطن، وحب الإنسان لهذه الديار له معنى كبير في وجدانه وجعله يتعلق بها، فهي موطن ذكرياته وملاعب صباه التي قضاها على ترابه، وتحت شمس الحانية بخيوطها الذهبية.

والتغني بحب الديار عُرف منذ القدم فلم يكن جديد العهد، حيث تغنى الشعراء على مختلف عصورهم بمراتع طفولتهم، وملاعب صباهم، فهي توحى بمدى عمق الشوق، والحب المتأجج في نفوسهم، وتعلقهم بديارهم لشعورهم بالأمن في أحضان تلك الديار التي جمعتهم بالأهل، والأحباب.

وحب الديار بالنسبة للشاعر حسن السوسي له وقع قوي على نفسه، إذ توغل في أعماق وجدانه حتى صار الهواء الذي يتنفسه، وهذا يدل على مدى سيطرة مشاعره على نفسه ومدى تعلقه بوطنه (ليبيا)، فقد أحب بلاده

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص 157.

(ليبيا) حباً كبيراً صادقاً فلم يقبل غير بلاده وطناً، وعبر عن ما جاش به وجدانه حتى صور نفسه (قيس) العصر الحديث، وصور ليبيا (ليلى) قائلاً في قصيدة بعنوان (ليلاي بلادي):

أَنَا "قَيْسُ" الْعَصْرِ الْجَدِيدِ وَلَيْلَا	ي "بِلَايِي وَحَسْبَهَا وَكَفَاهَا
كُلُّ وَقْتٍ بِهَا وَكُلُّ زَمَانٍ	مُعْلِنٌ عَنْ جَمَالِهَا وَبَهَاةِهَا
طَوَّدَهَا سَهْلَهَا ضَحَاهَا دُجَاهَا	بَرَّهَا بَحْرَهَا ثَرَاهَا سَمَاهَا
كُلُّ شَيْءٍ بِهَا جَمِيلٌ وَإِنْ كَا	نَ بِهِ سُوءَةٌ فَلَسْتُ أَرَاهَا ⁽¹⁾

حب الشاعر لبلاده جعله يعلن عن جمال كل ما فيها من جبال، وهضاب، وسهول، وأنهار، وليل، وبر، وبحر، وتراب، وسماء، وهذا زاد من حبه لها وتشبته بها، وتجوال الشاعر في ربوع بلاده رسّخ حبه هذا، ومما مكن حبه لبلاده -أيضاً- حسن معاملة أهل بلاده، الذي عمّق حبها في وجدانه، وصار هائماً حول ما شاهد فيها من جمال.

ثم ينتقل الشاعر إلى موطن آخر؛ ليعبر فيه عن مدى ارتباطه، وتعلق وجدانه بمدينة المرج، فهي جزء لا يتجزأ من وطنه (ليبيا) وعنها يقول في قصيدة (هوامش على دفتر العشق):

هَدَى الدِّيَارُ ثَثِيرٌ فِي وَجْدَانِي	شَوْقاً كَشَوْقِ الْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ
بَلَدٌ مَحَبَّتُهُ تَشَدُّ مَشَاعِرِي	وَهَوَاهُ يَسْرُبُ فِي دَمِي وَكَيَانِي
لَمْ أُنْسِ أَوَّلَ مَا هَبَطْتُ دُرُوبَهُ	أَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الصَّبَا النَّدِيَانِ ⁽²⁾

يُشير الشاعر إلى مدينة المرج وديارها التي تذكره بماضي صباه، فيزيد شوقه، وحنينه وعشقه لها، واعتزازه بها، فهي البلد التي غمرت مشاعره بحبها الصادق، وصار يسري في دمه، وكيانه، ولم ينس ذكرياته المحفورة منذ نزل بها أيام صباه.

1- مجلة الفصول الأربعة، قصيدة (ليلاي بلادي)، حسن أحمد محمد السوسي، العدد 8، ص140.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص29.

وفي قصيدة بنغازي رسم الشاعر صورة يظهر فيها اعتزازه وحبه وفخره ببنغازي وأهلها، إذ يقول:

يَا أَهْلَ بَنْغَاذِي وَيَا بَنْغَاذِي مَنْ ذَا يُكَافِي فِعْلَكُمْ وَيُجَاذِي
بَغْضُ الْمَدَائِنِ أَهْلُهَا وَفِعَالُهَا فِي الْقَلْبِ يُشْبِهُ مِثْقَبَ الْخَرَّازِ
لَكِنَّ أَهْلَكَ فِي الْجِرَاحِ بِلَاسٍ وَطِرَازُهُمْ فِي النَّاسِ أَيُّ طِرَازٍ⁽¹⁾

يُعدّ حب الشاعر لمدينة بنغازي امتداداً لحيته لوطنه (ليبيا) مفتخراً بأفعال أهلها التي يراها بلسماً لجراحه وعثراته، على تميز فعال أهل بعض المدائن حيث تتضرب القلوب وتدميها كما تنقب الإبرة الثوب.

ثم يمضي الشاعر ليعبر عن شدة هواجس وجدانه لمدينة طرابلس، حيث يقول في قصيدة (قبل المؤتمر):

مَحَضُّكَ حُبِّي يَا ابْنَةَ الْعَرَبِ صَادِقاً وَتَغْرُكَ بِسَامٍ وَوَجْهُكَ مُشْرِقٌ⁽²⁾

أظهر الشاعر عمق مشاعره وعواطفه الصادقة نحو مدينة طرابلس (العاصمة) التي هي جزء من وطنه ليبيا، فسور مدى الشوق الصادق الذي يظهره لها حتى أطلق عليها (ابنة العرب) فهي لم تكن حكراً على الليبيين القاطنين بها؛ بل تُشكّل مكانة عظيمة لنا وللعرب.

3- وصف الطبيعة:

الطبيعة ملاذ الشعراء قديماً وحديثاً، حيث استمدوا منها إلهامهم اللامحدود في وصف كل ما وقعت عليه أعينهم من مشاهد طبيعية في بيئتهم، وقد لجأ الشاعر إلى وصف الطبيعة هروباً من الواقع وهمومه، ففي وصفها يجد الراحة والاستئناس من خلال رسم لوحته الشعرية، معبراً بها عما يشاهده أمامه في الطبيعة، فالطبيعة هي مصدر مادته في تصوير لوحته الشعرية لكتابة موضوعه، فقد كان للطبيعة "حضور في وجدان الشاعر حين يتغنى بعواطفه أو يعبر عن أفكاره وفلسفته في الحياة."⁽³⁾

1- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص47.

2- ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، ص9.

3- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، الجزء الأول، ص409.

فالشاعر حسن السوسي أحب طبيعة وطنه (ليبيا) الحية والصامته، وتغنى بها في قصائده معبراً عما يجول في قريحته من انفعال، وأحاسيس، ومشاعر تجاه ما شاهده.

وهذه وقفة مع بعض عناصر الطبيعة التي تتفاعل معها الشاعر في وطنه (ليبيا)، الواحة، والمدينة، والربيع، الجبل، والصحراء، والبحر:

أ. الواحة:

ذلك المكان الذي ينعم بالماء، وأشجار النخيل في وسط الصحراء القاحلة، وهي مكان لاستراحة القوافل في الماضي، حيث تضع أحمالها؛ لترتاح من مشاق السفر الطويل في ظلها، ويصف الشاعر جمال واحة الكفرة وأشجارها الشامخة شموخ أهلها، حيث قال في قصيدته (ليلاي بلادي):

تَرْفُلُ الْوَاحَةُ الْأَنْيَقَةَ فِيهَا	كَعَرَسِ يَوْمَ الزَّفَافِ جَلَاهَا
هَذِهِ الْغَادَةُ الَّتِي أَسَدَنَ اللَّهُ	عَلَيْهَا مِنَ الْخُلَى أَغْلَاهَا
حَوْمَ الْمَجْدِ حَوْلَهَا فَاحْتَوَتْهُ	وَمَشَى الْحُسْنُ نَحْوَهَا فَاحْتَوَاهَا
أَيَّ حَسَنَاءٍ نَشَأَتْهَا الْبَرَارِي	فَتَحَدَّثَ بِمَا تَفِيءُ لُظَاهَا
رَوْضَةً تَخْلُبُ النَّهْيُ أَنْ تَزْرَهَا	تَرْفِي حُسْنَهَا الْبَدِيعُ (1)

في هذه الأبيات يظهر الشاعر مواطن الجمال والحسن لهذه الواحة الغناء بأناقتها، ورونقها البديع، وأشجار النخيل، وكتبان الرمل، والجبال الشاهقات تحيط بها، فهي وسط هذا المنظر البديع كأنها عروس يوم زفافها، وفوق هذا الحسن الرباني يصف شاعرنا ما حققته الواحة من مجد وانتصارات ضد الغزو الإيطالي، ثم يرسم جغرافية الواحة وسط الصحراء القاحلة، وهي تتحدى ظروف الحياة بقسوة الصحراء، ويعود الشاعر لذكرنا بجمال الواحة الذي سلب عقل كل من زارها، بأنها تدل على بديع خلق الله في الكون.

1- مجلة الفصول الأربعة، قصيدة (ليلاي بلادي)، حسن أحمد محمد السوسي، العدد 8، ص 141.

ثم يمضي الشاعر في وصف واحة الكفرة راسماً لوحة فنية جميلة حينما يقول ضمن قصيدة (الكفرة):

زُمُرْدَةُ خَضْرَاءُ حُقَّتْ بِعَسَجَدٍ	لأنظارِ عُشاقِ الجَمالِ خُلُوبٍ
نُجُومُكَ لَيْسَتْ كَالنُّجُومِ بِمَقَلَّتِي	وَبَدْرُكَ فِي لَيْلِ التَّمَامِ عَجِيبُ
وَمَاؤُكَ لَا كَالْمَاءِ لُطْفًا وَرَقَّةً	مَرِيءٌ لِعُلَّاتِ الظَّمَاءِ مُصِيبُ
وَرَزَقُكَ إِنَّ صَنَّ الزَّمَانُ مُوسِعُ	وَصَدْرُكَ إِنَّ صَاقَ الزَّمَانُ رَحِيبُ
وَلَيْلُكَ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُشْعِشُ	بِهِ وَلَأَنْفَاسِ الشَّمَالِ هُبُوبُ
هُنَالِكَ يَزْدَادُ الْحَدِيثُ طَلَاوَةً	لِسَمَّارِهِ وَالْأَمْسيَاتُ تَطْيِبُ ⁽¹⁾

وصف الشاعر واحة الكفرة بالزمردة الخضراء إي الحجرة الكريمة التي رُصِّعت بالذهب فزادها حسناً، وجمالاً، فكانت لعيون عشاق الجمال كأنها خدعة من شدة جمالها البديع، كما يصف نجومها وقمرها في الواحة حين يرى نجوم الواحة ليست كباقي النجوم في عيونه، وقمرها في منتصف الشهر مكتمل ضوءه العجيب البديع، ويصف عذوبة، ورقة، وسلاسة الماء في واحة الكفرة، فمياها صافية عذبة تخرج من باطن الأرض لا مثيل لها، ويهنأ الشاعر بارتواء أشجار الواحة التي كانت يعتريها العطش، ثم ينتقل ليصف الليل الذي ينوره القمر المضيء يشعشع وسط ظلام حالك، ونسمات الشمال الباردة تهب لتلطف الجو والمكان.

ب. المدينة:

هي المكان والمأوى، وهي المباني الرامزة للتحضر، يستلهمها الشعراء في قصائدهم فيستدعون معالمها، وأبطالها، وكذا يتغنون بأسمائها حيث يصفها الشاعر وكأنها حبيبة له، فها هو السوسي يذكر في دواوينه أغلب المدن العربية والليبية على وجه الخصوص، ويصف مدينة نالوت -على سبيل المثال لا الحصر- بكلمة (حلوة) فيقول في قصيدة (نالوت):

وَحَلْوَةٍ حِينَما شَاهَدْتُ طَلَعَتَهَا	وَقَفْتُ كَالصَّنِيمِ الْمَشْدُودِ مَبْهُوتًا
--	---

1- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، ص 86.

تَحْتَ اللَّسَانِ وَفِي الْعَيْنَيْنِ "مَارُوتًا"

رَأَيْتُ "هَارُوتَ" مِنْهَا عَاقِدًا عُقْدًا

فِيهَا فَأَحْبَبْتُ بِاسْمِ الْحَسَنِ "تَالُوتًا"⁽¹⁾

نَسِيتُ "تَالُوتَ" حَتَّى قِيلَ مُوْطِنُهَا

أعجب الشاعر بجمال هذه المدينة فوقف كالصنم مبهوراً مندهشاً من روعة ما شاهده أمامه من شدة جمال المنظر وفضاعته حتى سحرته بجمالها البديع، وكأن هاروت قد عقد لسانه عن التعبير لروعة المنظر، وماروت قد أعمى بصره عن النظر في جمالها، فنالوت موطن الجمال والحسن كما وصفها الشاعر.

ج. الربيع:

ذلك الفصل الذي أبهر الناس ببهجته، وجماله الخلاب، وفيه تمثلت تلك الطبيعة الزاخرة التي ملكت نفوس الشعراء بسحرها الفتان.

حيث يصف الشاعر بهجة الطبيعة الحية، ومواطن جمالها، وشموخ الجبل الأخضر الصامت في فصل الربيع فيقول في قصيدة بعنوان (ربيعية):

وَرَوْضَةٌ جَادَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ

فَنَبْثُهَا مِنَ النَّعِيمِ أَسْمَرُ

كَأَنَّهُ بَحْرٌ بِمَوْجٍ يَزْخَرُ

وَزَهْرُهَا مُبْرَعٌ مُنَوَّرُ

قَدْ ضَمَّهَا ضَمَّ الْمَشُوقِ "الأخضر"

أَمَامَهَا وَادٍ سَحِيقٌ مُغَوَّرُ

وَخَلَقَهَا طَوْدٌ أَشَمُّ أَرْوَرُ

وَحَوْلُهَا "التَّيَّةُ" نَمَا وَالزَّرْعَتَرُ

وَهِيَ عَلَى الْمَرْجِ بَسَاطٌ أَخْضَرُ

1- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، ص165.

مِنْ فَوْقِهِ أَزْهَارُهَا تُنْتَثِرُ

فَأَبْيَضُ وَأَحْمَرُ وَأَصْفَرُ

كَمَا عَلَى الدِّيْبَاجِ ذُرَّ الْجَوْهَرِ⁽¹⁾

نحن أمام صورة معبرة رسمها الشاعر للأماكن الجميلة بمنطقة الجبل الأخضر بعد سقوط المطر، حيث كسا الوادي والجبل بساط أخضر بألوانه الزاهية الجميلة، مما زاد روعة منظر الورود المتفتحة بأشكالها البهية، ورائحتها الزكية على نسمات الصباح الندية يستنشق شذاها كل زائر، ويظهر مدى انسجام الزائرين له، فهو طيب المقام فلا يُمل من النظر فيه من حسنه وروعة منظره.

د. الجبل:

ذلك الطبيعة الصامته، والمكان الذي يرمز به للشموخ؛ لعلو مكانته وسط الصحراء متحدياً قسوة الحياة.

صورة شعرية جميلة رسمها الشاعر واصفاً الجبل الأخضر في قصيدة (ليلاي بلادي) حيث يقول:

وَإِذَا مَا مَرَرْتُ بِالْجَبَلِ الْأَخْضَرِ	شَدَّ الْحَوَاسَ مَنِي انْتَبَاهَا
مَنْظَرٌ رَائِعٌ وَمَرَأَى بَدِيعٌ	يُلْجَمُ الْحُسْنُ حَوْلَهُ الْأَفْوَاهَا
خَلَّتْهُ جَنَّةُ الْبَدِيعِ عَلَى الْأَرِ	ضٍ أَعْدَتْ لِمَنْ أَحَبَّ الْإِلَهَ ⁽²⁾

رسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة فنية ملونة بألوان الطبيعة واصفاً طبيعة الجبل الأخضر الخلابة، والمنظر الجميل الذي زاره، ولجماله البديع، ولحسن منظره تخيل الشاعر أنه جنة على الأرض أعدت لأحباب الله، فعجزت الألسن التي في الأفواه عن التعبير؛ لشدة الجمال الذي أوجده الله سبحانه وتعالى على هذه البسيطة. ويؤكد السوسي مكانة الجبل الأخضر المرموقة في قلبه حينما ينسج قصائد عدة يصف فيها منظره الخلاب، ذلك المنظر الذي زخر به من حسن وجمال في قصيدته (كتاب الجلال وسفر الجمال) ليجر بنا إلى عالم الإبداع

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص124-125.

2- مجلة الفصول الأربعة، قصيدة (ليلاي بلادي)، حسن أحمد محمد السوسي، العدد 8، ص141.

وفيه يقول:

هَذَا الْحُسْنُ مُؤْتَلَقٌ مَسْفَرٌ	وَسَفْحٌ بِلَيَّاتِهِ يُبْهِرُ
وَنَبْعٌ بِكُوْثَرِهِ يَزْخَرُ	تَدْفُقُ بِالشَّهْدِ وَالسُّكْرِ
عَلَى مَتْنِهِ تَسْتَرِيحُ السَّنُونُ	وَفِي ظِلِّهِ يَنْعُمُ الْمُتَعَبُونَ
وَفِي لَوْنِهِ تَسْتَحِمُ الْغُيُـوْنُ	وَتَغْفُو عَلَى زَيْدِهِ الْأَسْمَرِ
بِهَمْسِ النَّسِيمِ وَخَفَقِ الْغُصُونِ	تَنَامُ الْجِرَاحُ وَتَغْفُوا الشَّجَوْنَ
وَتُنْعَشُ أَنْفَاسُهُ النَّاشِقِينَ	بِبَوَاحِ خُرَامَاهُ وَالزَّعْتَرِ ⁽¹⁾

تمضي القصيدة بأبياتها لتصف الجبل الأخضر حيث أشار الشاعر بكلمة (هنا) إلى الجبل الأخضر الذي أبدع الله في صنعه، فتألق بحسنه وجماله، فيصور منظر المياه، وهي تتبع من عين في الجبل، فتخرج مياه حلوة المذاق للشاربين بطعم العسل، وعلى أرضه ينعم الإنسان بالراحة، والهدوء، والسكينة، وفي لونه الأخضر تستريح العيون وتنام، والنظر إلى جمال وروده يُذهب الهم عن النفس، ثم يصوّر الشاعر همسات الهواء العليل، وحفيف غصون الأشجار، ذلك الجرس السحري الرنان الذي له دور كبير في تناسي الهموم، والجراح، والآلام، والأحزان فيميل معها إلى السكينة، والاستئناس، وتنتعش أنفاسه بالروائح الزكية التي تنبعث من ورود الخزامى والزعر، وهما نبتتان طيّبتا الرائحة.

هـ. الصحراء:

تطلق على البرية ذلك الفضاء الواسع من الأرض، ومن خلال دواوين الشاعر نجده يصف جمال صحراء وطنه (ليبيا) تلك الطبيعة الصامته ومنها يقول في قصيدة بعنوان (مواطن الأمجاد):

وَجَمَالُ صُحْرَاوَاتِهِ فِي قَسْوَةٍ	هِيَ قَسْوَةُ الْآبَاءِ بِالْأَوْلَادِ
تِلْكَ الَّتِي صَقَلَتْ عَزَائِمَ أَهْلِهِ	صَقَلَ الْمُهَنْدُ فِي لُظَى الْحَدَادِ ⁽¹⁾

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص 139-140.

يرى الشاعر جمال صحراء ليبيا في طبيعتها القاسية، ببردها في فصل الشتاء، وحرها في فصل الصيف، وقطعها سنوات الجذب، تمثلت في طريقة تربية أهل البادية لأولادهم تلك التربية التي جبلت أفعال وطباع أهل هذا الوطن على صلابه قلوبهم، واشتداد عزائمهم؛ لمواجهة ظروف الحياة، كما زرعت في طباعهم خصال الكرم، والمروءة، والشجاعة، فالصحراء مدرسة لترويض النفس على مواجهة الشدائد.

و. البحر:

هو ذاك الأفق الممتد يرى فيه الناس المكان المناسب لجلاء همومهم، ومصدر إلهامهم، وانسراح صدورهم في هدوءه وغضبه، فيشعر الناس بالأمن، ويشعر الشعراء بسحره الفتان، وشواطئه البهية، وأفقها اللامتناهي فينظمون أروع الأشعار.

ووصف الشاعر طبيعة البحر الصامته ليظهر عظمة ومكانة البحر في وجدانه من خلال استئناس وسكينة الروح، وراحة البدن، وانسراح النفس حيث يقول في قصيدة (البحر):

قَالُوا هُوَ الْبَحْرُ تُغْرِينَا رَوَائِحُهُ	وَيَسْتَبْدُ بِنَا مَرَأًى وَأَنْسَامَا
جِنَانُهُ وَالْحَرُّ تَشْوِينَا هَوَاجِرُهُ	شَيْئًا وَيَرْهَقُ أَرْوَاحًا وَأَجْسَامَا
لِلْمَوْجِ فَوْقَ رِمَالِ الشَّطِّ هَمَّهُمَّةٌ	لَا تُسْتَبَانُ كَمَا حَدَّثَتْ تَمَتَامَا
مَا أَبْهَجَ الشَّطِّ نُلْقِي فَوْقَ رَمْلَتِهِ	مَتَاعِبًا قَدْ حَمَلْنَاهَا وَالْأَمَامَا
وَأَمْتَعَ الْبَحْرَ إِذْ نَرْمِي بِنَفْسِنَا	فِيهِ فَيَغْسِلُ أَصْدَاءَ وَأَسْقَامَا
وَأَكْرَمَ الْبَحْرَ إِذْ يُوجِي لِرَائِرِهِ	مِمَّا يُزْخَرِفُ أَحْلَامًا وَأَوْهَامَا
مِيَاهُهُ تَبْهَجُ الرَّائِينَ زُرْقَتَهَا	وَأَفْقُهُ كَمْ هَمٍّ وَحِيَاً وَالْهَامَا
وَكَمْ أَعَارَ تَهَاوِيلًا وَأَخْيَالَةً	وَكَمْ أَعَانَ عَلَى التَّصْوِيرِ رَسَامَا ⁽²⁾

1- ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، ص12.

2- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص91.

أشار السوسي في أبياته إلى البحر وهو يغري عيون الناس بجماله، ونسماته العلية، ذات الوقع الشديد على النفس، ثم يمضي بأبياته ليرسم صورة الموج لحظة التظامه بصخور الشاطئ فيصدر أنغاماً نتيجة اضطراب البحر معلناً ثورته وغضبه، فالبحر ملاذٌ للشاعر يلقي على رمال شاطئه البهيج آلامه، وهمومه، وأحزانه، وماؤه الأجاج يغسل درن نفسه وعللها، ويجسد الكثير من أحلامه، وأوهامه، كما هو مصدر الإلهام للشاعر، والرّسام، والفنان، والأديب، والعاشق، فمنه يستمد أخيلته وصوره على مدى اتساع أفقه الرّحب.

وفي قصيدة (مصبح الشط) يصف الشاعر طبيعة الشط الساحرة حيث يقول:

يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ وَالْخَيْالِ	وَمَوْطِنَ السِّحْرِ وَالْجَمَالِ
وَزَارِعَ الشُّوقِ فِي الْحَنَائِيَا	وَنَائِرَ الْحُسْنِ فِي الْمَجَالِي
تَجَمَّعَتْ فِيكَ ذَكْرِيَّاتٌ	تَفَرَّقَتْ قَبْلُ عَنْ خَيَالِي ⁽¹⁾

يخاطب الشاعر الشط منادياً إياه بمهبط الإلهام، وفسحة لأفق الخيال، وموطن السحر والجمال، ولجوء الشاعر إلى البحر؛ لتوطن حبه في قلبه، وشعوره بالأمن والأمان في أحضانه، كما هو مصدر للذكرى لمن كان يلتقي معهم عند شاطئه الطويل.

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف جمال طبيعة البحر وروعته حيث يقول ضمن قصيدة (مصبح الشط):

فَرَوْعَةُ الْحُسْنِ فِي الْمَرَائِي	وَرَوْعَةُ السِّحْرِ فِي الْمَجَالِي
وَفَتْئَةُ الْحُسْنِ فِي عُصُونٍ	تَخَطَّرَتْ ثُمَّ فِي دَلَالٍ
وَزُرْقَةُ الْبَحْرِ فِي عُيُونِ الْ	حِسَانٍ مَعْكُوسَةِ الظِّلَالِ ⁽²⁾

صوّر الشاعر حُسْنَ وَجَمَالَ البحر في عيون الناس، كما ظهر جماله وسحره على طول أفقه الواسع، ثم تذكر إعجابه بغصون الشجر المتفرعة بحسنها الفتان، ثم يلمح جمال انعكاس زرقة البحر في عيون تلك الجميلات من النساء.

1- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، ص161.

2- المصدر السابق نفسه، ص162.

4- الفخر بالوطن:

مما لاشك فيه أنه من الطبيعي أن يفخر الإنسان بوطنه الذي ينتمي إليه، وعاش في أكنافه، وقضى فيه طفولته وصباه، "فالوطن مهد الطفولة وذكراياتها، ففيه نشأ وكبر وأحب"⁽¹⁾ وبه فخر، وما يميز به الوطن من مواقف بطولية تركت أثراً متوهجة في أعماق الشاعر جعله يتعجب فخرًا بما حققه أبناؤه الثائرون من أمجاد وبطولات فداء لهذا الوطن الغالي، وكذا ألهمته أن يتغنى بأمجاد وبطولات وطنه النضالية، ويدعو إلى الفخر بها، فكيف لا يحق للشاعر أن يفخر بوطنه الذي قدّم أبناؤه أرواحهم فداء له، وعلم العالم معنى الفداء عبر تاريخه الطويل؛ لذلك حُقَّ للشاعر حسن السوسي أن يفخر بوطنه ليبيا، وهذا ما أشعل وجدانه، وألهب مشاعره؛ ليعبر عما يجيش به صدره من مشاعر تجاه حبه لكل جزء من أرض وطنه (ليبيا). فما هو يفخر بما قدمته واحة الكفرة في سفر الجهاد حيث يقول في قصيدة بعنوان (الكفرة):

وَلَمْ تَجْبُنِي يَوْمَ اللَّقَاءِ وَإِنَّمَا صَمَدَتِ وَأَنْفَاسُ الْحَدِيدِ لَهَيْبُ
فَمَا يَوْمُ (هُوَارِي) (*) بِخَافٍ مَكَانُهُ وَلَا هُوَ عَنْ سِفْرِ الْجِهَادِ يَغِيبُ⁽²⁾

يُظهر الشاعر فخره بواحة الكفرة التي لم تجبن أمام الاحتلال الإيطالي، بل صمدت صمود جبالها، ونخيلها في (موقعة الهواري) التي قدّم فيها الأبطال أرواحهم رخيصة في سبيل حرية، وكرامة، وعزة هذا الوطن. ثم ينتقل شاعرنا ليفتخر بأنه ابن هذه الواحة الغناء التي احتضنته منذ ولادته، والتي ضمت قبر أمه الحبيبة، فتربطه بالواحة قرابة حميمة مهما بُعد عنها وطالت المسافات، فهي إلى روحه وفؤاده قريبة، كونها الأم التي ضمته بحنانها، وترعرع في جنانها، حيث يقول في قصيدة بعنوان (الكفرة):

وَأَوْصِيكَ خَيْرًا بِالنِّيِّ صَمَّ قَبْرَهَا تَرَاكِ فَمَثْوَى الْوَالِدَاتِ حَبِيبُ
وَأَنِّي ابْنُكَ الْبِرُّ الْمُؤَلَّهُ وَابْنُهَا وَأَنْتِ وَإِيَّاهَا إِلَيَّ نَسِيبُ

1- الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، ص 247.

* الهواري: معركة وقعت بين الغزاة الإيطاليين وأهالي الكفرة.

2- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، ص 92 - 93.

فَمَا غَبَتِ عَنْ قَلْبِي وَلَا عَنْ مَشَاعِرِي وَإِنْ طَوَّحْتُ بِي عَنْ حِمَاكِ دُرُوبُ⁽¹⁾

ويمضي الشاعر ليصوّر لوحة شعرية فيها يفتخر بانتمائه لهذه الواحة الجميلة حيث يقول في قصيدة (ليلاي بلادي):

فَبِحَسْبِي أَنِّي إِلَيْهَا انْتَمَائِي	وَكَفَّانِي أَنِّي بِهَا أَتْبَاهِي
شَرَفٌ أَنْ أَكُونَ بَعْضُ بَنِيهَا	وَهِيَ لِلْمَجْدِ وَالْغَلَا مُنْتَمَاهَا
فَأَنَا قَدْ وَرِثْتُ بَعْضُ غُلَاهَا	وَأَنَا قَدْ رَضَعْتُ كَلِّ صَفَاهَا
هِيَ دُنْيَايَ وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضِي	مُنْذُ إِنْ كُنْتُ مَسَّ جَلْدِي ثَرَاهَا ⁽²⁾

أبرز الشاعر فخره من خلال اكتفائه بانتمائه، وتباهيه بواحة الكفرة، ويرى فيها شرفاً ومجداً له، فالواحة هي المكان الأول لمسقط رأسه منذ نعومة أظافره، وأول أرض مست جسده حين كان صغيراً.

كما افتخر الشاعر بمقاومة وصمود أهالي الجبل الأخضر أمام جبروت الغزو الإيطالي لليبيا في المنطقة الشرقية بقوله ضمن قصيدة (كتاب الجلال وسفر الجمال):

فَيَا جَبَلًا زَاخَمَ النَّيَّـرَاتِ	وَقَاوَمَ بِالْعَزْمِ كَيْدَ الطُّغَاةِ
لِأَبْنَائِكَ الْغُرِّ هَذِي الصِّفَاثِ	فَهُمْ صَامِدُونَ عَلَى الْأَغْصَانِ ⁽³⁾

فهو يعدّ الجبل الأخضر أكبر شاهد على حركة الجهاد في ليبيا بقيادة المجاهد عمر المختار ورفاقه المجاهدين من أبناء ليبيا الشرفاء الذين صمدوا أمام الطغاة، وقدموا أرواحهم فداء لهذا الوطن العزيز ضد الاحتلال الإيطالي.

1- ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، ص93.

2- مجلة الفصول الأربعة، قصيدة (ليلاي بلادي)، حسن أحمد محمد السوسي، العدد8، ص141.

3- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص140.

ويذهب الشاعر إلى إظهار فخره، وفرحه، وإعجابه بوطنه (ليبيا) أمام الناس معبراً عن ذلك بقوله في قصيدة بعنوان (صورة):

إِذَا ذَكَرَ النَّاسُ أَوْطَانَهُمْ	ذَكَرْتُكَ مُغْتَبِطاً مُعْجَباً
فَيَا صَخْرَةً غَالِبَتْهَا السِّنُونُ	فَشَاءَ لَهَا اللَّهُ أَنْ تَغْلِبَا
وَيَا هِمَّةً تَتَحَدَّى الْمُحَال	وَيَا عَزْمَةً سَخِرَتْ بِالظُّبَى
سَيَبْقَى حَدِيثُكَ عَبْرَ الزَّمَانِ	يُلَقِّنُهُ مَوْكِبٌ مَوْكِباً ⁽¹⁾

أخذ الشاعر يتباهى ويفتخر بوطنه (ليبيا) أمام الناس حينما يذكرون أوطانهم، فليبيا صخرة تحطمت عليها أكبر قوة صليبية على وجه الأرض، وما زالت تتحدى كل الصعاب بعزيمة رجالها الشجعان، وقد خلدت بطولاتها في سجل التاريخ، وستبقى قصة لمواقفها البطولية يتحدث بها الأجداد والآباء لأبنائهم جيل بعد جيل. وأيضاً يُظهر الشاعر افتخاره بأمجاد مدينة سرت إحدى المدن الليبية حين ناداها الشاعر بابنة المجد حيث قال عنها:

غَنَيْتُ مَجْدَكَ يَا ابْنَةَ الْمَجْدِ الْبَعِيدِ عَنِ الْمُحَايِي⁽²⁾

يفتخر الشاعر بما قدّمته مدينة سرت من أمجاد عظيمة في حركة الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي على أرض ليبيا، فلا أحد يتجاهل دورها في صمودها أمام هذا الاستعمار وهذا المجد لم تحققه مدينة سرت لنفسها وحسب، بل لكل وطنه، فهي جزء غالي من الوطن الليبي.

1- ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، ص123.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، ص12.

الفصل الرابع

الخصائص والسمات الفنية في شعر السوسي

المبحث الأول

الصورة الشعرية ودلالاتها عند السوسي

- التشبيه.

- الاستعارة.

- الرمز.

التوطئة:

يهدف هذا الفصل للتعرف على الصورة الشعرية ومعانيها الفنية عند السوسي، وما ترتكز عليه هذه الصورة من تعابير مدمجة في القوالب البلاغية، التي لها الدور الفعّال في بناء القصيدة، وهي تتمثل في التشبيه والاستعارة والرمز من أبرز عناصرها، واكتشاف جماليات الصورة الشعرية في شعره، وقدرته على تزيين مادته الشعرية، "فالصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر بها عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورته الشعرية."⁽¹⁾ وبهذا يتضح أن الصورة الشعرية تمثل دوراً أساسياً في بناء العمل الأدبي، وليست نوعاً من الزخارف، ويُعدّ الخيال مجالاً خصباً لينقل ما يشعر به الشاعر في خبايا نفسه من مشاعر، وأحاسيس، وإيصاله إلى المتلقي عن طريق اللغة الشعرية التي تُعدّ من أدوات الصورة الشعرية.

"وأنّ الصورة الشعرية تتحول من مجرد صورة ذهنية عامة في ذهن الشاعر إلى صورة فنية واضحة حين تتوضح ملامحها، ومن ثمّ يرسمها بواسطة اللغة بعد أن يضفي عليها من ذاتيته وخياله."⁽²⁾

فما يميز الشعر عن غيره من الكلام المنثور قوة وعمق الصورة الشعرية، فالشعر صور يرسمها الشاعر بكلماته وعباراته وخياله من أجل بناء قصيدته على العكس من الكلام المباشر "المنثور" الذي لا يحمل بين طياته أي سمة فنية، فعندما يكون الخيال خصباً يكون الشعر أكثر وضوحاً وجمالاً وأقرب إلى نفس المتلقي، والسبب في ذلك أنّ الصورة تبعث الحياة والحركة في روح القصيدة فتخرجها من عجز اللغة وجمودها في التعبير والتصوير، و"الصورة هي التي تؤسس الدهشة والمفاجأة والحلم داخل العمل الشعري،"⁽³⁾ "والشاعر فنان يجسد

1- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، الناشر مكتبة الشباب، د.ط، 1988، ص391.

2- موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، بو جمعة بو بعيو، ص440.

3- دراسات في نقد الشعر، إلياس خوري، دار بن رشد، الطبعة الثانية، 1981، ص173.

رؤاه وأفكاره بخلق تراكيب لغوية معبرة عن تجربته بشكل فني لا يخرج عن إطار الخيال الشعري المنتج لتفاصيل الصورة الشعرية في القصيدة.⁽¹⁾

وعُني النقاد والبلاغيون العرب في القديم والحديث بدراسة الصورة الشعرية، ولعل السر في هذه العناية يرجع إلى كونها طرفاً بارزاً في النهوض بالشعر، فقد عرف العرب الصورة منذ فجر الشعر⁽²⁾ لدى تُعدّ من المكونات الأساسية، ونقطة يرتكز عليها الشاعر في بناء قصيدته المكونة من الألفاظ والعبارات، فلا نستطيع أن نتخيل وجوداً للشعر بدونها على مر العصور، "فالصورة وثيقة الارتباط بالخيال"،⁽³⁾ وهذه الحقيقة أدركها حسان بن ثابت، حين يروي في حديثه أن ابنه عبد الرحمن جاءه باكياً وهو يقول: "لَسَعْنِي طائر فقال حسان صِفْهُ يا بُنَيَّ فقال: كأنه مُلْتَقَّ في بُرْدَي حَبْرَةٍ وكان لسمعه زُبُور، فقال حسان: (قال ابني الشعر وربّ الكعبة)،"⁽⁴⁾ ولهذا يرى حسان أن التشبيه عنصر من عناصر الصورة الأساسية في الشعر.

" فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته، ومادته المهمة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه."⁽⁵⁾

"وللخيال دور مهم في حياة الإنسان، وبخاصة إذا احتكم إلى الشعور، وعبر عن انفعالاته النفسية وتجاربه المتنوعة في عمل فني، فإنّه يحتاج وقتئذ إلى قوة تسند اللغة إلى الحياة، وتكسيها معاني تصويرية، وقوة إيحائية"،⁽⁶⁾ "فالإبداع الشعري هو القدرة الفنية المتمكنة من عملية عصر التجارب الإنسانية التي تُملئها الحياة في اللقاءات الشعراء المباشرة معها، ومن أجل أن تكون هذه الالتقاءات ناضجة فلا بد أن يتسلح الشاعر بفهم وإح

1- ثنائية الموت والحياة في الشعر الليبي 1950-1969، حليلة الصادق العائب، منشورات شؤون ثقافية، الجماهيرية، د. ط، 2010.

2- الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث، شعر خليفة التليسي نموذجاً، نجاه عمار الهمالي، مجلس الثقافة العام، د. ط، 2008، ص 43.

3- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث السياب ونازك والبياني، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 25.

4- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ. ريتز، دار الكتاب للتراث العربي، د. ط، د. ت، ص 175.

5- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، ص؟؟؟

6- القصيدة الرومانسية في ليبيا 1937-1969، (دراسة نقدية تحليلية)، تهاني مفتاح راشد، ص 301.

لحركة التاريخ بكل ما فيه من غثٍّ وسمين، والوقوف على تطوره ودرجته وأسبابه تُقوِّي موقف الشاعر، وتثري تجاربه.⁽¹⁾ وهذا ما دفع بالباحثة للإشارة إلى بعض الصورة الشعرية عند السوسي من خلال قصائده:

أولاً التشبيه

المعنى اللغوي:

يتبين من تعريف ابن منظور للتشبيه أنه كلمة مأخوذة من شبه فيقول: الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيه: المثل، والجَمْعُ أشباه، وأشبهَ الشيءَ الشيءَ مائلاً، وأشبهتُ فلاناً، وشابهتُهُ، واشتَبَهَ عَلَيَّ، وتشابهَ الشَّيْئَانِ، واشتَبَها: أشبه كُلُّ واحدٍ مِنْهُمَا صاحِبَهُ وشَبَّهَهُ إِيَّاهُ، وشَبَّهَهُ بِهِ: مَثَّلَهُ، وَتَشَبَّهَ فُلَانٌ بِكَذَا، والتَّشْبِيهُ: التَّمَثِيلُ.⁽²⁾

المعنى الاصطلاحي:

التشبيه: هو صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر.⁽³⁾

وذهب أبو هلال العسكري إلى أن: "التشبيه هو: الوصفُ بأنَّ أحد الموصوفين ينوبُ منابَ الآخر بأداة التشبيه."⁽⁴⁾

وأكد قدامة بن جعفر "أنَّ أحسن التشبيه ما كان بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد."⁽⁵⁾

1- التصوير الشعري، التجربة الشعرية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، ص19.

2- لسان العرب، مادة (شبهه)، ج8، ص18.

3- التشبيه والاستعارة، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 2010، ص15.

4- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، 2004، ص227.

5- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 1956، ص124.

فمن تعريفات النقاد والبلاغيين ترى أنّ التشبيه تركيب لغوي، ووسيلة يتخذها الشاعر لإيضاح المعاني، والرابط بينهما؛ من أجل توصيل الفكرة التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقي سواء كان بأداة التشبيه أو غيرها، وكذلك الرابط بينهما في صفة من الصفات وجعلها مشتركة فيها.

وظهرت جهود النقاد والبلاغيين القدامى والمحدثين في الاهتمام بالتشبيه لعظمة مكانته عند الشعراء خاصة، وفي كلام العرب عموماً، مما جعل المبرد يقول: " التشبيه جارٍ كثيرٌ في كلام العرب، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد." (1)

وأنّ سبب اهتمام علماء البلاغة بهذه الصورة البيانية كثرة تناول التشبيه وشيوعه في قصائد الشعراء قديماً وحديثاً، فالتشبيه "أصل الخيال الشعري، وعماد التصوير البياني"، (2) ويغلب أنّ "يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، واقتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفاته"، (3) "وترد معظم صور البيان إليه، فالتمثيل نوع منه، والعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، إذ أنّ الشبيه أعَمّ والتمثيل أخص، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً، والفرق بينهما يرجع كما يرى عبد القاهر إلى وجه الشبه، إذ أنّه في التشبيه أمر بين ظاهر يدرك بحاسة من الحواس الخمس بينما هو في التمثيل خفي غير ظاهر، ولا يدرك إلّا بتأويل عقلي محض، وبالفكرة في القلب." (4)

وتناول البلاغيون التشبيه الظاهر الذي يدرك بالحواس الخمس، وغير الظاهر ما يسمى بالتمثيل والخيال، "ولمّا كان التخيل يرتبط عندهم بالحس والتشبيه قسم منه اشترطوا فيه بجميع أقسامه وأنواعه أنّ يرتبط

1- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي، منقحة عن: أحمد محمد كنعان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص79.

2- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، د. ط، 1996، ص153.

3- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص124.

4- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: السيد محمد رشيد رضى، ص103.

بالمحسوسات،⁽¹⁾ وفَسَّر حازم القرطاجني التشبيه على أنه محاكاة حيث يقول: "وينبغي أن تكون المحاكاة على الوجه المختار بأمر موجود لا مفروض، وينبغي أن تكون المحاكاة في الأمور المحسوسة."⁽²⁾

فالخيال دوره فعّال في صنع الصورة التشبيهية في كل العصور، ولم يقتصر على العصر القديم دون غيره من العصور، وذهب الناقد العربي القديم عبد القاهر الجرجاني إلى أن "الصنعة إنما تمد باعها، وتنتشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويدعي الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، وحيث يقصد التلطف والتأويل ... وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يُبدع ويزيد، ويبدى في اختراع الصور ويعيد، ويصادف مضطرباً كيف شاء واسعاً، ومدداً من المعاني متتابعاً."⁽³⁾

"فالتشبيه تصوير يكشف عن حقيقة الموقف الشعوري أو الفني الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع، كما يرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل ترمي إلى الربط بينهما في حالة أو صيغة، أو وضع يكشف جوهر الأشياء، ويجعلها قادرة على نقل الحالة الشعورية، أو الخبرة الجمالية التي امتلكت ذات الشاعر، وسيطرت على أدواته."⁽⁴⁾

"ومن ثم فقد اشترطوا في التشبيه المقاربة ووضوح العلاقة بين المشبه والمشبّه به وقد أدى بهم هذا إلى رفض الغموض والإبهام فيه الذي يكون مبعثه في كثير من الأحيان، عدم وجود علاقة واضحة بين المشبه والمشبّه به،⁽⁵⁾ ولهذا فإنّ "العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات، ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهب إليه في معانيها التي أرادتّها."⁽⁶⁾

1- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، ص154.

2- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986، ص112.

3- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص250-251.

4- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص40.

5- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، ص155.

6- عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: محمد زعلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، د. ط، د. ت، ص10.

"ولأهمية التشبيه وأصالته في التصوير البياني فقد غني أسلافنا من النقاد بدراسته والبحث عن الصلات التي تربطه بغيره من صور البيان، محاولين الكشف عن العلل الجمالية، وراء هذه الصورة البيانية."⁽¹⁾

والصورة تحمل بين طياتها شعوراً عارماً يعبر فيه الشاعر عن لحظة انفعال مشاعره الفياضة تجاه موقف من مواقف الحياة، التي تعتري الإنسان من فرح أو حزن، وعندما يريد الشاعر أن يوضح ذلك الموقف للناس استعمل التصوير؛ ليبين أحاسيسه ومشاعره تجاه ذلك الحدث، فيتأثر كل من المتلقي أو القارئ بما شعر به الشاعر، فيشاركه بذلك الإحساس والمشاعر.

وللشاعر حسن السوسي خيال خصب، ومهارة شعرية قوية جعلته يحس بما حوله حتى صارت له القدرة على تصوير الأشياء المتباعدة بتقارب صفاتها، وجعلها واضحة جلية للمتلقي أو القارئ، وامتناز بأسلوبه الشعري الرفيع، وخياله الخصب، وميله إلى الوضوح وعدم الغموض، وتشبيهاته تبين مدى فهمه لرسالة الشاعر المجدد، الذي عمل من أجل جعل شعره صورة حقيقية.

فنجد التشبيهات عند السوسي متعددة ومتراصة بنسبة منطقية بين الأطراف المقارنة لا يهدف بها المفاضلة بين طرفي التشبيه، بل الترابط بينهم لإيصال الحالة الشعورية، ووضع اهتمامه على المشابهة الحسية، والنفسية، والعقلية التي تربط بين المشبه والمشبّه به أي طرفا التشبيه في علاقة مقارنة كتشبيه المحسوس بمحسوس، أو المعنوي بمعنوي، أو المحسوس بمعنوي، أو المعنوي بمحسوس.

كما اهتم بأداة التشبيه سواء كانت حرفاً، أو اسماً، أو فعلاً- التي تعمل على عقد المشابهة بين طرفي التشبيه، ويراد منها المبالغة في تصوير مشاعره الداخلية.

أمّا عن وجه الشبه كثيراً ما يحذف في قصائده، ولكن يدركه القارئ الفطن من خلال طرفي التشبيه (المشبّه والمشبّه به).

1- تاريخ النقد العربي، محمد زعلول سلام، دار المعارف، مصر، د. ط، 1964، ص49.

ويُعدّ وجه الشبه أداة فنية يستخدمها الشاعر لتصوير وحدة الأثر النفسي بين الأشياء المحسوسة، فمن خلالها تمتزج رؤية الشاعر بصورة الواقع الخارجي، وانطباعها في نفس الشاعر في إطار عملي متكامل، إذاً هي وسيلة لتجسيد ما في نفس الشاعر من أحاسيس ومشاعر.⁽¹⁾

واتكأ الشاعر السوسي في رسم أبعاد تجربته الشعرية على التشبيه، وتتوعدت أساليب استخدامه للتشبيه ما بين إخفاء الأداة وإظهارها، وعلى الرغم من هذا التنوع في أدوات التشبيه ما بين الحرف، والاسم، والفعل إلا أنّ الشاعر ركّز في تشبيهه على حرف (الكاف) و(كأن) أكثر من الاسم والفعل في قصائده على مختلف دواوينه. واختارت الباحثة مجموعة من النماذج الشعرية للسوسي لتكون منطلقاً لدراساتها حول الصورة الشعرية (التشبيه)، ولقد شكّل السوسي صوراً عديدة في قصائده مستندة إلى التشبيه بأدوات التشبيه أو بما في معناها.

أولاً: التشبيه بأدوات التشبيه.

1. التشبيه بالحروف:

أ. التشبيه بـ (الكاف):

أكثر الشاعر من استخدام حرف (الكاف) للتشبيه في قصائده على اختلاف دواوينه فكان حرف (الكاف) أكبر نسبة من (كأن).

قال الشاعر:

تَسْلَلُ كَالسُّرَاقِ فِي عَسَقِ الدُّجَى وَقَدْ أَدَجَنَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَعَتَمَا⁽²⁾

يشبّه الشاعر العمل الإجرامي التي قامت به كلاً من أمريكا وبريطانيا الغاشمة في غارتها على مدينتي طرابلس وبنغازي بالسُّراق الذين يتسللون وسط ظلام الليل الحالك.

1- انظر: التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 63.

2- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص 134.

واستخدم الشاعر حرف (الكاف) أداة للتشبيه، والمشبّه محذوف من البيت وجيء بأحد لوازمه (تسلل) قاصداً به كلاً من أمريكا وبريطانيا أعدائنا، والمشبّه به السّراق في غسق الدجى وحذف وجه الشبه وهو اشتراكهما في الإساءة والإيذاء والترويع، وطرفا التشبيه حسيان مفردان، بينما نوع التشبيه مرسل مجمل.

كما حذف المشبه وجيء بأحد لوازمه ليدل عليه في قوله:

هَوَى كَسُوسَنَةٍ فَيَحَاءَ قَدْ عَصَفَتْ بِهَا الرِّيحُ وَهَزَّتْ غُصْنَهَا الرُّطْبَا⁽¹⁾

يتقن الشاعر في براعة تصويره لواقعة ابن الدرة حين قتلته إسرائيل وهو خلف أبيه، وشبه الشاعر موقف سقوط ابن الدرة ميتاً بالسوسنة التي اقتلعتها الرياح؛ بسبب عدم قدرتها على مواجهة هذه العاصفة، وأداة التشبيه التي استخدمها الشاعر في تشبيهه هو حرف (الكاف)، والمشبّه فاعل (هوى) قاصداً به ابن الدرة، والمشبّه به السوسنة أي نوع من الورود، ووجه الشبه بينهما الضعف وعدم القدرة على مواجهة ظروف الزمن، وهو محذوف، وكان طرفا التشبيه حسيان مفردان، بينما نوع التشبيه مرسل مجمل.

ويعمد الشاعر إلى حذف المشبه ويأتي بأحد لوازمه كما في قوله:

لَكِنْ عَزَمِي لَمْ يَزَلْ كَالسَّيْفِ مَضْجُولاَ مَتِيناً⁽²⁾

فهو يشبه ابن فلسطين الذي لا يزال عزمه وقادراً تجاه وطنه المحتل بالسيف، جاء الشاعر بأداة التشبيه (الكاف)، والمشبّه محذوف وجيء بأحد لوازمه (عزمي) قاصداً من ورائه ابن فلسطين المشرّد، والمشبّه به السيف، ووجه الشبه حذف فيكون التشبيه مرسلًا مجملًا، والمشبّه والمشبّه به اشتراكا في إظهار قوة عزمه، ومروءته، وإصراره، وثباته على مواصلة التحرير فطرفا التشبيه الأول نفسي والثاني محسوس مفردان.

ويكثر السوسي من حذف وجه الشبه في أغلب قصائده، ليسمو بالتشبيه، فالمتلقي أو القارئ يفهمه من سياق الكلام حين يقول:

فَانْبُؤُوا الْبِنَاءَ مَتِينَةً أَرْكَانُهُ كَالطُّودِ لَيْسَ يَهْزُهُ الْإِعْصَارُ⁽¹⁾

1- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص165.

2- ديوان الركب التائه، حسن السوسي، ص92.

يصور الشاعر البناء الذي بناه أبطال وأحرار أمته، ووقوفهم درعاً قوياً أمام إسعاد أمتهم والإخلاص لها، فشبه هذا البناء بالجبل الراسخ الذي لا تهزه رياح الغدر، ووسيلته للتشبيه الأداة (الكاف)، والمشبّه البناء، والمشبّه به الطود أي بمعنى الجبل، أمّا وجه الشبه فمحذوف، وتستطيع أن تدرك وجه الشبه بين المشبه والمشبّه به من سياق الكلام الذي يدل على الثبات وقوة الإرادة، وطرفا التشبيه حسيان مفردان.

ويشبه الشاعر الشيء بالشيء هيئة وصورة في قوله :

" الْأَخْضَرُ الرَّاهِي الْمُبَارَكُ حَوْلَهُ " " كَالْأَطْلَسِ الْمُتَأَلِّقِ الْمَرْيَانِ " (2)

فالشاعر يشبّه الجبل الأخضر في ليبيا بالجبل الأطلس في المغرب الأقصى في تألقه وروعة منظره الأخضر على طول السنة، حيث جعل الشاعر حرف (الكاف) أداة للتشبيه، والمشبّه الجبل الأخضر، والمشبّه به الجبل الأطلس، وحذف وجه الشبه فنذكره من خلال المشبه والمشبّه به فتظهر صورة الجمال الذي يبعث السرور والارتياح عند النظر إليهما، وطرفا التشبيه حسيان مفردان، وكان التشبيه مرسلاً مجملاً.

ب. التشبيه بـ (كأن):

التشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف لما فيه من التوكيد لتركيبها من: الكاف وأنّ، ويليهما المشبه. (3)

وتصدرت أداة التشبيه (كأن) أول البيت في قول الشاعر:

كَأَنَّكَ نَسْرٌ فِي فَلَاةٍ مَرْئِقٌ جَنَاحَاهُ طَوْدٌ شَامِخٌ وَكَثِيبٌ (4)

جسد الشاعر صورة الواحة في لوحة فنية من لوحاته الشعرية، حين شبه واحة الكفرة بالنسر الذي أفرد جناحيه فوق كثبان الرمال، واستخدم الشاعر أداة التشبيه كأن، والمشبّه محذوف وجاء بأحد لوازمه كاف الخطاب في كأنك قاصداً به واحة الكفرة، والمشبّه به النسر، أمّا وجه الشبه فقد حُذف ويمكن إدراكه من سياق الكلام، وهو

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص24.

2- ديوان الفراشة، حسن السوسي، ص 72.

3- انظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، المراغي أحمد مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص232.

4- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص87.

يتمثل في ثبات وعلو وعظمة مكانتها في قلب الشاعر، وكان طرفا التشبيه محسوس بمحسوس مفرد، وهو تشبيه مرسل مجمل.

ويصور الشاعر الأرض الخضراء التي كستها ألوان الورود المختلفة في فصل الربيع وهي تميل مع الرياح كأنها أمواج بحر في قوله:

وَرَوْضَةٍ جَادَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ
فَنَبْثُهَا مِنَ النَّعِيمِ أَسْمَرُ
كَأَنَّهُ بَحْرٌ بِمَوْجٍ يَزْخَرُ⁽¹⁾

حيث شبه نعيم الروضة الأسمر بالبحر الذي يزخر بأواجه ذات اللون الأزرق تمثله أداة التشبيه في الحرف (كأن)، والمشبه النعيم الأسمر بتمواج ألوانه، والمشبه به البحر الزاخر بأواجه المتلاطمة، وحذف وجه الشبه بل ندركه مما يدور في نفس الشاعر من صور جمالية لذلك المكان، وطرفا التشبيه حسيان مفردان، أما التشبيه فمرسل مجمل.

وقد يكون سبيل الشاعر في التشبيه اعتماده على طرفين عقليين كقوله:

تَصَوَّرَتِ الْمَحَاسِنُ فِيكَ حَتَّى
كَأَنَّكَ مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ قِسْمُ⁽²⁾

يشبه الشاعر محاسن الجبل الأخضر بجنان الخلد من جمال منظره، واتخذ (كأن) أداة للتشبيه، والمشبه الجبل، والمشبه به جنات الخلد، وحذف وجه الشبه من النص، ولكن أدركناه من طرفي التشبيه وهو اشتراكهما في روعة وحسن المنظر لشدة اخضراره.

وصورة جميلة رسمها الشاعر في تشبيهه لنخيل وطنه في ثباته وصموده متحدياً ظروف الزمن حين قال:

وَقَفَّتْ بِقَامَاتِ الْجُنُودِ وَعَزَمَهَا
فَكَأَنَّهَا حَرَسٌ مِنَ الْأَجْنَادِ⁽³⁾

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص124.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص17.

3- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص12.

وهنا شبه الشاعر وقوف النخيل بالجنود الذين يسهرون لحماية بلادهم من الأعداء، واستخدم الشاعر أداة (كأن) للتشبيه، والمشبه نخيل الوطن، والمشبه به حراس من الأجناد، ووجه الشبه محذوف ويمكن إدراكه من المشبه والمشبه به وهو اشتراكهما في الوقوف، والصمود أمام تحديات الزمن، وكلاً من المشبه والمشبه به حسيان، والتشبيه مرسل مجمل.

وأراد الشاعر أن يوضح ما كانت عليه أمة العرب في الماضي من وحدة واحدة، ليصور لنا حالة الفرقة والضعف التي تمر بها أمة العرب اليوم إذ يقول:

وَكَانُوا وَكَانُوا ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ عَلَى رُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ رُخٌّ وَيَبْذُقُ⁽¹⁾

شبه الشاعر أمة العرب في تباعدها وتجزئتها بلوحة الشطرنج، بسبب ما وضعه الأعداء من حدود مصطنعة بينهم، واستدل بأداة التشبيه كأن، والمشبه العرب، والمشبه به رقعة الشطرنج، وحذف وجه الشبه من البيت، فنذكره من طرفي التشبيه وهو التجزئة والبعد على الرغم من وجود الارتباط الوثيق بين أبناء الأمة العربية، أي وضع الحدود المصطنعة بين أبناء الأمة العربية كوضعها على رقعة الشطرنج، وطرفا التشبيه حسيان، والتشبيه مرسل مجمل.

2- التشبيه بالأسماء:

تُعد كلمة (مثل) اسم من الأسماء التي اتخذها الشاعر أداة لغرض التشبيه.

ويشير الشاعر في هذه الصورة التشبيهية إلى إشهار أصله، في قوله:

عَرَبِي الرُّوحِ وَالْقَلْبِ أَنَا نَسْبِي مِثْلَ النُّجُومِ النِّيَرَاتِ⁽²⁾

شبه نسبه العربي الأصيل الواضح المعروف بالنجوم التي تتلألأ في السماء نوراً وضياءً، فالاسم (مثل) جعله الشاعر أداة تتضمن معنى التشبيه، والمشبه نسبه العربي والمشبه به النجوم النيرات، وحذف وجه الشبه وهو

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص10.

2- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص10.

اشتراكهما في علو المكانة وطهارة الأصل وسطوعه، وجاء طرفا التشبيه الأول المشبه نفسي والثاني المشبه به محسوس مفردان، بينما التشبيه مرسل مجمل.

وظّف الشاعر في هذا البيت أداة التشبيه (مثل) التي تؤدي معنى التشبيه في قوله:

قَدْ ذَاقَهُمْ فَإِذَا بِهِ فِي حَلْقِهِ مِثْلَ الشَّجَى فِي الْحَلْقِ بَلَّ هُمْ نَارٌ⁽¹⁾

شبه الشاعر أبطال الجزائر (بالغصة) الشجى الذي يتعرض حلق الاستعمار مبرزاً للمثل الشعبي الذي يقول فيه (مثل الشوكة في حلقه)، واستعمل الشاعر الاسم (مثل) أداة للتشبيه، والمشبه أبطال الجزائر، والمشبه به الشجي وهي الغصة، وحذف وجه الشبه، ولكن نستشفه من خلال المشبه والمشبه به وهو اشتراكهما في عمق الألم والعذاب، وعدم الارتياح الذي يعانيه العدو من أبطال الجزائر، وطرفا التشبيه حسيّان مفردان، والتشبيه مرسل مجمل.

وعمد الشاعر حسن السوسي إلى ذكر وجه الشبه ليسمو بالتشبيه، ويكون التشبيه مرسلأ مفصلاً حين يقول:

وَبِوَجْهِكَ الْعَرَبِيّ تُشْرِقُ غُرَّةٌ لِلْعُربِ مِثْلُ الْفَجْرِ فِي الْإِشْرَاقِ⁽²⁾

شبه الشاعر دمشق (سوريا) بالفجر لما حققته من أمجاد لم تحقّه أمة غيرها تمثله أداة التشبيه في الاسم (مثل)، وتكون المشبه دمشق، والمشبه به الفجر، ووجه الشبه بينهما الإشراق والتلألؤ والوضوح، وطرفا التشبيه حسيّان مفردان.

3- التشبيه بالأفعال:

هناك أفعال تفيد في غرض التشبيه، حيث استخدمها الشاعر أداة للتشبيه نحو (يشبه) و(ظن). والفعل (يشبه)

يؤدي معنى التشبيه لذا وظّفه الشاعر في قوله:

1- ديوان الركب التائه، حسن السوسي، ص95.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص12.

وَنَسِيْمُهَا فِي الصَّيْفِ يُشْبِهُ رَقَّتِي وَطَلَّاقَتِي كَطَّلَاقَةِ الْغُـذْرَانِ⁽¹⁾

شبه الشاعر نسيم مدينة المرج في فصل الصيف برقته وطلاقة أي رحمته وسماحته، فالفعل (يشبه) أدى معنى التشبيه ويكون المشبه نسيم مدينة المرج، والمشبه به رقة وطلاقة الشاعر، وحذف وجه الشبه الذي أدركناه من أثر النسيم من رقة وانبساط، وما بعثه في النفس من ارتياح واطمئنان، وكان طرفا التشبيه محسوساً بنفسى مفردين، بينما التشبيه مرسلًا مجملًا.

ويعمد الشاعر إلى حذف وجه الشبه من البيت ليزيد من جماله، فيكون التشبيه مرسل مجمل حين يقول:

بَعْضُ الْمَدَائِنِ أَهْلُهَا وَفِعَالُهَا فِي الْقَلْبِ يُشْبِهُ مِثْقَبَ الْخَرَّازِ⁽²⁾

يشبه الشاعر أهل مدينة بنغازي لما يتصفون به من حسن المعاملة بمثقب الخراز، فالفعل (يشبه) يؤدي معنى التشبيه، والمشبه أهل مدينة بنغازي، والمشبه به مثقب الخراز، وجه الشبه تميزهما بروح الأصالة التي تطرب إليها القلوب فتدخل محبتها في القلب كما تتساب الإبرة في الثوب بينهما من سهولة دخول هذه المدائن وأهلها كسهولة دخول الإبرة في نسيج الثوب، بالإضافة إلى جمال أفعال هذه المدائن التي تحاكي جمال التطريز في الثوب ومنعكسة جمال النفس وجمال منظره الخلاب، وطرفا التشبيه حسيان مفردان، فيكون التشبيه مرسل بوجود الأداة، مجمل بحذف وجه الشبه.

كما وظّف الشاعر الفعل (ظنّ) للتشبيه في قوله:

هِيَ هَاتِ قَصَرَ عَنْ مَدَارِكِ كُلِّ مَنْ ظَنَّ الْكَوَكِبَ سَهْلَةً الْإِخْرَارِ⁽³⁾

فالشاعر شبه مدينة بنغازي بالكوكب البعيد الذي لا يستطيع أحد الوصول إليه، والمشبه مدينة بنغازي، والمشبه به الكواكب، وأداة التشبيه الفعل (ظنّ)، ووجه الشبه محذوف وهو يشير إلى علو مكانة بنغازي على باقي المدن الأخرى من حسن وطيب المعاملة وجاء طرفا التشبيه حسي مفرد، والتشبيه مجمل لحذف وجه الشبه.

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص33.

2- المصدر السابق نفسه، ص47.

3- المصدر السابق نفسه، ص47.

ثانياً: التشبيه بغير أدوات التشبيه.

تحذف أداة التشبيه سواء كانت حرفاً أو فعلاً أو اسماً من النص، فنجد الشاعر حذف أداة التشبيه من الصورة

التشبيهية في البيت عند قوله:

وَمَشَوْا إِلَى مَا يَطْلُبُونَ ضِرَاعَ مَا لَا النَّارُ تُرْهِبُهَا وَلَا الْإِعْصَارُ⁽¹⁾

شبه الشاعر أبطال الجزائر بالأسود التي لا ترهبها النار ولا الرياح العاتية في سبيل استقلال بلادهم، حيث جعل أبطال الجزائر المشبه، وضراعما المشبه به، بينما أداة التشبيه محذوفة، وحذف وجه الشبه كذلك وهو يتمثل في الثورة على الأعداء من أجل الانتقام، وتجد أنّ طرفي التشبيه حسيان مفردان، وهو تشبيه مؤكد مجمل.

وجاء التشبيه مؤكد مجمل في قوله:

وَرِمَالُ شَاطِئِهِ نُتَارَةٌ عَسَجِدٍ وَنَخِيلُهُ ظِلٌّ عَلَى الْـرُّوَادِ⁽²⁾

شبه الشاعر رمال الشاطئ في وطنه وهي تتلأأ وتبرق كالذهب والجواهر، حذف أداة التشبيه من البيت، والمشبه رمال الشاطئ، ويكون المشبه به عسجد، ووجه الشبه محذوف، ولكن نستشفه من خلال طرفي التشبيه من التلألؤ والبريق عند انعكاس ضوء الشمس عليه، وطرفا التشبيه حسيان مفردان.

وبحذف الأداة ووجه الشبه يكون التشبيه مؤكداً كما في قوله:

سَنَعُودُ يَا وَطَنِي الْحَبِيبُ
إِلَيْكَ إِنَّا عَائِدُونَ
فَالِلَيْثُ لَنْ يَنْسَى الْعَرِيْنَ
وَإِنْ يَكُنْ تَرَكَ الْعَرِيْنَ⁽³⁾

شبه الشاعر أهل فلسطين بالأسود التي لن تنسى وطنها، وهم مصرّون على العودة مهما طال الزمن، فلن يتركوه لغيرهم من المعطيات الواردة في البيت وجود المشبه (نا) الفاعلين العائدة في دلالتها على أهل فلسطين، والمشبه

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص23.

2- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص12.

3- ديوان الركب التائه، حسن السوسي، ص92.

به الليث، بينما أداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه محذوف كذلك وهو الإصرار والعزيمة على العودة واسترجاع ما سلب منهم، وطرفا التشبيه حسيّان مفردان.

لوحظ من خلال البحث بعد أن اطلعنا على قصائد الشاعر حسن السوسي أن التشبيه بالحروف (الكاف) (وكان) أكثر استعمالاً من التشبيه بأدوات التشبيه الأخرى كالتشبيه بالأسماء، والتشبيه بالأفعال.

ثانياً: الاستعارة.

اهتم الكثير من الباحثين بدراسة موضوع الاستعارة لما لها من أهمية بارزة في تشكيل العمل الأدبي، وهي إحدى أدوات الصورة الشعرية في العمل الأدبي، فالاستعارة عنصر بلاغي لا تقل أهمية عن التشبيه، بل تفوق وهي وسيلة من وسائل التعبير البياني، "ولون من ألوان المجاز".⁽¹⁾

"وتعدّ الاستعارة من أعظم أدوات رسم الصورة الشعرية، ومعيّاراً تقاس به إمكانات الشاعر المؤهلة لخوض غمار التجربة الشعرية، التي يصدق بها إحساسه وتنبض بها مشاعره. إنّها جوهر الشعر، ومحكّ مقدرة الشاعر؛ لما لها من شأن كبير في اللغة عامة، والشعر خاصة،⁽²⁾ "كما تعتبر الاستعارة تعميقاً للتشبيه؛ لأنّ التشبيه في الوقت ذاته أساس الاستعارة التي يدل فيها على خصب الخيال وسموه وسعته وعمقه، كما يظهر قدرة الشعراء على تمثيل المعاني والتعبير عنها في صورة جذابة".⁽³⁾

المعنى اللغوي:

عرّف ابن منظور الاستعارة في كتابه، في مادة "عور" حين قال: "وَتَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ. وَاسْتَعَارَهُ الشَّيْءُ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ، وَقِيلَ: مُسْتَعَارٌ بِمَعْنَى مُتَعَاوَرٍ، أَيْ مُتَدَاوِلٍ".⁽⁴⁾

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص85.

2- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص263.

3- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، فريدة زرقون نصر، ص516.

4- لسان العرب، ابن منظور، مادة عور، ج10، ص334.

المعنى الاصطلاحي:

تتعدد تعريفات البلاغيين للاستعارة كل حسب رؤيته حول نقل المعنى إذ عرّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "إعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية."⁽¹⁾

وعلى حد تعبير صاحب الوساطة بقوله: "إنّما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها."⁽²⁾

وذهب أبو هلال العسكري إلى أنّها: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره."⁽³⁾

وإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات التي وضعها هؤلاء النقاد والبلاغيون للاستعارة وجدناها متقاربة من حيث المحتوى والمضمون، فمنها يتضح أنّ الاستعارة في أساسها تقوم على "الانتقال من اللغة المباشرة إلى اللغة الإيحائية"،⁽⁴⁾ (الخيال)، وأنّ العلاقة التي تربط بين الدلالة الحقيقية والدلالة الخيالية هي علاقة المشابهة.⁽⁵⁾ واقتصر دور الاستعارة لدى القدماء على أن تكون شرحاً للمعنى وإيضاحاً له أو تأكيداً له ومبالغة فيه أو تحسيناً وتزييناً.⁽⁶⁾

"أما حديثاً فإنّ النظر إلى مفهوم الاستعارة وماهيتها، والدور الذي تؤديه يختلف باختلاف النظر إلى ماهية الشعر نفسه، فأصبح الاتكاء عليها واضحاً، فعندما لا تسعف اللغة المعيارية المبدع في التعبير عن تجاربه

1- أسرار البلاغة، للإمام العلامة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ . رتير، ص29.

2- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، د.ت، ص41.

3- كتاب الصنائع، أبو هلال العسكري، ص 268.

4- الاتجاه الرومانسي، قرية زرقون نصر، ص315.

5- انظر: الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، زكية خليفة مسعود، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1999، ص253.

6- انظر: كتاب الصنائع، أبو هلال العسكري، ص268.

الشعورية، وعندما لا يجسد التعبير المؤلف المكنون، ولا يستجيب الخطاب المباشر للمتواري المخبأ، هنا لابد من انتهاك لمعجمية اللغة، ولابد من تحويل لمسارها المتواتر نحو مسار جديد، ولا مناص من كسر نظامها الدلالي القائم على الملاءمة بين اللفظ والمعنى من أجل تجاوز الخطابية لتحقيق شعرية اللغة التي تتحقق بكسر المعيارية بحيث لا تعدم فيها الفكرة ولا تلغي فيها العاطفة.⁽¹⁾

"وعلى ذلك فإنّ الاستعارة صورة فنية تتكون من أطراف حسّية، ومشحونة بمشاعر إنسانية، تتجلى فيها عبقرية الشاعر الإبداعية في الكشف عن العلاقات الخفية بين الأشياء من خلال الرؤية الخاصة التي أفرزتها تجاربه الشعرية،"⁽²⁾ ولهذا يُعدّ لجوء الشاعر إلى استخدام الاستعارة من أجل تصوير مشاعره وأحاسيسه ومن ثمّ يجسدها في صورة فنية ليظهر ما يخفيه بين خلجات صدره في صياغة شعرية جمالية تتال إعجاب المتلقي أو القارئ، وبذلك يكون للاستعارة دور مهم في بناء الصورة الشعرية، ويبرز هذا الدور في تقريب المعنى إلى المتلقي من خلال السياق، وبها يتم إمتاع النفس بما تسمعه فتتدوّقه.

وهكذا يبدو أنّ للاستعارة أهمية بالغة في العمل الأدبي فهي وسيلة من الوسائل البيانية لإدراك الحس الجمالي في العمل الشعري، وهذا ما يؤكدّه الدكتور محمد مندور من أهمية الاستعارة في الشعر قائلاً: "فالاستعارة أمر أصيل في الشعر، بل نكاد نقول إنّها خيوط نسجه، وهي منه كالنحو من اللغة، وكما اطردت اللغات قبل أن يعرف متكلميها القواعد ويفطنوا إلى وجودها، كذلك صدر الشعراء عن الاستعارة بفطرتهم دون معرفة نظرية ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها، ولهذا جاءت معظم الاستعارات القديمة صادقة لأنّ ملكة الشعر انتزعتها من طبائع الأشياء، أو على الأصح لأنّ الأشياء أملتّها على الشعراء دون أن (يصنعوا) هم شيئاً."⁽³⁾

1 - الصورة الفنية في شعر علي الفزاني، مسعود عبد الله مسعود، ص 98 - 99.

2- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 83.

3- النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د. ط، د. ت، ص 51.

وقسّم البلاغيون والنقاد الاستعارة إلى قسمين هما:

أولاً: الاستعارة اللغوية: "ونعني بها تلك الأساليب اللغوية التي رُكبت تركيباً استعارياً، يعتمد على التشابه الخارجي بين الأشياء، دون غرض فني، لتبيين أو لتوضيح معنى شيء من الأشياء، أو هيكله، أو حجمه." (1)

ثانياً: الاستعارة الفنية: "وهي تلك الاستعارة التي تُعنى بالتقاط الأحاسيس الشعرية، وتصويرها تصويراً غير محدد الدلالة، وهي القادرة على الغوص في أعماق الشاعر وفي ردهات نفسه لانتشال ما غمض من أحاسيسه وانفعالاته." (2)

كما قسّم البلاغيون الاستعارة الفنية إلى: (تحقيقية - تخيلية).

1- الاستعارة التحقيقية: "تعود إلى شيء محقق في الواقع." (3)

2- الاستعارة التخيلية: "تُبنى على خيال مجتّح، يعلو فوق الواقع، وإن كان نابعاً منه، وعائداً إليه." (4)

كما تعتمد الاستعارة على الخيال فهو عنصر مهم في النص الأدبي، لِمَا له من دور أساسي وفَعَال في إظهار روعة وجمال الصورة الفنية حتى تؤدي هدفها في التعبير، وأنّ للصورة الاستعارية ارتباطاً وثيقاً يربط بين إحساس وانفعال الشاعر لِمَا لها من بعد خيالي ونفسي يعبر فيه الشاعر من خلالها عما يحس به من ألم وحيرة أو فرح وسرور، يعبر عن حالته النفسية فتحرك كوامن وجدانه الدفينة، ولذلك نال الخيال الشعري حظاً كبيراً في شعر حسن السوسي ومرده إلى ما يتمتع به الشاعر من قوة إحساسه وشعوره وخصوبة خياله الشعري، فتكتظ استعارات السوسي بالخيال الخصب والعاطفة الجياشة.

وحظيت الاستعارة باهتمام الشعراء في الشعر العربي القديم، فكان حافلاً بالصور الاستعارية كما هو الحال عند شعراء العصر الحديث "ففي الشعر الحديث والمعاصر أصبحت الاستعارة ذات بُعد خيالي أكثر مما كانت عليه في الشعر القديم، وأصبح الشاعر الحديث يوظف الاستعارة لتساعده على خلق عمل شعري متناسق

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 89.

2- المرجع السابق نفسه، ص 89.

3- المرجع السابق نفسه، ص 93.

4- المرجع السابق نفسه، ص 93.

ومتربط الأجزاء من جهة، ووسيلة من الوسائل التي تساعد على التعبير عما يحسه في أعماق نفسه من خواطر وأحاسيس وجدانية من جهة أخرى.⁽¹⁾

وهنا بعض الصور الاستعارية التي وظفها الشاعر حسن السوسي في شعره والغاية منها هي محاولة الوصول إلى أبرز ملامح التجديد في شعره في هذا البحث. فبتتبع شعره تجده حافلاً بالكثير من الصور الاستعارية والتي جاءت على الأنماط الآتية:

1. الاستعارة الفنية:

لجأ الشاعر في بناء استعاراته إلى الصورة الجمالية ممّا آل إليه، لإبراز أفكاره اللامحدودة، والتي تعمل على إظهار ما تخفيه خوالج نفسه.

يقول:

و"قَاسِيُونُ" مَشَى وَاهْتَرَّ مِنْ طَرَبٍ يُصَافِحُ "الأخضر" الزَّاهِي وَيَلْتَزِمُ
هَذَا وَذَلِكَ .. قَدْ جَاشَتْ شُؤْنُهُمَا فَفِي عُروِقِهِمَا يَهْفُو دَمٌ وَدَمٌ⁽²⁾

صور الشاعر كلا من جبل "قاسيون" والجبل "الأخضر" في صورة استعارية جميلة، حيث تمّ تشبيه "قاسيون" ذلك الجبل بالإنسان الذي يمشي ويرقص فرحاً وطرباً، وهو يصادف الجبل "الأخضر" المشرق بألوانه الزاهية، فأضفى الشاعر صفة المشي والمصافحة على الجبلين وهما خاصيتان ترتبطان بالإنسان فالمشي صفة الكائن الحي من إنسان وحيوان، بينما المصافحة صفة بشرية بحتة إلا أنه استعار هذه الصفات ليضيفها على بعض عناصر الطبيعة لجعله لصيقة بها، وهذا يوحي إلى تعلقه بأحضان الطبيعة واتساع خياله.

وتزداد الصورة الاستعارية جمالاً في البيت الثاني حين جعل لهذين الجبلين عروق تجري فيها الدماء كعروق الإنسان ليعبر عما يحس به من حالة نفسية يعيش لحظاتها في جو نفسي يملأه الفرح والسعادة والانبساط وهو يرمز بذلك إلى الوحدة العربية بين سوريا وليبيا.

1- موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، بو جمعة بو بغيو، ص455.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص13.

وللاستعارة ثلاثة أركان "يُسمى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً".⁽¹⁾

ومن الصور الاستعارية قوله:

الصَّيْفُ نَبَّهَ فِي صَمِيمِ كَيَانِي مُقَلًّا مِنَ الْأَمَالِ وَالْأَشْجَانِ⁽²⁾

يظهر من ارتباط المستعار بالمستعار له، وهنا التنبيه يرتبط بالإنسان، ولكن الشاعر أسنده إلى الصيف، "فجمال هذه الصور الاستعارية يتجلى في كون الشاعر أبدع في تشكيلها وكونه ينظر إلى الأمور نظرة عميقة تعبر عن وجدانه، وعن رؤيته الخاصة".⁽³⁾

وفي صورة استعارية جمالية أخرى يعبر فيها الشاعر عن جمال شروق الشمس وهو مظهر من مظاهر الطبيعة حيث يقول:

صَحَّتِ الشَّمْسُ	بَعْدَ الْعَفْوَةِ
وَبَدَتْ تَحْبُو	خَلْفَ الرَّبْوَةِ
حَلَّ النُّورُ	بَعْدَ الظَّلْمَةِ
وَسَرَى الضُّوْءُ	بَعْدَ الْعَتَمَةِ
فَنَمَا الْعُشْبُ	وَجَرَى الظُّلُّ
وَهَفَا الزَّهْرُ	وَصَحَا الطِّفْلُ ⁽⁴⁾

اتخذ الشاعر أسلوب التشخيص لإظهار صورة استعارية جميلة من خلال إعطاء الأشياء المجردة صفات الكائن الحي المتمثلة في (الشمس، والضوء، والظل) مستخدماً الأفعال (صحت، بدت، سرى، جرى) لما تحمله بين طياتها من دلالات الإحساس والحركة والحياة، ويرجع ذلك إلى انسجام الشاعر وتعلقه بالطبيعة، وقوة ارتباطه بالواقع الذي يعيشه، مصوراً حركة شروق الشمس في صورة تشخيصية لحركة الطفل الذي صحا من نومه، وهذا دليل على قوة الإدراك عند الشاعر وقدرته على الإحياء والتخييل.

1- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1985، ص175.

2- ديوان الفراشة، حسن السوسي، ص69.

3- الاتجاه الرومانسي، في الشعر العربي الحديث بالمغرب، قريرة زرقون نصر، ص316.

4- ديوان الزهر والعصفور، حسن السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1992، ص61.

2. الاستعارة المكنية:

تعدّ الاستعارة المكنية نوعاً من أنواع الاستعارات التي أقحمها السوسي في كثير من قصائده على اختلاف دواوينه والتي تعمل على خلق الصورة الشعرية لتضفي على نصوصه الشعرية رونقاً وجمالاً، والغاية منها إثارة شعور وعواطف المتلقي والسامع وهذا دليل واضح على خصوبة خيال الشاعر.

ويعرّف البلاغيون الاستعارة المكنية بقولهم: "هي ما حُذِفَ فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه."⁽¹⁾ وكثيراً ما يميل الشاعر إلى هذا النوع من الاستعارة حتى يبرز قوة خياله وشعوره تجاه الأشياء الساكنة لجعلها تتحرك، ويبث فيها الحياة لإدراك البعد الجمالي الفني داخل قصائده.

فمن صورة الاستعارة المكنية استعارة المحسوس (الجبل الأخضر) لحسي آخر (الإنسان) كما يظهر واضحاً في قوله:

فَمَشَى الْأَخْضَرُ الْأَثْمُ إِلَى الْأَطْلَمِ — سِ تَهْتَزُّ رُبُوءُهُ وَهَضَابَا⁽²⁾

صرّح في البيت بالمشبه (الجبل الأخضر) وحذف المشبه به (الإنسان) وجاء بأحد لوازمه هو (المشي) على سبيل الاستعارة المكنية، واستعار الشاعر المشي للجبل الأخضر فشخصه إنساناً يمشي.

والجبل من الأشياء الجامدة والثابتة في مكانها لا تتحرك ولكن الشاعر استعار لها صفة المشي ليعبر عن حالته النفسية، فيظهر ما يحس به من فرح وسعادة تجاه النقاء الشعوب وهو رمز يرمز به للوحدة والاتحاد بين ليبيا والمغرب الأقصى.

وفي صورة أخرى من الاستعارة المكنية يوضح فيها الشاعر العناء النفسي، وهو دليل على عمق القلق والعذاب الذي يعانيه الشاعر من جراء ما حصل للأمة العربية من ضعف وفرقة، فيستعار القلب وهو مكان ملئ بالأسرار إذ يقول الشاعر:

أَحْبَبْنَا عَفْوَاً إِذَا مَا شَجِينُكُمْ بِصَدْقِي فَبَعْضُ الصَّدَقِ يُشْجِي وَيُرْهِقُ

1- علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص176.

2- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص31.

وَبَعْضُ حَدِيثِ الْقَلْبِ مَا لَمْ تَبُحْ بِهِ يَكُنْ غُصَّةً فِي الْحَلْقِ يُؤْذِي وَيَخْنُقُ⁽¹⁾

شبه الشاعر القلب بالإنسان الذي يتحدث وقد يكتُم أسرارَه حتى تصبح غصة في حلقه فيكتم على أنفاسه فتخنقه وتألمه، نتيجة خوفه فلا يستطيع البوح بها، فيكون المستعار له (القلب) والمستعار منه غائب وهو (الإنسان) فقد صرح الشاعر في هذا البيت بالمشبه (القلب) وحذف المشبه به (الإنسان) وأتى بشيء من لوازمه (الحديث) على سبيل الاستعارة المكنية.

3. الاستعارة التصريحية:

تعد الاستعارة التصريحية إحدى أنواع الاستعارات التي اكتظت بها قصائد السوسي في مختلف دواوينه والتي تعمل على تشكيل الصورة الشعرية، لتضفي على نصوصه لمسة جمالية، والهدف منها إثارة أحاسيس ومشاعر المتلقي أو السامع، وهذا دليل واضح على قدراته الشعرية والتخيلية والإيحائية. ويقصد البلاغيون بالاستعارة التصريحية "هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه."⁽²⁾ فكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى استخدام مثل هذا النوع من الاستعارة من أجل إظهار مهارته الشعرية، وإعطاء الصورة الاستعارية بعداً إيمانياً جميلاً بإعطاء الأشياء الجامدة أو المعنوية صفات حسية، ومنها قصيدة (قبل المؤتمر) بمناسبة مهرجان الشعر العربي الذي أقيم بطرابلس حيث يقول:

هَذَا مَوْسِمٌ فِيهِ الْقَرَائِحُ تَلْتَقِي وَعِيدٌ بِأَنْوَارِ النُّهَى يَتَأَلَّقُ
وَهَذِي نُجُومُ الْفِكْرِ فِيكَ طَوَالِغُ وَهَذِي حَسَاسِينَ الْبَيَانِ تُشَقِّقُ
فَضَمِّي عَلَيْهِمْ جَفْنَ عَيْنَيْكَ وَاحْلُمِي فَهُمْ أَمَلُ الْعَرَبِ الَّذِي بِكَ يَصْدُقُ⁽³⁾

شبه الشاعر رواد الفكر من الأدباء بالنجوم، وهو رمز لعلو مكانة الأدباء، فالشاعر استعار (النجوم) ليشبه (الرواد) بها في علو المكانة، ولهذا يساوي الشاعر بالاستعارة بين المشبه (المستعار له) (رواد الفكر) والمشبه به (المستعار منه) (النجوم) ويحضر المشبه به (النجوم) ويغيب المشبه (الرواد) فتكون الاستعارة تصريحية.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص12.

2- علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص176.

3- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص15.

وفي صورة أخرى من صور الاستعارة التصريحية يخاطب الشاعر شخصاً آخر وهو يتحدث عن نفسه في قصيدة (القاهرة في البال) حيث يقول:

يُرْوَقُكَ مِنْهُ صَفَاءُ الْقُلُوبِ وَتُغْرِي بِشَاشَتُهُ الزَّائِرَةَ
أَتَاكَ يَطْيَرُ بِهِ جَانِحٌ مِنْ الشَّقْوِ نِيرَانُهُ شَاكِراً⁽¹⁾

شبه الشاعر شدة اشتياقه للقاهرة بالنيران المستعرة لطول غيابه عنها، فصرّح بلفظ المشبه به (المستعار منه) (النيران)، بينما المشبه (المستعار له) غائب وهو (الشاعر) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وكل هذه الصور الاستعارية الخيالية التي رسمها الشاعر في لوحاته الفنية من خلال قصائده تؤكد على شاعريته وقدرته الشعرية على ابتكار وبناء الصورة الفنية التي تملؤها العاطفة والخيال الخصب الذي هو ذروة الأدب وروح الشعر والعمود الفقري لكل عمل شعري.

والملاحظ من دراسة دواوين حسن السوسي سيطرة الاستعارة المكنية على نصوصه فهي أكثر شيوعاً من الاستعارة التصريحية، إذ يحتوي البيت الواحد على استعارتين إحداها مكنية والأخرى تصريحية، وأحياناً تكون الاستعارتان مكنيتان، وتجد الاستعارة الجمالية ضربت بجذورها في أشعاره كذلك، كما انتشرت بين نصوصه الاستعارة التشخيصية أكثر من الاستعارة التجسيدية.

والواضح أنّ شعره جاء عفويّاً دون تخطيط، فلم يعمد إلى صورة بلاغية معينة دون غيرها، وهذا دليل على اتساع خياله الشعري، وصدق مشاعره، وقوة عاطفته.

ولم يقف شاعرنا عند أنواع الاستعارة بعينها؛ إنّما استخدم لغته الشعرية، ومن الأنماط والوسائل التي استعانة بها شاعرنا أيضاً في تشكيل صورته الشعرية التشخيص والتجسيد ما يأتي:

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 118.

1. الاستعارة التشخيصية:

تُعَدُّ ظاهرة التشخيص من الوسائل الاستعارية التي اعتمد عليها الشاعر في تشكيل الصورة الشعرية قديماً وحديثاً، ويضفي على هذه الصورة الشعرية لمسة فنية جمالية، ليثير بها الأحاسيس والمشاعر الداخلية للمتلقي، فيشد تركيزه إليها، وهذا لقدرته على نقل الإيحاء والتخييل.

وهذا يدفعنا إلى القول إنّ التشخيص هو "إضفاء صفات الكائن الحي، وخاصة الصفات الإنسانية على مظاهر العالم الخارجي، فيبث الحياة فيها، ويجعلها تُحس وتُتَأَلَّم كما يُحس الإنسان ويتألم، ويعود ذلك إلى قدرة الشاعر على التفاعل مع تلك المظاهر الخارجية، من خلال رؤيته الفنية الخاصة."⁽¹⁾

وأكد الدكتور عدنان حسين قاسم على توافر هذه الخاصية الفنية في الشعر العربي قديمه وحديثه ... وذهب إلى أنّ التشخيص لم يستطع أن يشكّل ظاهرة عامة في الشعر العربي إلّا عند أبي تمام ومدرسته التجديدية، ... وعند شعراء الأندلس، ... وفي العصر الحديث ... هذه الظاهرة قد قويت وعظم شأنها، وأصبحت من السمات البارزة في الشعر الحديث.⁽²⁾

"والتشخيص من الأدوات الفنية التي يلجأ إليها الشعراء في استخدامهم للتصوير الاستعاري لنقل تجاربهم لأنّها ملكة خالقة."⁽³⁾

وتجد السوسي تناول في شعره الكثير من الصور الاستعارية التي اعتمد فيها على التشخيص، وذلك لإبراز تجربته الشعورية للمتلقي في صورة شعرية جميلة متجددة للواقع الذي يعيش فيه، حيث عمل على تشخيص الأشياء المجردة، ومن تصويره التشخيصي ما قاله الشاعر في قصيدة (المؤتمر الحادي عشر للأدباء العرب) حيث يقول:

في النَّاسِ في الأَنْسَامِ في الأشياءِ

وَتَعَانِقُ الْأَمَالَ فِيمَا حَوْلَهَا

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص112.

2- انظر: المرجع السابق نفسه، ص113-114.

3- المرجع السابق نفسه، ص122.

لِلوَفِيدِينَ بِأَنْجُمِ الْجَبَلِ — وَزَاءِ

وَلَوْ اسْتَطَاعَتْ رَصَعْتُ شُرَفَاتِهَا

وَأَقْصُ مَا قَدْ جَدَّ مِنْ أَنْبَاءِ⁽¹⁾

فَخَرَجْتُ أَسْتَجْلِي الْجَمَالَ وَأَقْتَفِي

شَخَّصَ الشاعر الآمال وهو شيء مجرد، حيث جعله على هيئة إنسان يعانق الناس والهواء والرياح، وكل ما حوله ليعبر عن حالته النفسية وهو في قمة سعادته وفرحه، وظهر دور الخيال بارزاً في هذه الصيغة التي تعتمد على الإيحاء وهي وسيلة للتعبير عن مشاعر الشاعر المشحونة بالأمل والسعادة، وهنا في هذا النص قد صرح بالمشبه (الآمال) وحذف المشبه به (الإنسان) وجاء بأحد لوازمه وهو (التعانق).

وفي صورة أخرى يشخص الشاعر مدينة (فاس) إحدى المدن المغربية في صورة حية ويستعير لها صفات إنسانية عندما قال في قصيدة (قبلة على جبين فاس):

وَبُسْتُ فِي مُقْلَتَيْكَ الطُّهْرَ وَالْخَضْرَاءَ

قَبَلْتُ جَبْهَتَكَ الشَّمَاءَ مُعْتَذِرًا

بِالْعَشْقِ مُلْتَحِفًا بِالشُّوقِ مُؤْتِرًا

مَاذَا تَقُولِينَ فِيمَنْ جَاءَ مُبْتَدِرًا

كَأَنِّي أَتَوَخَّى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ⁽²⁾

جَعَلْتُ وَجْهَكَ قَصْدِي وَاهْتَدَيْتُ بِهِ

شَخَّصَ الشاعر مدينة (فاس) حين جعل لها جبيناً وعينين والتي هي في الأصل من أعضاء الإنسان لا مدينة (فاس)، ولكنه وظَّفَ هذه الأعضاء الإنسانية من أجل صياغة صورة فنية جميلة مستوفاة، وهذا دليل على قوة خيال الشاعر وعمق إحساسه المفعم بالعاطفة الصادقة تجاه هذه المدينة، فالشاعر يخاطبها بقوله: قَبَلْتُ جَبْهَتَكَ الشَّمَاءَ مُعْتَذِرًا إِلَيْكَ لَغِيَابِي الطَّوِيلِ عَنْكَ، وبست في مقْلَتَيْكَ الطُّهْرَ وَالْخَضْرَاءَ.

2. الاستعارة التجسيدية:

يُعَدُّ التجسيد وسيلة من وسائل الاستعارة التي تساعد على بناء الصورة الشعرية، وذلك برسم شكلها الفني البديع، والتي تُظهر عليها لمسة من الإبداع والجمال الفني فيشد تركيز المتلقي إليها، وبذلك يعطيها بعداً إيحائياً جميلاً.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص54-55.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص115.

ويُقصد بالتجسيد "إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة، حيث تقدم الصورة الاستعارية للأفكار والخواطر والعواطف في صورة مجسدة محسوسة".⁽¹⁾ وكذلك يعرّف التجسيد على أنّه: "نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية".⁽²⁾

وذلك أنّ المعنى يتمثّل في جسد محسوس، ولكنه ليس صورة شخص (إنسان) ... فالمعاني قد تتمثّل في صورة محسوسة بواسطة الاستعارة التجسيدية.⁽³⁾

وتجد السوسي تناول شيئاً من التجسيد في شعره لتجسيد بعض المحسوسات لتقديم تجربته الشعرية للمتلقّي في صياغة شعرية جديدة وجميلة حيث عمل على تجسيد الشيء المادي المحسوس. ومن تصويره التجسدي ما قاله في قصيدة (حلبية):

وَأَنَّ هَوَاكَ يَجْرِي فِي دَمِي .. وَيَمُورُ فِي عَصَبِي⁽⁴⁾

استخدم الشاعر في هذا البيت صورة تجسيدية حيث تبدو فيها الأشياء المعنوية أشياء محسوسة، مجسداً صورة (الهوى) وهي أحد صفات الإنسان، ويتجسد (الهوى) في صورة محسوسة حينما يستعير له الفعل (يجري، يمر) فمن خلاله يتضح لنا صورة مادية محسوسة لصورة أخرى معنوية، فأبرزه في صورة شيء مجسد له.

وفي صورة أخرى من صور الاستعارة التجسيدية نجد الشاعر يجسد (العزم) في صورة محسوسة حين يقول:

وَعَزْماً يُحِيلُ الصَّعْبَ سَهْلاً مُيسَّرًا وَيَقْرَعُ آفَاقَ الْمَحَالِ وَيَطْرُقُ⁽⁵⁾

يتجسد العزم في صورة محسوسة حينما يستعير له الفعل (يحيل، يقرع، يطرق) فأعطاه صورة حسية وهي من صفات الإنسان لا (العزم) الذي هو شيء معنوي وبهذا فقد عبر الشاعر عن أبعاد تلك التجربة في الصورة الاستعارية.

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص115.

2- الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، زكية خليفة مسعود، ص276.

3- انظر: المرجع السابق نفسه، ص276.

4- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص280 .

5- المصدر السابق نفسه، ص7.

ويرى الدكتور عدنان حسين قاسم "أنّه لا يمكن الفصل بين التشخيص والتجسيد، بمعنى أنّ تكون هنالك قصائد للتشخيص لا يشاركه فيها التجسيد، بل أنّهما كثيراً ما يتجاوران كوسيلتين فنيّتين يلجأ إليهما الشعراء في بناء الصورة الاستعارية، وتشكيلها تشكيلاً فنياً، أمّا نسبة وجودها فإنّ التجربة الشعرية هي التي تتحكم فيها."⁽¹⁾

"والاستعارة في الأصل تشبيه حذف أحد طرفيه وصرّح بالطرف الآخر، أو رمز إليه بشيء من لوازمه وصفاته. ويسمى النوع الأول بالاستعارة التصريحية، أمّا النوع الثاني فيُسمى بالاستعارة المكنية."⁽²⁾

ثالثاً: الرمز:

المعنى اللغوي:

وردت كلمة رمز في معجم لسان العرب بمعنى "إشارة وإيماءً بالعينين والحاجبين والشفنتين والفم وهو تصوّيتٌ خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنّما هو إشارة بالشفنتين. والرمز في اللغة: كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أو أشرت إليه بيد أو بعين ورمز، يرمز، يرمز، رمزاً"⁽³⁾، وقد أورد في التنزيل العزيز دلالة الرمز في قصة زكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿أَيُّكَ

أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾⁽⁴⁾

المعنى الاصطلاحي:

اتفق الأدباء والفلاسفة على الرمز: "بأنّه شيء حسي معتبر كإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشئيين أحست بها مخيلة الرامز."⁽⁵⁾

ويعرّفه الدكتور عبد المنعم الحفني على أنّه: "ما دل على غيره دلالة معانٍ مجردة على أمور حسية، كدلالة الأعداد على الأشياء، ودلالة أمور حسية على معانٍ متصورة."⁽¹⁾

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص117.

2- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، ص154.

3- ابن منظور، مادة رمز، ج6، 223.

4- سورة آل عمران، الآية 41.

5- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، ط الثالثة، 1984، ص40.

"وإذا كان العقل ميداناً للعلوم فإنّ النفس ميدان الفنون ومنتجعها الخصب الذي تفرح فيه وتتغذى منه. وحاول التشبيه التعبير عن النفسية الإنسانية في المراحل الزمنية المتقدمة فأبقى أطراف التشبيه قائمة مستقلة، كما حاولت الاستعارة انتشال الأحاسيس الإنسانية الغائرة وبسطها أمام المتلقين ليقفوا على ما وصلت إليه النفس من التعقيد، وذلك عن طريق تصوير ما يعتلجها من انفعالات وعواطف متباينة فذابت في أطرها ماهيات الأشياء، وامتزجت طبائعها، أمّا التعبير الرمزي فحاول أن يرتقي فوق جزئيات الواقع."⁽²⁾

ولم يكن الرمز صورة جديدة في الشعر، ولكنه "قديم قدم الإنسان نفسه، فالإنسان (حيوان رامت) وحياته مليئة بالرموز. إنّ الكلمة وهي أساس اللغة عبارة عن مجموعة رموز اتخذت وسيلة للتفاهم، وكان أرسطو أقدم من تناول (الرمز) فقال: "إنّ الكلمات رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولاً ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس. ويضيف والكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة."⁽³⁾

"وللرمز أصل عريق في أدبنا العربي القديم،"⁽⁴⁾ "حيث كان للأدب الإيراني القديم صلة بالأدب الهندي والأدب العربي فيما يخص هذا الجنس الأدبي."⁽⁵⁾ ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال: وفي الأدب العربي القديم كانت ترجمة عبد الله بن المقفع لكتاب كليله ودمنة في القرن السادس الميلادي سبباً في خلق هذا الحس الأدبي الجديد في اللغة العربية.⁽⁶⁾ كما أنّ الدكتور عدنان حسين قاسم قسم الرمز إلى نوعين رئيسيين هما:

1. الرمز الجزئي.

2. الرمز الكلي.

أولاً: الرمز الجزئي: "وهو لا يعني أنّ تتوب كلمة مكان أخرى، أو أنّ تكون بديلة عنها، ولكنه أسلوب فني تكتسب فيه الكلمة المفردة قيمة رمزية من خلال تفاعلها مع ما ترمز إليه، فيؤدي ذلك إلى إيحائها واستثارتها

1- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، الناشر مكتبة مدبولي، ط الثالثة، 2000، ص384.

2- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص121.

3- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ط الثانية، 2007، ص10.

4- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص35.

5- الأدب العربي الحديث، حمدي الشيخ، المكتب الجامعي الحديث، د. ط ، 2010، ص136.

6- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، ص183.

لكثير من المعاني الدفينة، وخلقها لموقف رمزي يتضافر مع بقية عناصر القصيدة لبنائها بناءً مكتملاً، وهو يقوم على الإيحاءات التي تبثها الصور الجزئية، أو الكلمات المشعة ذات الارتباط بأحداث تاريخية، أو تجارب عاطفية، أو مواقف اجتماعية، أو ظواهر طبيعية، أو أماكن ذات مدلول شعوري خاص.⁽¹⁾

ثانياً: الرمز الكلي: "هو الفكرة المطلقة أو المعنى الأساسي، أو المحور الذي تدور حوله كل الصور الشعرية، على أن تكون تلك الفكرة هي التي تنظم كل الصور الجزئية التي تنتثر في القصيدة، فمهما تباعدت فروعها فإن قوة أثرية تربط بينها برباط قوي ينبع من التجربة الشعرية، وتسهم الرموز الجزئية إسهاماً فاعلاً في جعل المتلقي في حالة نفسية تؤهله للتفاعل مع الرمز الكلي"،⁽²⁾ حيث إنّ "الصورة الرمزية واقعية بحسب أصلها، ولكنها غير واقعية في علاقاتها وتشكيلها الفني"،⁽³⁾ فالرمز قد ينبع من إبداع ذاتي مرده إلى انفعالات الشاعر وأحاسيسه، أو ما يواجهه في حياته، أو من واقعه، بغض النظر عن الفترة الزمنية سواء الماضي أو الحاضر، أو المستقبل، أو حتى الأسطورة، ومن شتى الاتجاهات الوطنية، والقومية والإنسانية، وبما أنّ الشاعر إنسان والمتلقي إنسان فإنّ منطلق تناول قضايا الإنسان وأسس علاجها قد تكون ذاتية وقد تكون إنسانية.⁽⁴⁾

و"الشعر الحديث يعتمد الجانب الذاتي ويملك القدرة على التعبير عن هذه الذات بنقل المعنوي وتقريبه إلى ما يحس، وأنّ الرمز عند الشاعر الحديث"⁽⁵⁾ هو "شيء حسي معتبر كالإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين شيئين أحست بهما مخيلة الرامز"،⁽⁶⁾ ويظهر من مفهوم الشاعر الحديث للرمز على أنّه امتزاج للذات بالموضوع وللإنسان بالطبيعة فيكون منطقياً مع نزعتة المثالية التي ترد العالم الخارجي إلى رموز للمشاعر، وترى في الطبيعة مرآة للشاعر، وظاهرة ينفذ من خلالها إلى قيم ذاتية

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 148.

2- المرجع السابق نفسه، ص 150.

3- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص 338.

4- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص 280 - 281.

5- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص 12.

6- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص 40.

وروحية)⁽¹⁾ "فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيتها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً ... لأنّ استخدام الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعاً شعرياً، بمعنى أنّه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية."⁽²⁾

"وقد فرضت ظروف العصر الحديث وتغييراته على الشاعر أن يتخذ من الرمز وسيلة لإخفاء أغراضه وأهدافه يبيثها من وراء الألفاظ في وقت كانت فيه الأفواه ملجمة وكان صوت الحق مغمضاً وأصبح من ينطق بكلمة تثير السلطان يذهب في عالم النسيان، ولما كان الشاعر هو لسان وطنه والمعبر عن آمال بلاده فلا بد أن يعبر عن آلامهم في صورة رمزية تثير في السلطان الشفقة على الشعب، ويرسم لهم طريق الخلاص من المستعمرين دون أن يشعر بذلك أحد من أولي الأمر والسلطان، ومن ثم كان اللجوء إلى الجانب الرمزي وسيلة للخلاص من بطش السلطان ووسيلة لأداء حق الوطن على الشاعر،"⁽³⁾ وهذا ما يؤكد فوزي الطاهر البشتي حين يقول فقد اتجه الشاعر " إلى الرمز كوسيلة لتصوير ما لا يمكن التعبير عنه."⁽⁴⁾

وهذا يعني اتجاه الشعراء على مختلف عصورهم إلى الرمز وتمّ استخدامه وسيلة لتصوير ما لا يستطيعون التعبير عن ما في واقعهم بطلاقة، ويعتري هذا الرمز نوع من الغموض، أو التعقيد، فلا يتمكن القارئ أو المتلقي من فهم ما يهدف إليه الشاعر أو فهمه بصعوبة أو مشقة بالغة، وهنا يبرز اتكاء الرمز على الإيحاء في التجربة الشعورية للشاعر كما قال الدكتور محمد فتوح أحمد: "أساس الرمز الإيحاء."⁽⁵⁾ كما توجد هناك علاقة وطيدة بين الرمز والمجاز سواء كان استعارة أو التشبيه، فالصورة المجازية "ترمي إلى رسم أحاسيس الشاعر رسماً يخرجها إلى حيز الوجود، ويجعلها ملموسة محسوسة، أمّا الصورة الرمزية، فرغم تجسيدها لتلك المشاعر فإنّها لا

1- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص37.

2- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط الخامسة، 1994، ص172-173.

3- الأدب العربي الحديث، حمدي الشيخ، ص136.

4- نحو منهج جماهيري في النقد الأدبي، فوزي الطاهر البشتي، ط الأولى، 1983، ص219.

5- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص304.

تقف عند هذا الحد، بل تخطو خطوة أخرى نحو الاستقلال بكيان ذاتي منفصل عن الواقع المحسوس،⁽¹⁾ ولذلك "خرج الرمز في الشعر العربي المعاصر عن كونه لوناً من ألوان المجاز، بل أصبح يملك قدرته التعبيرية والإيحائية باعتباره ضرورة فنية وقيمة جمالية،"⁽²⁾ "وما دامت الرموز لا تحبس في سجن المحسوسات المحدودة الوعاء فإنّها تنطلق من كل ألوان الأسر الحسي لتكون قادرة على الإيحاء بإحساسات ومشاعر ليس لها حجم محدد، ولا لون معين، ولا ذات بارزة، وذلك ما يبرر اختلاف الناس اختلافاً بيناً في فهم الرموز الشعرية وتفسيرها،"⁽³⁾ "فإنّ غاية الصورة الرمزية ليس فقط أن تجلو إحساس الشاعر أو فكرته، بل أنّها سابقة على الفكر والشعور."⁽⁴⁾ وتُعدّ "العلاقة بين الرمز والمرموز إليه علاقة تفاعل وتداخل ترتكز على المشابهة التي تحدث عن طريق التقاط وحدة الأثر النفسي بين الأشياء ... كما أنّ الرمز لا يستطيع أن يتخطى الحدود الزمانية والمكانية للتجربة الشعرية التي نبت على أرضها وغذاه ثراها،"⁽⁵⁾ وهكذا يبدو "البحث عن العلاقات الخفية بين الأشياء بؤرة تلتقي فيها العلاقة بين الرمز والمجاز فإنّ العلاقة بين الرمز والمرموز إليه علاقة تجانس فالشريك غير المرئي في العلاقة يجب أن يكون ... في تجانس مع الشريك المرئي، لكن علاقات الصورة المجازية علاقات لا تجانس، فالاستعارة والتشبيه يجمعان بين طرفين بعيدين، بل قد يكونان متناقضين ولكن في الرمز نتعامل مع الطرفين على أساس أنّهما شيء واحد، فأحدهما يمثل أماناً، أما الآخر فإنّه يختبئ في جلبابه، فحين نرى الأول تتجلي لنا صورة الآخر."⁽⁶⁾

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 140.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث بداياتها - اتجاهاتها - قضاياها - أشكالها - أعلامها، قريّة زرقون نصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط الأولى، ج الأول، 2004، ص 159.

3- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 128.

4- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص 345.

5- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 145.

6- المرجع السابق نفسه، ص 145.

وهكذا "فقد عانق الشعر الليبي المعاصر الرمز كمنبع للإحياء والإبداع، مكنتهاً قدراته التعبيرية، مستخدماً الرموز والإشارات التاريخية والدينية والتراثية والأسطورية بما تحمله من قيم عاطفية ودلالية."⁽¹⁾

واشتملت أشعار السوسي العديد من الصور الرمزية، والتي تعبر عن المعاني المستلهمة من الطبيعة أو من تجارب غيره من الشعراء السابقين له، و"على الشاعر أن ينقل أحاسيسه ومشاعره إلى المتلقي بالتعبير الفنية الواضحة، والمعاني المبتكرة بعيداً عن الإغراق في الرمزية."⁽²⁾

ومن الأسباب التي جعلت الشعراء يتجهون إلى استعمال الرمز في قصائدهم -ويرجع جُلها إليه- أسباب سياسية واجتماعية والتي يعيشها الشاعر في محيط مجتمعه، فالشعر لغة رمزية -أي رموز- "تتصل في طبيعتها بالأحلام والنفسية البدائية والقصص الشعبية والمعجزات والشعائر والأساطير، ويعرّفون اللغة الرمزية بأنها نوع من النشاط أو الفاعلية الإنسانية تتناسب فيها التجارب الداخلية والمشاعر والأفكار - فردية كانت أو جماعية- وتبدو في الظاهر كأنّها تجارب حسية أو أحداث من أحداث العالم الخارجي."⁽³⁾

ومن الرموز التي وظفها السوسي في قصائده في إطار التجربة الشعرية التي خاضها على مدى حياته، باعتباره أحد شعراء العصر الحديث المعاصر، والتي تفاعلت مع الرمز ليكسبها قيمة إيحائية عبر السياق الشعري الذي قيلت فيه منها الرموز الدينية، والرموز التاريخية، والرموز الأسطورية، والرموز الطبيعية.

أولاً: الرموز الدينية:

"كانت الأديان السماوية الثلاثة مصدراً من المصادر التي نهل منها الشعراء المحدثون، واقتطفوا منها رموزهم التراثية، وكان الإنجيل والقرآن والتوراة منبع ذلك الورد، فأخذوا منها شخصية (محمد) عليه الصلاة والسلام، والمسيح، وموسى، وأيوب"⁽⁴⁾ -عليهم السلام-، كما نجد أنّ الشعراء لم ينسوا استثمار "الطاقات الإيحائية التي

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، ص 159.

2- الشعر المعاصر في واحات الجفرة، سعاد أمحمد بشير محمد وعبه، ص 66.

3- فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط الأولى، 1959، ص 216.

4- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 161.

تفيض من شخصية الشيطان-لعنه الله-، وغيرها من الشخصيات التي وردت في الكتب السماوية واقتترنت بمواقف معينة.⁽¹⁾

فمن خلال الرمز يستوحي الشاعر تلك الموضوعات الدينية ويحيلها إلى موضوعاته الشعرية لكي يعبر فيها عن معاناته لتجاربه في الواقع الراهن، فيخلط بين المواقف الدينية والمواقف الواقعية ليضفي دلالات معاصرة على المواقف الدينية، ومن هنا تتفق التجربة الشعرية مع المواقف الدينية.

"فإنّ الرموز الدينية تنبع أهميتها من قدسية مصادرها، ومن تداول معانيها بين الجمهور، حيث يكتفي أن يلمح إليها الشاعر كي توظف وجدان متلقيها هالة من الذكريات والمعاني المرتبطة بسياقاتها، وأنّ هذه الرموز الدينية تتسم بغنى الدلالة وتنوعها، مما يكسب النص الشعري قوة التأثير والإيحاء."⁽²⁾

ومن الرموز الدينية التي وظفها السوسي في شعره نأخذ منها شخصية مريم العذراء، وأيوب، كرموز دينية لها دلالتها الإيحائية، يقول في قصيدة بعنوان (الكفرة):

وَمِنْ رُطْبِ غُضِّ جَنِيٍّ، كَأَنَّهُ
لِنَخْلَةٍ بُسْتَانِ الْبُتُولِ نَسِيبُ⁽³⁾

اتخذ السوسي شخصية مريم العذراء رمزاً دينياً ليشير به إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَهَـؤُلَـئِكَ إِلَيْكَ يَـجْـذَعُ الْخَلَّةُ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْباً جَنِيّاً﴾⁽⁴⁾ "حيث النخلة رمز العطاء الذي لا ينقطع، وحيث كان العطاء سخياً في فترة كانت مريم العذراء تعاني"⁽⁵⁾ ألم المخاض، فكانت شجرة النخل برطبها الجني خير غذاء للسيدة مريم في تلك الأثناء، ومن هنا تجد أنّ الشاعر استسقى من هذا الرمز الديني صورة بلاغية، مفادها أنّ هذه المنطقة (الكفرة) تمتاز بالجود والكرم والعطاء، وهذا لما تملكه من مقومات هذه الصفات، والتي تتواجد ضمناً مع تواجد النخلة الباسقة المعطاة التي كان لها دور واضح في مسيرة حياة السيدة مريم البتول أثناء فترة حملها وولادتها، فكانت

1- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص 161.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، ص 159.

3- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص 89.

4- سورة مريم، الآية 24.

5- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص 184-185.

عونًا وسندًا لأم المسيح في تلك الفترة، وهي كذلك في هذه الفترة لأهل الكفرة، حيث شبه الشاعر من خلال الصورة الرمزية رطب الكفرة بالرطب الذي أكلت منه السيدة مريم في وصف طيب رطب الكفرة الذي هزت سيدتنا مريم جذع النخلة لتساقط عليها رطبًا جنياً، حيث اقتبس شاعرنا هذه الصورة من تلك الآية.

ويأتي الشاعر بصورة أخرى جميلة ذات دلالة رمزية موحية معبراً فيها عن صبر أيوب حين يقول:

يَا صَبْرَ أَيُوبَ كُنْ عَوْنِي وَكُنْ سَنَدِي إِذَا دَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ (الإدارات)⁽¹⁾

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾⁽²⁾

وانتقى شاعرنا هذا الرمز الديني للدلالة على المعاناة التي يلاقيها أثناء التعامل الإداري في بعض المؤسسات الخدمية التي تحتاج من المواطن الصبر الكثير الذي يكاد يشبه صبر أيوب على ابتلاءه في محنته، فالشاعر يحكي عن سوء الإدارات وما يعرض له مرتادوها لقضاء حوائجهم، فيصفه بأنه يحتاج من الصبر ما احتاج إليه سيدنا أيوب أثناء معاناته للمرض، فكان الإيحاء الرمزي لصورة الصبر تتجسد في صبر ومعاناة الشاعر ومن يرتاد الأمانات في صبر أيوب.

ثانياً: الرموز التاريخية:

وظف الشاعر المعاصر تلك الرموز محاولاً "استحضار المواقف التاريخية ذات الدلالة المعينة للإيحاء بالأبعاد الحضارية والإنسانية المعاصرة، ومن استحضاره لتلك المواقف وما صاحبها من تجارب شعورية يضع بين يدي المتلقي عالمين، عالم قديم له قدسيته، وحديث له ضرورته"،⁽³⁾ وهكذا من تلك الرموز يتم استدعاء بعض الشخصيات التاريخية، من أجل استحضار الشخصية مقترنة بنفس الفعل الذي يستدعيه الواقع أو يكون وصفاً يماثله. "إنّ التوظيف الجيد للرموز التاريخية يجب أن لا يتم بفرض هذه الرموز على النص بل يجب أن تكون هناك علاقة عضوية بينها وبين القصيدة بشكل يجعل القارئ يحس بأن الحاجة إلى ذلك الرمز التاريخي

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص353.

2- سورة ص، الآية 24.

3- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص155-156.

نابعة من داخل الموقف الشعري ذاته،⁽¹⁾ وهذا ما جعل اهتمام السوسي بالرموز والشخصيات التاريخية التي ارتبطت بمواقف منها ما شكّلت الجانب المضيء لتاريخ أمتنا وأخرى مثّلت الجانب المظلم لها، ويرجع سببه إلى العبودية والطغيان والقمع الذي مارسه الحكام الغرب على الشعوب العربية.

ومن الشخصيات التاريخية التي مثّلت الجانب المضيء للأمة العربية طارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي، وجميلة بو حريد، وغيرهم الكثير من الشخصيات البطولية ممن حققوا بطولات وفتوحات وانتصارات لتحقيق مبدأ العدالة، ورفض مبدأ الاستبداد والطغيان على وجه الأرض.

واستخدم الشاعر حسن السوسي شخصية القائد العربي طارق بن زياد الذي شهد له التاريخ ببطولاته في الفتح العربي الإسلامي ابتداءً من شمال أفريقيا حتى بلاد الأندلس،⁽²⁾ فيقول:

لِللْمُرُوءَةِ وَالْإِسْلَامِ مَا رَأَبَا	لِلَّهِ وَالْمَجْدِ مَا أَبْلَتْ كَتَائِبُهُ
وَعَفَّ، لَمْ يَغْتَمِ فَيْئًا وَلَا سَلَبَا	قَدْ عَادَ وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ لِرَايَتِهِ
قَدْ وَطَدَ الْفَتْحُ لَمَّا رَكْنُهُ اضْطَرَبَا ⁽³⁾	فَكَانَ "طَارِقُ" عَصْرُ غَابِ طَارِقُهُ

صار طارق بن زياد رمزاً تاريخياً للفراس الشجاع والمحارب المغوار، دلالة على بطولته ونضاله وصموده وتحديه لقوى الباطل، فوظف الشاعر الزمن الماضي لدلالة ارتباطه بالحاضر منطلق لتوحيد الصف العربي من المشرق إلى المغرب، كما نجد حضوراً بارزاً لشخصية البطل التاريخي (صلاح الدين الأيوبي) في شعر السوسي حين استخدم هذه الشخصية رمز إلى التضحية والجهاد في سبيل تحرير الأمة العربية من احتلال اليهود، حين يقول:

يَعْرُبِي يَحْمِي حِمَى الْأَشْبَالِ	وَوَلَدَتِ الرِّجَالُ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ
يَنْ يَمْخُو إِسَاءَةَ الْأَحْتِلَالِ ؟	فَمَتَى تُنْجِبِينَ مَثَل "صَلَاحِ الدِّ"

1- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، ص173.

2- انظر: مختصر تاريخ العربي، عفيف البلعكي، ص126-127.

3- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص228.

وَيُذِيقُ الْيَهُودَ مَثَلِ الصَّلِيبِيِّينَ كَأَسَ الرَّدَى وَكَأَسَ الْوَبَالِ
نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَثَلِهِ الْيَو مَ لَأَعْبَاءِ قَوْمِهِ حَمَالِ
يَمْسَحُ الْعَارَ عَنْ جَبِينِ فَلَسْطِينِ وَيُثْلِي الْأَقْوَالَ بِالْأَفْعَالِ⁽¹⁾

في هذه الأبيات استنهاض للهمم، وبث روح الجماعة ودفع للتأني بالرمز لأبطال السلف ومنهم صلاح الدين، حيث ورد ذكره رمز من رموز الشخصيات التاريخية التي لها شأن عظيم في مسيرة الفتوحات الإسلامية والمعارك ضد أعداء الإسلام، واستحضار صلاح الدين في النص رمز تاريخي يبرز حقيقة دلالاته في ضرب المثل الأعلى للبطولة والأقدام، وفعل الشاعر النص لدلالاته ليحمل أحداث الزمن الماضي بقوته والحاضر بضعفه.

ومن بين الشخصيات النسائية المعاصرة التي اختارها الشاعر شخصية البطلة المناضلة جميلة بو حريد ليجعلها ذات أهمية في النضال العربي حيث يقول:

هَذِهِ الْأَرْضُ مُنْبِتُ الرَّفْضِ مَذَّ كَانَتْ وَمُعْدَى سَوَابِقِ الْفُرْسَانِ
نَبَتَتْ فَوْقَهَا "جَمِيلَةٌ" غُضْنَا بَيْنَ أَغْصَانِهَا الصَّلَابِ اللَّيْدَانِ⁽²⁾

في هذه الأبيات شبه الأرض بأنها تنبت الرفض وهذا ضرب من الخيال، ولكن في هذا المعنى كناية عن شجاعة أهل هذه الأرض ورفضهم للظلم والعدوان، فكانت جميلة رمزاً من رموز أهل هذه الأرض الشجعان الأشاوس يمثلون الرفض في أقوى صورته ومعانيه.

وظف الشاعر هذه الشخصية التاريخية المعاصرة لتكون رمزاً لحاضر الأمة العربية من خلال ما قدمته في سبيل تحرير الجزائر، فجميلة رمزٌ للحرية ورفض القمع والذل والجبروت فمجد بطولتها الخارقة، "وَأَنَّ معظم شعرائنا المعاصرين قد انفعَلوا بهذه الشخصية وكتبوا عنها، حتى لم تُعدْ جميلة مجرد مناضلة وطنية عرفتْها ثورة الجزائر، بل صارت رمزاً للنضال الإنساني في سبيل التحرير".⁽³⁾

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص 85.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 40.

3- الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص 188.

وأما عن الشخصيات التاريخية التي مثلت الجانب النضالي المظلم في تاريخ أمتنا العربية فمثلت شخصية "شارون" و"هولاكو" وغيرهم الكثير والكثير، حيث وظف الشاعر بعض الشخصيات التاريخية التي ارتبطت بقضايا سياسية أمثال "شارون وهولاكو" في شعره، لكي يعبر عن حاضر الأمة العربية وما يسودها من صراعات تضعف وحدتها وتفرق شملها، ويقول السوسي مخاطباً العدو المحتل للعراق الذي "يقوده الثالث المدمر شارون، وبوش، وبليز"،⁽¹⁾ الذي يظهر فيه مدى عدائهم للعرب والإسلام فيقول:

كَأَنْتَ عَلَى جُرْحِهِ الدَّامِي سَاكِنِينَ	فِي الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ الْيَوْمَ زَعِنَفَةٌ
وَهُمْ بِأَعْضَائِهِ امْتَدُّوا سَرَاطِينًا	فَهُمْ أَصَافُوا إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعًا
لِبَنَانٍ مِنْ بَعْدِ مَا صَفَّوْا فِلِسْطِينَ	فَهُمْ بَفُرْقَتِهِمْ مَدُّوا السَّبِيلَ إِلَى
وَمَكَّنُوا مِنْ رِقَابِ الْعَرَبِ (شَارُونًا) ⁽²⁾	وَهُمْ أَعَانُوا عَلَيْهِ بِاخْتِلَافِهِمْ

اهتم السوسي بتوظيف شخصية "شارون" تلك الشخصية التاريخية ذات الرمز المدمر والفناء للأمة العربية، فتعدّ هذه الشخصية من الشخصيات التي ترمز إلى البطش والاستبداد في وجه الشعوب العربية الإسلامية، وإخماد صوت الحق، وقمعه بقوة السلاح حتى تمكن من احتلال "فلسطين والجولان وجنوب لبنان بدءاً من عام 1947م،"⁽³⁾ فهو يرمز إلى فناء الأمة العربية وقهرها وضعفها وتدهورها، وما يحمله من دلالة على القوة المعادية للإسلام والمسلمين والوحدة العربية، كما يرمز له بالثالث المدمر لوحشيته وشراسته التي تظهر في كرهه للعرب والمسلمين.

كما وظف السوسي شخصية "هولاكو" تلك الشخصية التاريخية ذات الرمز القمعي التي كمنت دلالتها الرمزية في وصف شخصية "شارون" حين أسقط عليه صفات "هولاكو" بما فيه من ظلم وتسلط وقمع مشيراً إلى ذلك بقوله:

وَيَا (نَيْرُون) هَذَا الْعَصْرُ	حَسْبُكَ مَوْقِفٌ حَرْجُ
(فَهُولَاكُو) وَ(شَيْعَتُهُ)	وَمِنْ فِي نَهْجِهِ نَهْجُوا

1- مجلة الرفقة، العدد 8، 2003، ص 12.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 169.

3- مجلة الرفقة، العدد 8، 2003، ص 13.

وَمَنْ فِي سَرِبِهِمْ نَعَقُوا
فَأَنْتَ وَهُمْ بِكُمْ عَقْدٌ
وَمَنْ فِي سَوْقِهِمْ لَهْجُوا
وَفِي تَكْوِينِكُمْ عِوَجٌ
وَتَخْرُجُ مَثَلًا خَرَجُوا⁽¹⁾
سَتُنْكَبُ مَثَلًا نُكِبُوا

سار "شارون" على نهج "هولاكو" في قمع الشعوب وإذلالها وقهرها وهوانها حيث وظف السوسي شخصية "هولاكو" رامزاً بها للقوة الغاشمة المحتكرة التي تمكنت من احتلال العراق ومارست عليهم أبشع وأفظع أنواع القمع والاستبداد من أجل طمس الهوية العربية والإسلامية.

ومن هذه الشخصيات التاريخية التي مثّلت الجانب المضيء لتاريخنا العربي حاول السوسي أن يعبر عما حققوه من فتوحات وانتصارات ومواقف نضالية وبطولية، وما صنعوا من مجد للدولة الإسلامية، وأرسوا مبادئ الحق والعدالة والمساواة، كما عبر عن الشخصيات التاريخية التي مثّلت الجانب المظلم من واقع أمتنا وما يسودها من قمع وظلم وتسلط وفساد فجسدت هذه الشخصيات التاريخية لمعنى الاستبداد والبطش هادفة إلى إخماد صوت الحق بالقوة. وهكذا استخدم الشاعر هذه الرموز والشخصيات التاريخية مصدر من مصادر الصورة الشعرية، وأنها تشكّل الموروث التاريخي ليتمكن الشاعر من بناء صورته الشعرية.

ثالثاً: الرموز الأسطورية:

الأسطورة "قصة خرافية يسودها الخيال، وتتجسد فيها قوى الطبيعة في صورة كائنات حية ذات شخصيات متفاوتة يُبنى عليها الأدب الشعبي".⁽²⁾

"إن صلة الشاعر العربي بالأساطير صلة قديمة ترجع إلى العصر الجاهلي ذاته، حيث احتوى الشعر العربي منذ ذلك العصر على بعض الإشارات الأسطورية،"⁽³⁾ "وقد عرف استخدام الأسطورة كرمز في الشعر القديم،"⁽⁴⁾

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص 60-61.

2- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص 21، بتصرف.

3- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، على عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، الطبعة الأولى، 1998، ص 225.

4- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص 42.

ف" كان الشاعر القديم يتقمص الشخصية الأسطورية معبراً عن نزعاتها وعواطفها، أمّا الشاعر الحديث فإنّه يوظف الأسطورة رمزياً محاولاً التقاط أبعادها الفلسفية والوجودية، فالأسطورة وطبيعة الشعر أو التجربة الشعرية متفتقتان، فكلاهما يعاني الواقع معاناة شعورية، تخرق جدار العقل و الوضوح والتقرير،⁽¹⁾ ولهذا "لجأ الشعراء المحدثون إلى استلهم الأسطورة والبأسها ثوباً جديداً يتفق مع تجاربهم الشعورية، ولكي يستغلوا طاقاتها الإيحائية فإنّه لابد أن تملأ هذه الأسطورة بالمعاني الرمزية الجديدة، بالإضافة إلى التجربة الإنسانية الشاملة التي ترسبت في النفوس عبر القرون المتوالية المتعاقبة منذ التاريخ الضارب في القدم."⁽²⁾

ويرى الباحث عاطف جودة نصر أنّ الرمز الأسطوري طبيعة أصيلة فهو "قائم على التكتيف والإدماج، وصهر الأفكار المماثلة، ومزج المعاني المتشابهة، حيث تندمج الحدود والفوارق."⁽³⁾

"فالأسطورة صورة فنية تستمد رمزيتها من السياق الشعوري الذي صبت فيه، كما تعطي بدورها دفعا قوياً لذلك السياق، فالشاعر يستثمر التراث الأسطوري ليحطم حاجز الزمن بين الماضي والحاضر، فيستحضر الماضي في قلب الحاضر وحجره، وقد اتجه الشعراء إلى ذلك لإحساسهم أنّ الأسطورة جزءٌ من التراث الذي يملك طاقات إيحائية،"⁽⁴⁾ وأنّ الصورة الشعرية الأسطورية "عبارة عن غابة من الرموز المحملة بشحنات انفعالية يعتمد الشاعر فيها على إعادة الأسطورة القديمة واستخدامها لخلق أسطورة معاصرة، وكان من نتائج استخدام الأسطورة أن أصبحت القصيدة طويلة تشتمل على حشد كبير من الرموز تجمع بين الخرافة والحقيقة والقصة والمثل."⁽⁵⁾

وكان توظيف الأسطورة في الشعر الحديث لأهميتها باعتبارها منبعاً رمزياً في التراث "واستغلالاً لدلالة الرمزية في الأسطورة جنح بعض شعرائنا إلى استخدامها في بناء القصيدة المعاصرة، وأحياناً كانت الأسطورة بالنسبة لهم

1- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص289.

2- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص163.

3- الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د. ط، 1998، ص27.

4- التصوير الشعري، عدنان حسين قاسم، ص164.

5- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص43.

أداة فنية ضمن عديد من وسائل الأداء الشعري، وحيناً آخر كانت تتجاوز هذا الدور المتواضع إلى حيث تصبح منهجاً في إدراك الواقع ونسيجاً حياً يتخلل القصيدة وأساساً يركز عليه الشاعر في فنه بعامة.⁽¹⁾

كما أنّ "واضعي السير الشعبية الذين استمدوا أبطال سيرهم من التاريخ أضفوا على هؤلاء الأبطال كثيراً من الملامح الأسطورية، وتعتبر شخصية (سيف بن ذي يزن) أغنى شخصيات هؤلاء الأبطال بالملامح الأسطورية التي أضفاها عليه واضع سيرته، حيث جعله يقوم بكثير من المغامرات الخارقة، فهو الذي شق مجرى النيل بعد أن حصل على كتاب النيل المرصود في الحبشة، وهو يتعامل مع الجن، ومع السحرة، وبعض الكائنات الأخرى فوق الطبيعة، ... هذه الملامح الأسطورية في شخصية سيف بن ذي يزن،"⁽²⁾ "سيف بن ذي يزن هذه الشخصية الشعبية قد حملت ملامح أسطورية وإن لم يكن بطلاً أسطورياً بالمفهوم الدقيق للبطل الأسطوري فإنّه يحمل بعض الملامح الأسطورية من خلال مغامراته الخارقة التي كان يقوم بها والتي لا أصل لها في الواقع."⁽³⁾

إنّ لجوء السوسي إلى توظيف الأساطير في شعره تعبيراً عما يدور في وجدانه وخلجات أفكاره من مضامين وهواجس لكي يحقق ما يطمح إليه من كشف الحقائق التي يخفيها بين ثنايا صدره؛ ليبوح بها من قصائده حتى يعيد لها جمال صياغتها وتأليفها وإعطائها مدلولاً حضارياً ملائماً للعصر الذي وظفت فيه مع الحفاظ على مدلولها الأصلي.

ووظف السوسي كثيراً من الأساطير والتي استمدّها من مصادر مختلفة منها أساطير اليونان والرومان، ومن الرموز الأسطورية التي استخدمها في شعره سيف بن ذي يزن، وفينوس وأفروديت ... وغيرها.

فذكر شخصية (سيف بن ذي يزن) في قصيدته (المجد لله) والتي يقول فيها:

عُرْسٌ تَجَلَّتْ بِهِ بِلْقَيْسُ سَافِرَةً وَاهْتَرَّتْ مِنْ زَهْوِهِ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ⁽⁴⁾

1- الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ص189.

2- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ص232-233.

3- المرجع السابق نفسه، ص232.

4- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص46.

كما تروي عنه الأساطير يمتاز بالمواقف الشجاعة والمغامرات الخارقة فالدلالة الرمزية لهذه الشخصية عرفت بالمكر والدهاء، وهو ملك من ملوك العرب اليمانيين ودهائمهم، فاستطاع تحرير اليمن من الأحباش عند ما ملكوا اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، بمساعدة ملك الفرس كسرى أنوشروان بعد وقوف أهلها معه، ثم حكم (سيف بن ذي يزن) اليمن فمكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة أو دون ذلك، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان،⁽¹⁾ ومن توظيف الشاعر لشخصيته لكي يستطيع التعبير عن قضايا عصره ليتناول من خلاله قضايا الإنسان والإنسانية في العصر الحاضر لإظهار صورته الشعرية.

كما استغل السوسي الرموز الأسطورية القديمة في رسم صورته الشعرية، وهذا جاء واضحاً من استدعاء أسطورة (فينوس) و(افروديت) ليستلهم منها مغزى الجمال لمدينة شحات، فهي مدينة جميلة أصيلة لها طابعها المميز عن بقية المدن في ليبيا، إنها تفوق الوصف بعوالمها الفسيحة، وغاباتها، ومزارها، وحيث مياهها العذبة، والطبيعة الساحرة،⁽²⁾ معبراً عنها بقوله:

تَخْتَالُ " إِفْرُودِيْتُ " نَائِثَةً مَنَحَ الْجَمَالَ عَلَى كَرَائِمِهَا

وقوله :

وَتَلَمَّسَتْ " فِينُوسَ " لَأَنذَةً تُذْري الْمَدَامَ فِي غَمَاغِمِهَا⁽³⁾

في قصيدة (من وحي قوريني "شحات") وظف السوسي أسطورة (افروديت)^(*)، و(فينوس)^(*) وكلاً منهما تمثل آلهة الجمال، وقد وظفهما الشاعر لما تحلمان من إشارات الجمال ليستخلص ما فيهما من إحياءات ودلالات وصفية، ليرمز به إلى مدينة (شحات) وهي أجمل المدن في ليبيا وما هي عليه من مكانة عظيمة في نفس الشاعر من رؤيته الخاصة فكلاً من الأسطورتين منحت مدينة (شحات) طاقة إيحائية، وأضفى عليها الشاعر

1- نظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، 1992، ص149.

2- انظر: مجلة الثقافية العربية، ع 300، 2008، ص142-143.

3- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص337، 339.

* " افروديت " آلهة الجمال عند اليونان (الإغريق).

* " فينوس " آلهة الجمال عند الرومان.

دلالة معاصرة تتفق مع تجربته الشعورية من خلال ما تحمله من دلالات الجمال، وأن استدعاء الأسطورتين أعطى الشاعر بعداً شعرياً ربط من خلاله بتجربته الشعورية، وهكذا يكون استدعاء الأسطورة في الواقع الحاضر يدفع به إلى استجلاب الماضي، أو استدعاء الأسطورة في الماضي ليبرهن بها في الواقع الحاضر.

رابعاً: الرموز الطبيعية:

الطبيعة هي المصدر الأساسي الذي يستمد منه الشاعر عناصره لتكوين صورته الشعرية بما تحتويه من أشجار وأزهار، وأرض وسماء، وصحراء ورمال وحجر، وجبال ووديان، وتعاقب الفصول والليل والنهار، ورياح ومطر، وحيوان وحشرات، وشاطئ وأمواج، "فالطبيعة بظواهرها وأشياءها تُعدّ مصدراً رئيساً يستمد منه الشاعر أكثر عناصره، إذ تمده بمعظم صورته، وأعظمها"⁽¹⁾، "وهي الرموز المستوحاة من عناصر الطبيعة، وتتميز الرموز الطبيعية بكون قيمتها الجمالية متبدلة ومتطورة بشكل مستمر ... إنّ الرمز الطبيعي يتميز بالدينامية والحيوية التي تعطي للمبدع حرية التصرف الفني في هذا الرمز."⁽²⁾

أخذت الطبيعة مكانة عظيمة من الاهتمام في شعر السوسي، فهي تمثل المنبع الأساسي الذي ينهل منه عناصر صورته، والتي بدورها ساعدته على بناء صورته الشعرية، ولنقف على بعض من النماذج من الرموز الطبيعية التي وظفها السوسي في بعض قصائده، ومن ذلك:

1- البحر:

البحر من أهم عناصر الطبيعة التي أوجدها الله تعالى في هذا الكون الفسيح، عميق الأغوار، كثير الأسرار، غريب الأطوار، زرقته تبهج الأنظار، وعلى شاطئه تستريح النفوس، وتغفو العيون، وللبحر معانٍ تختلف باختلاف قوة مده وجزره، وتلاطم أمواجه وسكونها، ويعتبر رمزاً طبيعياً بإيحائية متنوعة الدلالة حين يقول السوسي:

1- الصورة الفنية في شعر علي الفزاني، مسعود عبد الله مسعود، دار شموع الثقافة، الطبعة الأولى، 2010، ص133.

2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قرية زرقون نصر، ص190.

الْبَحْرُ كَالدَّهْرِ وَالسُّطَّانُ ذُو غَرَرٍ وَإِنْ تَرَاءَى لِبَعْضِ النَّاسِ بَسَاماً⁽¹⁾

تختلف معاني البحر بتنوع الدلالة في السياق الشعري حيث نجده في هذا السياق يحمل معنى رمزياً للخداع والخيانة على الرغم من بهجته وزرقته التي تملأ الأفق وصوت هدير أمواجه العاتية حين تلتطم بصخور الشاطئ الممتد.

2- المطر:

"المطر أهمية كبيرة في الحياة ففيه قوة الخلق والتغيير والخير، ... هو ما جعل الشاعر يتعامل معه تعاملًا رمزياً، فلم يعد المطر عنصراً مجرداً من عناصر الطبيعة بل صار بمثابة اللفظة السحرية، ذات الدلالة، التي تعطي الشعر تلك الدقة الشعورية مما يرتفع باللفظ من دلالاته إلى مستوى الرمز."⁽²⁾

والمطر ظاهرة طبيعية يحمل معنى الحياة على هذه الأرض فهو يرمز إلى النماء والخصب والعطاء والخير والفرح، ويحمل غير هذا المعنى من معاني الدمار والخراب والحزن، فمن هنا نفهم دلالة المعنى من السياق الشعري لتحديد المغزى الذي يريده الشاعر، وتأتي قصيدة (أمل الوحدة) تعبيراً عن تعطش السوسي للوحدة العربية التي كان ينتظرها ويؤمن بحتميتها فيقول:

فَسَمَاؤُنَا حُبْلَى سَحَائِبُهَا ————— غَضَباً وَيُوشِكُ يُسْقِطُ الْمَطَرَ⁽³⁾

ويأتي المطر رمزاً للثورة التي لطالما ينتظرها السوسي فيعبر عن ما آل إليه إحساسه وشعوره الذي يملئه الألم والضيق المسيطر على نفسه جراء ما يحصل في الواقع الذي يعيشه من ضعف الإرادة في تحقيق الوحدة العربية لتصدي جبروت العدو الغاشم، فالسما لا تحبل والسحاب لا يغضب، ولكنه حمل المطر الذي هو رمز الثورة التي ولدت الغضب المنبعث من حنايا الشاعر تجاه العدو المستبد، كما هي رمزاً للتطهير.

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص91.

2- الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، ص223.

3- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص138.

3- تعاقب الليل والنهار:

تُعَدّ ظاهرة تعاقب الليل والنهار ظاهرة من الظواهر الكونية الطبيعية تحمل دلالة رمزية مفادها الانتقال من حال إلى حال إذ يقول:

فَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ صَبْحٌ يَنْوَرُهُ فَمَا تَدُوْمُ دَيَاجِيرٌ وَأَغْلَاسُ⁽¹⁾

ظهرت قدرة السوسي الإيحائية في توظيف رمز الليل والنهار، فكان الليل دالاً به ليرمز إلى الماضي الأليم الذي كانت تعيشه الأمة العربية، أمّا النهار دالاً به ليرمز إلى الحاضر المشرق الذي حطم أغلال العبودية والظلم والفساد، ليعيد أمن واستقرار الأمة العربية، فوجود رمز الليل والنهار دلالة على التحول والتغير المستمر في الحياة والانتقال من حال إلى حال، فصور مجيء الدخيل المعتدي لأرض الوطن بالليل الحالك السواد الذي دحر ظلامه ضياء النهار بعودة أهل الأرض بالنصر وطرد الدخلاء مثلما يطرد ضياء النهار ظلام الليل.

كما تُعَدّ الحيوانات بأنواعها من عناصر الطبيعة لها أهميتها وتاريخها وقيمتها الجمالية في التجربة الشعرية، والتي بدورها تعينه على بناء صورته الشعرية، ويصور السوسي الموقف البطولي لأحرار الجزائر حين أعلنوا إصرارهم في خوض المعارك ضد المستعمر الفرنسي، وأقسموا على دحره حيث يقول:

وَمَشُّوْا إِلَى مَا يَنْتَعُونَ ضَرَاغَمًا لَا النَّارُ تُزْهِبُهَا وَلَا الْإِعْصَارُ⁽²⁾

رمز الشاعر لقوة وشجاعة رجال الجزائر الأحرار بالأسود التي تدافع عن عرينها بكل شراسة لا تعرف الرحمة ولا الشفقة تجاه خصمها المعتدي، وهو رمز للدلالة على الإصرار والإرادة الثابتة لرد البغي، وأدرك الشاعر العلاقة بين الرمز والمرموز إليه حين وظف (الضرغام^(*)) وهو رمز القوة والشجاعة فشبه رجال الجزائر الشجعان الذين لا يهابون الموت في سبيل العزة والكرامة بالضرغام، وهكذا رمز السوسي لهؤلاء الأبطال برموز دالة ومعبرة عن ما يقتضيه الموقف الذي جيء به في البيت بأن رمز للأبطال بالأسود.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص19.

2- ديوان الركب التائه، حسن السوسي، ص95.

* الأسد.

المبحث الثاني

اللغة الشعرية عند السوسي

- التكرار.
- التضمين.
- لغة الحياة اليومية.

يعرض هذا المبحث جوانب مهمة في اللغة الشعرية، حيث يمكن الاطلاع على ما تعتمد عليه اللغة الشعرية من تراكيب الجمل، ومدلول العبارات، وتناسقها في السياق الشعري، وخصائصها الفنية، ومواطن جمالها، لاختلاف وتفاوت القدرات الإبداعية من شاعرٍ لآخر.

ولذا تُعدّ اللغة هي القاعدة الأساسية في كل عمل فني أدبي، موظفاً الكلمة أداة للتعبير، فاللغة هي المعبر الأول عن الفكرة، كما تُعدّ حلقة الوصل بين الأديب والمتلقي، فعنصر اللغة أساسي في بناء أي عمل أدبي؛ "لأنّ اللغة كائن حي له كيانه وله شخصيته وليس أداة تعبيرية جامدة"⁽¹⁾ ... "أما اللغة في الشعر فلها شأن آخر، وأنّ لها شخصية كاملة تتأثر وتتوثر، وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي."⁽²⁾

كما أنّ اللغة الشعرية عامل من العوامل الأساسية في تقوية النص الشعري، ومنفذ ينفذ الشاعر من خلاله لأذهان المتلقين ومشاعرهم. "فالشعر هو استكشاف دائم لعالم الكلمة، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة"⁽³⁾، "فالكلمة ليست مجرد صوت له دلالة، وإنّما هي وجود وحضور له كيان وجسم"،⁽⁴⁾ "كما أنّها سبيل الشاعر لبث أحاسيسه ومشاعره، ذلك حين يحسن استخدام الألفاظ، واختيار المعاني مضافاً إليها قيمة الكلمة حين تتبوأ مكانها بين صوحيباتها لتقدم الفائدة، وتخدم السياق العام، والغاية التي يرمي إليها قائلها دون اكتراث بالنوع الذي يتوارى خلف خواصها، ومدى التأثير الذي ستحدثه في نفس المتلقي"،⁽⁵⁾ وللغة الشعرية بعد إيحائي يظهر واضحاً من خلال معانيها ودلالاتها التي تعبر عن معاناة الشاعر من خلال توظيفه الخاص للكلمة في السياق الشعري، وللکلمة مدلول تعبيري حين يشحنها الشاعر بمشاعره وأفكاره، فتثير مشاعر وأحاسيس المتلقين،

1- الأسس الجمالية في النقد العربي "عرض وتفسير ومقارنة"، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1974، ص329.

2- المرجع السابق نفسه، ص350.

3- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص150.

4- المرجع السابق نفسه، ص150.

5- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص199.

وبهذا تكتسب الكلمة قيمة فنية جمالية من خلال وجودها في السياق بين الكلمات الأخرى، وذلك يقودنا إلى "ضرورة الالتحام بين اللغة والتجربة وهي الضرورة التي يحس بها ويقررها الشاعر المعاصر".⁽¹⁾

وهكذا فإنّ اللغة الشعرية تعتمد على اقتران اللفظ بمعناه مع احتمال أن يأتي أحدهما على حساب الآخر؛ فالكلمات رموز للمعاني ووسيلة للمحاكاة تتفاوت في قيمتها من كلمة لأخرى حسب مقتضى الحال، وحسب القدرة على تناولها، وترتيبها، ومن هنا تولد الاستعارات ويبرز الاختلاف بين ما هو مجازي، وما هو حقيقي حيث إنّ المجازي يكون أكثر رقة، وليست الكلمات سواء في دلالتها على المعنى.⁽²⁾

ويُعدّ الأسلوب من أهم مقومات اللغة الشعرية؛ لكونه "يهيئ إحساس السامع وعين الرائي إلى القصيدة، ويجعلها يذوبان فيما تحمل من أفكار، ومضامين، ومن خلال ما قد تحمل مما يحتمل الصدق أو الكذب، أو ما يعبر عن غايات، أو أمنيات، أو رجاء، فإذا ما برع الشاعر في صياغة جملة كان قوله أبلغ في المعنى، وأعظم في التأثير، وأجدر للحكم على لغته الشعرية بالرصانة، والقوة، وعلى ملكته بالعمق، والقدرة، وهي مجموعة من التراكيب يعمل الشاعر على صوغها لتنتج في النهاية عملاً شعرياً متناغماً متناسقاً لا يعتريه تكلف، ولا يشوهه تفكك، أو عدم تجانس".⁽³⁾

ويُعدّ لجوء الشاعر إلى استخدام مقومات اللغة الشعرية رمزاً ضرورياً، للاستعانة بها في زيادة التأثير، وتقريب المعنى في السياق الشعري، مما يزيد النص رونقاً وجمالاً، ومن هذه المقومات التي أعتمد عليها الشاعر حسن السوسي في شعره (التكرار)، و(التضمين)، و(لغة الحياة اليومية)، والتي تُعدّ من مجموع ما اكتسبه من ثقافة واسعة خلال حياته، ليعبر فيها عن رؤيته للعالم في الواقع.

1- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص155.

2- انظر النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة، القاهرة، د. ط، د.ت، ص242، 243، بتصرف.

3- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص 200.

أولاً: التكرار

المعنى اللغوي:

وجود اتفاق بين معاجم اللغة في تعريف كلمة التكرار؛ حيث ورد في لسان العرب "الكُرُّ: الرَّجُوعُ، ويُقال: كَرَّهْ وَكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكُرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وَكُرُورًا وَتَكَرُّارًا... وَكَرَّرَ الشَّيْءَ، وَكَرَّرَهُ: أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى... والكُرُّ: الرَّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرَارُ".⁽¹⁾

كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁽²⁾

المعنى الاصطلاحي:

هو "ترديد الكلمات المترادفة، أو الالتيان بكلمات مختلفة ذات معنى واحد لفائدة أو لتحقيق تماثل صوتي ودلالي لإحداث تأثير جمالي".⁽³⁾

وعرفه مجدي وهبة وكامل المهندس على أنه: "الالتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجد في الموسيقى بطبيعة الحال، كما نجده أساساً لنظرية القافية في الشعر".⁽⁴⁾

"كما للتكرار شأن في اللغة عامة، فلا بد وأن يكون له شأنه في اللغة الشعرية، فقد استند به الشعراء في عدة مواقع، القدماء، وأهل الحداثة سواء بسواء... وللتكرار عدة أغراض منها: التأكيد والتأسيس، والإعلام، والتذكير، والتنبيه، والترغيب، والتعظيم، والتهويل، والوعيد، والحسرة، والتوجع، والتحبب".⁽⁵⁾

"وقد اهتم النقاد والبلاغيون العرب بهذه الظاهرة، ودرسوا فاعليتها في القرآن الكريم، والشعر العربي في مختلف عصوره، ووجدوا أنَّ التكرار يمثل وظيفة وفاعلية في السياق الذي يأتي فيه".⁽¹⁾

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة كرر، ج13، ص47.

2- سورة الشرح، الآيتان 5، 6.

3- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص203.

4- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص66.

5- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص204، 205.

ويرى الدكتور قريرة زرقون نصر أنّ التكرار "من الوسائل اللغوية والتعبيرية التي تسهم في إنتاج الدلالة والمعنى، وهذا إضافة إلى تحقيق نوع الإيقاع الموسيقي في النص الشعري عبر التردد الصوتي المتوازي".⁽²⁾

فأسلوب التكرار ليس بجديد على شعرنا العربي عرفه الشعراء منذ القدم على مختلف عصوره "ولكنه يختلف في دلالاته، وإيحائه من عصر إلى آخر فقد استخدمه شعراء العصر الجاهلي وسيلة لتتبيه المتلقي إلى أهمية الكلمات المكررة التي يقرع الشاعر بها سمعه أكثر من مرة فيؤثر فيه بدلالاته الإيقاعية، وإيحائها التأكيدية لمعنى العبارة التي يبدي الشاعر اهتمامه بها، حيث كان الشاعر يعتمد على إلقاء شعره في المحافل، والأسواق ... ومن ثمّ كان للنطق دور كبير في التأكيد على المعنى، وتوصيل المعاني إلى الأسماع، والتأثير بها في النفوس، أمّا في العصر الحديث فانقل التأثير من المسموع إلى المقروء، والمقروء يحتاج إلى وسائل إيحائية قادرة على نقل المؤثرات النفسية، والمشاعر الداخلية من الشاعر إلى المتلقي، ومن هنا استخدم الشعراء التكرار وسيلة لتحقيق غايات سامية ينشدها الشاعر، ويسعى إلى توصيلها إلى المتلقي".⁽³⁾

فالتكرار يحدث نغماً موسيقياً متجانساً بإعادة الألفاظ في البيت الواحد أو الأبيات المتعددة، ويؤدي إلى إحداث انسجامٍ موسيقي وتقاربٍ نغمي، فصوت الحرف الواحد يعطي البيت نغماً مميزاً، ويكون باعثاً نفسياً يأخذ بالباب السامعين كما يحدث في تكرار الكلمة، والجملة.⁽⁴⁾

"وتكرار اللفظة - الذي يسميه النحويون توكيداً لفظياً- يلجأ إليه الشعراء لإحداث رنين نغمي وجرس موسيقي يساعدهم على تصوير المعنى، وتجسيده بإيجاد علاقة بين جرس اللفظ ومعناه".⁽⁵⁾

-
- 1- الشعر العربي الحديث البنية والرؤية، سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن، دار جرير، الطبعة الأولى، 2011، ص121.
 - 2- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، ص460.
 - 3- الأدب العربي الحديث، حمدي الشيخ، ص193.
 - 4- انظر: لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال نجم العبيدي، دار زهران، عمان، د. ط، 2003، ص60.
 - 5- المرجع السابق نفسه، ص69.

وترى الشاعرة نازك الملائكة أنَّ التكرار من الظواهر اللغوية القديمة التي "تطورت مع تطور التعبير الشعري في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، حيث برز بروزاً يلفت النظر وراح شعرنا المعاصر يتكى عليه، أو كاد يبلغ أحياناً حدوداً متطرفة لا تتُّم عن اتزان".⁽¹⁾

وللتكرار في الشعر الليبي الحديث حضور بارز، فقد وظف الشعراء الليبيون ظاهرة التكرار وسيلة يعتمد عليها الشاعر في التعبير، وتعميق المعنى الشعري في قصائده، ويمكن تقسيم ظاهرة التكرار إلى نوعين: التكرار البسيط، والتكرار المركب.

أولاً: التكرار البسيط

يأتي هذا النوع من التكرار على صورة تكرار كلمة واحدة وقد يكون تكراراً للحرف، أو الأداة، أو الاسم، أو الفعل في القصيدة العمودية، أو الحرة، "ويعد الشعراء -غالباً- إلى تكرار الكلمة التي تستقطب المعنى، والتي تستحوذ على اهتمام الشاعر، فيكررها تأكيداً لمعناها، وبياناً لأهميتها، وترجيحاً لجرسها وصدائها"⁽²⁾ وتكرار الكلمة الواحدة باللفظ والمعنى يفيد في غرض من الأغراض التي يقصدها الشاعر، كما يفيد في تأكيد المعنى، وتقوية الجرس الموسيقي في القصيدة.

ويشكّل التكرار في شعر السوسي دوراً فعالاً على أنّه ظاهرة أسلوبية يعبر من خلالها عن فكرته ورؤيته الخاصة، والتي يسعى إلى تأكيدها وتقويتها عبر أداء شعري متميز.

ومن قراءة دواوين الشاعر حسن السوسي تجد أنواعاً كثيرة ومتعددة للتكرار في قصائده منها تكرار الحرف، والكلمة، والعبارة، وتكرار بيت الشعر، وهذه الأنواع هي الأكثر ظهوراً في قصائد الشاعر، وتَمّ في هذه الدراسة الكشف عن فاعلية هذه الظاهرة ، وبيان دورها في السياق الشعري.

1- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1947، ص241.

2- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال نجم العبيدي، ص73.

ومن أنواع التكرار البسيط:

أ. تكرار الحرف:

يكرر الشاعر الحرف بعينه في بعض الأبيات من قصائده، ليؤكد تجدد المعنى، وتجسيم المشاعر، والأحاسيس، ففي قصيدته (أمل الوحدة) كرر حرف النفي (مازال) قائلاً:

مَا زَالَ فِي أَجْفَانِنَا وَسْنٌ مَا زَالَ فِي أَوْصَالِنَا خَدْرٌ
مَا زَالَتْ الْأَيْدِي مُفَكَّكَةً مَا زَالَ يَحْدِقُ بِالْحِمَى الْخَطَرُ⁽¹⁾

يكرر الشاعر (ما زال) النافية في النص أربع مرات ليؤكد على الاستمرار في النضال لتحقيق الوحدة العربية بين أقطارها، ويتكرر (ما زال) النافية تعطي دلالة إيحائية على الاستمرار في الكفاح حتى النصر.

ثم ينتقل إلى تكرار حرف الاستفهام (ما) في قصيدة (جانحاً نسر) حيث يقول:

فَمَا الشَّعَارَاتُ فِي السَّاحَاتِ نَزَفْعُهَا؟ وَمَا الْأَنَاشِيدُ نَزْجِيهِنَّ وَالنَّعْمُ ؟
وَمَا النُّسُورُ الَّتِي فِي الْأُفُقِ سَابِحَةٌ بِهَا الْفَضَاءُ الْغَرِيضُ الرَّحْبُ يَزْدَحِمُ ؟
وَمَا السِّيَادَةُ ؟ غَنَيْنَا مَلَا حِمَاهَا فَمَا تَحَرَّكَ مِنْ أَعْلَامِهِمْ عَلمُ⁽²⁾

كرر حرف (ما) ليستفهم به عن واقع الأمة العربية، وما حلَّ بها من ضياع للحقوق، باتباعهم للأهواء وملذات الحياة، فيؤكد على تحقيق الوحدة العربية الفعلية التي يلتم من خلالها الشمل، وتوحد الصف، فهي مطلب عظيم لكل عربي تشغله الأمة العربية، فالشعارات، والأنشيد، والأنغام لا تجدي في هذا الزمن بل ما يريد أن يؤكد الشاعر هو تغيير الواقع بالثورة عليه.

ويأتي أسلوب الاستفهام (هل) بغرض استنهاض وتحريك الهمم حين ألقت هذه الفتاة العربية بتساؤلها عن أبناء قومها معانبةً، وهي تعاني المرارة، واليأس من عدوٍ لا يعرف الرحمة، فتنتظرهم ليحرروها من عبودية الاحتلال، وجبروته في قصيدة بعنوان (لا تعتب)، ومن ذلك قوله:

1- ديوان إشارات، حسن السوسي، ص139.

2- ديوان نوافد، حسن السوسي، ص15.

هَلْ قَاوَمْتُمْ... هَلْ جَاهَدْتُمْ ؟ هَلْ قَدَّمْتُمْ شَيْئاً قُرْبَى ؟
هَلْ رَوَّعْتُمْ يَوْماً خَصْماً ؟ هَلْ فَرَجَّيْتُمْ يَوْماً كَرْباً ؟⁽¹⁾

يتجه الشاعر إلى تكرار أداة الاستفهام (هل) لما لها من بعد إيحائي يثير مشاعر المتلقي، ويعبر عن أفكار الشاعر، وأحاسيسه بالقضية، فمن تكرار (هل) الاستفهامية يستتكر شاعرنا على لسان فتاة فلسطينية عدم وقوف العرب إلى جانبهم في محتنتهم الصعبة وتخاذلهم لدحر الغزو الإسرائيلي.

كما نرى شاعرنا كرر حرف النداء في قصيدة (الجل) مستخدماً في هذا النص أسلوب النداء (يا) فبرز من التكرار صفات المخاطبة للجل حيث يقول:

فَيَا كَبِيراً يُطَاوِلُ كُلَّ كَبِيرٍ إِذَا لَيْلُ الْحَوَادِثِ يَذْلَهُمْ
وَيَا غِيلاً تَوَارَتْهُ أُسُودٌ لَهُمْ فِي الْبَاسِ سَابِقَةٌ وَعَزْمٌ
وَيَا هِمَماً وَتَارِيخاً وَمَجْداً لَهُ فِي الصَّخْرِ تَخْلِيدٌ وَرَقْمٌ
وَيَا قِمَماً تَزِلُّ الْعَيْنُ عَنْهَا وَتَلْعَبُ بِالْغُيُومِ وَتَسْتَحِمُّ
وَيَا أَغْوَارَ لَمْ يُدْرِكْ مَدَاهَا إِذَا اسْتَكْنَهَتْهَا ظَنٌّ وَرَجْمٌ⁽²⁾

توظيف النداء وتكراره في القصيدة أعطى بعداً إيحائياً، فظهر مدى تعلق مشاعر وأحاسيس السوسي بذلك الجبل الأشم الذي له وقع في نفسه.

ويأتي تكرار السوسي لحرف الجر (في) في البيتين مبرزاً قيمته الفنية لإعطاء معنى جديد من وصف أماكن

الجمال في قصيدة (موطن الأمجاد) التي يقول فيها:

فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْهُ أُبْصِرُ جَنَّةً بِالْحُسْنِ حَالِيَةً وَبِالْأَمْجَادِ
فِي شَطْهِ الْمَسْحُورِ أَوْ فِي مَرْجِهِ أَوْ فِي رُبَاهِ الْخَضِرِ وَالْأَطْوَادِ⁽³⁾

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص40.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص16، 17.

3- ديوان ليالي الصيف، حسن السوسي، ص12.

ب- تكرار الكلمة:

يكرر الشاعر الكلمة بعينها في بعض الأبيات من قصائده ويلح عليها لكونها تشكّل عنصراً فاعلاً في القصيدة وتأكيداً على ما تحمله من مشاعر ومعانٍ جديدة لها أثر على المتلقي، ويكون تكرار الكلمة في (الاسم والفعل). ووظف السوسي تكرار الكلمة في شعره لدوافع نفسية وفنية لها علاقتها بالنص الشعري المعاصر، ومن أمثلة تكرار الكلمة عند السوسي تكرار كلمة (لستم) في قصيدة بعنوان (لا تعتب) وجاءت هذه الأبيات تحمل أسلوب التكرار للكلمة (لستم) فالسوسي يتفاعل مع ما تعانيه تلك الفتاة العربية، حيث يبرز قسوة المعاناة فيقول:

لَسْتُمْ قَوْمِي لَسْتُمْ أَهْلِي لَسْتُمْ عَوْنِي لَسْتُمْ غُرْبًا⁽¹⁾

كرر كلمة (لستم) في النص أربع مرات لدلالته الإيحائية في نفسه تجاه معاناتها لتعبر عن إنكار، ونفي لمن حولها من قوم، وأهل، وعون، وعرب.

كما يكرر السوسي كلمة (هنا) في هذين البيتين من قصيدة (مغربية) في كل شطر ليؤكد ممّا يدور في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس، فيقول:

فَهُنَا الْمَحَاسِنُ قَدْ مَلَأْنَ مَشَاعِرِي وَهُنَا الْمَفَاتِنُ قَدْ مَلَكْنَ جَنَانِي
وَهُنَا الثَّغُورُ الْمَشْرِقَاتُ بِشَاشَةٍ وَهُنَا الْقُدُودُ تَمِيسُ كَالْأَغْصَانِ⁽²⁾

كرر كلمة (هنا) في البيتين أربع مرات واصفاً ما عليه بلاد تونس من محاسن، ومفاتن في طبيعتها الساحرة، وبشاشة أهلها، فتكرار كلمة (هنا) أضفت على النص دلالة إيحائية تدل على الرضى، والانبساط، والاستمتاع، والراحة النفسية للشاعر.

ويتجلى التكرار في أبيات تحفل بتحفة ثورة الجزائر التي خلصت أهلها من قبضة الاستعمار الفرنسي في قصيدة بعنوان (تحية) يقول فيها:

حَيِّ هَذِي الرُّبَا وَهَذِي الْمَغَانِي مِنْ قُسْنُطِينَةٍ إِلَى وَهْرَانِ

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 37.

2- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص 27.

حَيِّ فُرْسَانَهَا الْأَشَاوَسَ مِنْ سَأَلُوا عَلَيْهَا لُظَى وَحَيِّ الْغَوَانِي⁽¹⁾

يحيي الشاعر بلاد الجزائر وأبطالها بما تحمله كلمة (حيّ) من إحياءات ودلالات مشيرةً إلى ملاحم الثورة الجزائرية التي انطلقت بأبطالها من قسنطينة إلى وهران لتحرير أرضها، وقهر عدوها، فهي بلاد مليون شهيد وبطلها الشهير عبد القادر الجزائري.

ثانياً: التكرار المركب

يكون التكرار من هذا النوع "تكرار جملة أو صدر بيت شعري، أو عجزه، أو بتكرار البيت بأكمله، ويكون -في الغالب- في بداية المقاطع التي تتألف منها القصيدة، ولاسيما في الشعر الحديث، أو داخل هذه المقاطع، أو في جزء من القصيدة التي لا تتخذ من المقاطع أسلوباً لها، ويأتي إلحاح الشاعر على التكرار المركب لقناعته بالدور الذي يؤديه في بناء القصيدة ورسالتها، ويتعدد هذا النوع في الشعر عامة، وفي الشعر الليبي خاصة.⁽²⁾ والتكرار المركب يضفي على القصيدة نغمة موسيقية لتقوية المعنى، وتأكيده للمتلقى، كما أنه يكشف عن رؤية الشاعر. ومن نماذج التكرار المركب التي وظفها السوسي في شعره من خلال قصائده تكرار العبارة حيث كرر عبارة (عشر من السنوات) في قصيدة (دمشق) ليعبر عن رؤيته الخاصة، فيقول:

عَشْرٌ مِنَ السَّنَوَاتِ مَا قَدَرْتُ عَلَى إِلَهَاءِ ذَاكَرَتِي وَفَكَ وَثَاقِي
عَشْرٌ مِنَ السَّنَوَاتِ مَا زَرَعْتُ سِوَى قَلْقِي وَمَا صَنَعْتُ سِوَى أُوْهَاقِي⁽³⁾

تكرار لفظ (عشر من السنوات) فيها ما فيها من ألم ومعاناة في نفس الشاعر تجسده طول الفترة الزمنية دون أن تنتهي ما بداخله من حب ووله، ودون أن تطفئ ما بداخله من قلق وخوف تعبيراً عن حبه للوطن الجميل سوريا، عند زيارة شاعرنا لدمشق بعد غياب دام عشر سنوات، ففي "سنة 1979 زار الشاعر دمشق... وكانت تلك الزيارة في أعقاب إعادة العلاقات الأخوية بين سوريا والعراق بعد انقطاعها زمناً، فكان لذلك صدى في الأوساط

1- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص39.

2- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص215، 216.

3- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص10.

الأدبية بدمشق وبغداد حفزت الشاعر لنظم هذه القصيدة مشاركة في فرحة القطرين بهذا الالتقاء لاسيما وكلاهما عضو في جبهة الصمود.⁽¹⁾

وفي قصيدة (تحية) يكرر السوسي الاستفهام فيستخدم أسلوب تكرار العبارة في بداية الشطر في هذين البيتين من قصيدته إذ يقول:

مَنْ يَكُونُ الْيَهُودُ لَوْ جَمَعْتُنَا قُوَّةُ الْعِزِّ وَاتِّحَادِ الْجَنَانِ ؟
مَنْ يَكُونُ الْيَهُودُ لَوْ قَدْ مَشَيْنَا مَرَّةً صَادِقِينَ لِلْمَيِّدَانِ ؟⁽²⁾

كرر عبارة (من يكون اليهود ؟) للتعبير عن أسفه على تشتت العرب وذهاب كلمتهم فلو اجتمعت هذه الأمة والتأم شملها لما كان لليهود علينا سلطاناً ولا قوة، فاستعمل الشاعر أداة الاستفهام (مَنْ) وكررها للتعبير عن الحسرة والاستنكار لغفلة العرب وتفككهم وتخاذلهم.

ومن أمثلة تكرار صدر البيت فقد كرر في قصيدة (إفريقيا) مرتين قائلاً:

وَصَيَّرَهَا الْجُوعُ مِثْلَ الْخَيَالِ عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُوعُ مَا أَبْشَعُهُ
ثم كرره بعد اثني عشرة بيتاً قائلاً:

وَصَيَّرَهَا الْجُوعُ مِثْلَ الْخَيَالِ وَمَا أَكْفَرَ الْجُوعَ، مَا أَفْظَعُهُ⁽³⁾

كرر صدر البيت تأكيداً على رسم صورته الحسية تجاه (إفريقيا) ليصور الحالة المأساوية التي تعيشها القارة السمراء حينما يصف حال بشاعة وفضاعة الجوع، ليقوي روابط الانتماء الذي جعله يشعر بمأساتها فالشاعر عاش تجربة ذلك الجوع عندما كان وطنه - ليبيا - محتلاً من قبل إيطاليا.

كما يأتي تكرار السوسي لصدر البيت كاملاً في قصيدة (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) معبراً عما يتمناه من إخوته العرب لتوحيد الصف لنعيش في سلام آمنين من غدر المتربصين قائلاً:

جَرِّبُوا - مَرَّةً - تَكُونُوا جَمِيعًا ثُمَّ عُدُّوا كَأَنَّكُمْ غُرَبَاءُ

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص 9.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص 45.

3- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 59، ص 61.

جَرَبُوا - مَرَّةً - تَكُونُوا جَمِيعًا يَتَجَنَّبُ حِمَاكُمُ الدُّخْلَاءُ⁽¹⁾

يدعو الشاعر إخوته العرب وينصحهم بوحدة الصف العربي، ففي تكراره لصدر البيت مرتين يتمنى الشاعر أن يخوضوا هذه التجربة ولو مرة؛ لكي يتخلص العرب من رتابة الواقع الذي هم عليه، فيبث في نفوس أبناء العرب روح الثورة والانتقام؛ لاسترجاع مجدهم، ودفع العدوان عن أرضهم، وللتكرار دلالاته الإيحائية في رسم صورة حسية تعكس مشاعره، وأحاسيسه على المتلقي فيتأثر بها.

ويلي تكرار صدر البيت تكرار البيت كاملاً في بعض قصائد السوسي الشعرية، ومن تكرار البيت كاملاً ما جاء في قصيدة (الجل) حين كرر مرتين قائلاً:

أَتَيْتُكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْأَشْمُ وَبَيْنَ جَوَانِحِي شَوْقٌ مُهِمُّ

وفي نفس القصيدة جاء التكرار بعد ثمانية وعشرون بيتاً حيث قال:

أَتَيْتُكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْأَشْمُ وَبَيْنَ جَوَانِحِي شَوْقٌ مُهِمُّ⁽²⁾

أنبأ التكرار عن مدى اشتياق السوسي للجبل الأخضر الأشم، ليرز حقيقة طبيعته الساحرة من خلال رؤية الشاعر الخاصة للنص فيظهر التكرار دلالة صدق عواطفه، ومشاعره بذلك الجبل. وفي بيت شعري آخر من نفس القصيدة كرر البيت كاملاً مرتين حيث قال:

حَمَلْتُكَ فِي الضُّلُوعِ هَوًى وَشَوْقاً وَأَيَّاماً لَهَا فِي الْعُمْرِ رَشْمُ

ثم كرر البيت كاملاً في نفس القصيدة بعد أربعة عشر بيتاً قائلاً:

حَمَلْتُكَ فِي الضُّلُوعِ هَوًى وَشَوْقاً وَأَيَّاماً لَهَا فِي الْعُمْرِ رَشْمُ⁽³⁾

يصور مكانة الجبل في قلبه، كما يظهر شغفه وتعلقه به، وما ربطه به من ذكريات جميلة، فيأخذ التكرار منحى نفسياً يعبر الشاعر من خلاله عن توهج الشوق، والحب في نفسه تجاه من يحب، ويهوى فيرفع من ذكره. وفي كل مرة يكرر السوسي أبياتاً في قصيدته (أمل الوحدة) ليربط بها بين مقاطع القصيدة ويتخذها محوراً لحديثه، مبرزاً أبعاد قضيته فيقول:

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 87.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص 15، 20.

3- المصدر السابق نفسه، ص 17، 20.

لَقَّهَا لَيْلٌ طَوِيلٌ	وَمَضَى جَيْلٌ وَجَيْلٌ
ثُمَّ قَدْ نَبَّهَهَا مِنْ	نَوْمِهَا صُبْحُ جَمِيلٌ
مِنْ جِبَالِ الْأَطْلَسِ الشَّمِّ الْعَوَالِي	لِبَطَاحِ الْمَشْرِقِ الزَّهْرِ الْحَوَالِي
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ نَسَبْتُهَا	لِلخَفَافِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ الطَّوَالِ
قَدْ عَرَّتْهَا كَبُوءَةٌ ثُمَّ انْتَشَتْ	تَبَعْتُ الْمَجْدَ وَتَسَعَى لِلْمَعَالِي
لَقَّهَا لَيْلٌ طَوِيلٌ	وَمَضَى جَيْلٌ وَجَيْلٌ
ثُمَّ قَدْ نَبَّهَهَا مِنْ	نَوْمِهَا صُبْحُ جَمِيلٌ ⁽¹⁾

فالشاعر من تكراره للبيتين بين مقاطع القصيدة يؤكد إصراره على تقوية الروابط القومية من لغة، وأصل، ودم وغيرها والتي تربط العرب ببعضهم البعض من المشرق الى المغرب، والتكرار يعطي إحياءً دلاليًا في الوقوف على حقيقة المعنى في النص من قوة إشادته بمآثر العرب.

ثانياً: التضمين

المعنى اللغوي:

ورد تعريف التضمين في لسان العرب على أنه: "الصَّمِينُ: الْكَفِيلُ صَمِنَ الشَّيْءَ وَبِهِ صَمْنًا وَصَمَانًا: كَفَلَ بِهِ وَصَمَّنَهُ إِيَّاهُ: كَفَّلَهُ، وَصَمَّنَ الشَّيْءَ الشَّيْءَ: أَوْدَعَهُ إِيَّاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِي وَعَاءٍ فَقَدْ صَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ."⁽²⁾

المعنى الاصطلاحي:

هو "إعطاء الشيء معنى الشيء، وبعبارة أخرى إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه،"⁽³⁾ والتضمين في البديع العربي هو: "أن يضمن الشاعر شعره بيتاً من شعر الغير مع التصريح بذلك إن لم يكن السبب المقنن معروفاً للبلغاء."⁽⁴⁾ وسليمان زيدان يعرف التضمين على أنه: "يضمن الأديب نتاجه الأدبي بعضاً من أقوال الآخرين، كلفظ، أو عبارة، أو قول، أو بيت من الشعر، أو شطر شعري، أو مثل شعبي، يدعم به قوله، أو لينطلق منه

1- ديوان نماذج، حسن السوسي، ص12.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة ضمن، ج9، ص65.

3- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ص485.

4- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص61.

بعد أن يستلهم الفكرة من ثناياه، ويعزز بها مخيلته،⁽¹⁾ كما يكون بتضمين "نص قرآني أو بعض ألفاظ وردت في القرآن الكريم، أو في حديث نبوي شريف، أو معنى ورد في أحدهما، ويوظف الشاعر لعلمه بما فيه من قوة وبلاغة تعينه على تجسيد فكرته، ويجعلها أكثر مصداقية، وأكثر ضماناً في النفاذ إلى حيث يريد."⁽²⁾

ولم يكن التضمين حديث عهد، بل عرفه الشعراء منذ القدم حيث ضمن الشعراء قصائدهم ما يناسبهم من القرآن، والحديث، وشعر القدماء، والأمثال، بأخذ المعنى، أو الفكرة ليبني عليها الشاعر قصيدته، وصولاً إلى هدفه. والتضمين عند ابن الأثير ينقسم إلى ضربين:

1. الضرب الأول من التضمين:

"(حسنٌ و مُعِيبٌ) فالتضمين الحسن: هو أن يضمّن الشاعر الآيات، والأحاديث النبوية فيرد على وجهين أحدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي، فأما التضمين الكلي فهو ذكر الآية والخبر بجملتها، وأما التضمين الجزئي فهو إدراج بعض الآية والخبر في ضمن كلام، فيكون جزءاً منه."⁽³⁾

وفي ذلك يقول السوسي في قصيدة (بنغازي):

أَلَقَّ عَصَاهُ لَدَيْكَ بَعْدَ تَشْرِدٍ فَنَجَا مِنَ الْإِقْتَارِ وَالْإِغْوَاكِ⁽⁴⁾

وأما التضمين المُعِيب: فهو "تضمين الإسناد من الشعر، أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الأول منهما مسنداً إلى الثاني فلا يقوم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلا بالثاني، وهذا هو المعدود من عيوب الشعر،"⁽⁵⁾ إلا أنه عند ابن الأثير غير مُعِيب لكثرة وروده في القرآن الكريم، كما استعملته العرب كثيراً وورد في شعر فحول شعرائهم. ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (انتحار):

1- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص 237.

2- المرجع السابق نفسه، ص 231.

3- المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الجزء الثاني، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط. د. ت، ص 200، 201.

4- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص 49.

5- المصدر السابق نفسه، ص 201.

هَذِي الْعَيُونُ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ وَفِي مَدَاهَا يَحَارُ الْعَقْلُ وَالْفَكْرُ⁽¹⁾

2. الضرب الثاني من التضمين:

هو "أن يضمن الشاعر شعره، والناثر نثره كلاماً آخر لغيره قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاماً، وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت، أو أقل منه."⁽²⁾ ونلتمس ذلك في قصيدته (قالت .. وقلت):

فَجَاءَ نَادِلُهُ يَسْقِي فَذَكَرْنَا
شَاوٍ مِثْلٍ شُلُولٍ شَلْشَلٍ شَوْلٍ⁽³⁾

وتعدد التضمين في الشعر الليبي وظهر في العديد من قصائد الشعراء من بينهم الشاعر حسن السوسي، وللتضمين في شعره نماذج كثيرة تضمنت من القرآن، والحديث، والشعر، والأمثال، نأخذ بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: التضمين الديني

يُعدّ التضمين من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في شعر حسن السوسي منبعاً أصيلاً لا ينضب، يستمد منه الشاعر لتكوين شعره من خلال بعض النصوص التي اعتمدت في تكوين الفكرة عليه، فيُعدّ مادة أساسية لتشكيل رؤيته الشعرية، كما يُعدّ مصدراً أساسياً في تكوين ثقافته منذ طفولته حين قرأ القرآن الكريم لأول مرة على يد والده الذي كان معلماً للقرآن الكريم في واحات الكفرة، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف بمصر، فحفظ ربع القرآن الكريم، ودرس كثيراً من العلوم الدينية المختلفة،⁽⁴⁾ ولثقافة السوسي الدينية دور بارز في استحضار التضمين الديني في نصوص شعره، لنقف على بعض النماذج للتمثيل به، حيث قسّم التضمين الديني إلى قسمين: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص47.

2- المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، الجزء الثالث، ص203.

3- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص 256.

4- انظر: الفصول الأربعة، حوار مع الشاعر، العدد 64 -65، ص160، بتصرف.

أ. القرآن الكريم:

من نماذج تضمين معاني النص القرآني في النص الشعري من القرآن الكريم قول السوسي في قصيدة (النجم الساطع):

تَوُوا وَلَكِنَّهُمْ أَحْيَاءُ مَا بَرِحُوا بَاقِينَ حَتَّى وَإِنْ مَاتُوا وَإِنْ قُتِلُوا⁽¹⁾

يتضمن النص الشعري معنى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽²⁾

وظف الشاعر ألفاظاً من القرآن الكريم يضمن بها نصه الشعري، فالتضمين بين النص الشعري والنص القرآني ما تحمله الآية من معنى، ومضمون يتمثل في جزاء الفوز بالجنة للذين لقوا ربهم شهداء في سبيل الله، ويخبرنا الله تعالى عن هؤلاء الشهداء بأنهم: "وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار"⁽³⁾، ومفاد هذا إخبار منه بذلك لتعظيم مكانة الشهداء عن غيرهم من الذين قتلوا.

وما تضمنته الآية القرآنية من معنى بأن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الدعوة والوطن والشرف والكرامة سيبقى صنيعهم مخلداً على مدى الحياة.

ويقول السوسي في قصيدة (جارة الأردن):

فَقُلْ لِلْغَرْبِ لَيْسَ الْعَرَبُ	خَيْمَتُهُمْ وَلَا الْجَمَلُ
وَلَا دِمْنًا مُعْطَلَةً	وَلَا رِسْمًا وَلَا طَلًا
وَلَيْسُوا اللَّاءُ وَالْعُرَى	هُمُ وَمَنَاءُ أَوْ هُبَلًا
وَلَكِنْ هِمَّةٌ فَتَرَتْ	وَمَجْدٌ شَاخٌ وَانْتَهَلَا

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص40.

2- سورة آل عمران، الآية 169.

3- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، المجلد الأول، دار الصابوني، القاهرة، د. ط، د.ت، ص336.

فَمَنْ سَيُعِيدُ صَبْوتَهُ وَيُنْعِشُ مِنْهُ مَا ذُبِلَا⁽¹⁾

يتضمن النص الشعري معنى الآية القرآنية من قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾⁽²⁾

فجاءت إشارة تضمين الآية القرآنية في النص الشعري من خلال توظيف السوسي بعض الألفاظ في نصه لفائدة مضمون الآية، وأنه يُعلم الغرب أنَّ العرب اليوم ليسوا بالأشياء المحقَّرات من خيام وجمل ودمن وأطلال وأنصاب وأوثان عفا عليها الزمن وأبطلها وحقَّرها الإسلام الحنيف، بل العربي بعد الإسلام هم المجد والحق والعدل والسلطان حتى وإنْ بدا عليه شيء من الفتور، فهو فقط في انتظار من يبعث الفتوة من جديد ويعلن الانتفاضة.

فالسوسي في نصه الشعري بيّن للغرب حقيقة واقع الأمة العربية، وما واكبته من تطور وتجدد، ليعكس نظرة الغرب إليهم من خلال إشارته بفعل النفي (ليس) الذي يشير إلى التحول، والتغير والانتقال عمّا كان عليه العرب في القديم. وقوله في قصيدة بعنوان (النسيان):

قَدْ عَادَ بِالْمُتَمَرِّدِينَ — عَلَيْهِ جَبَّارًا عَصِيًّا⁽³⁾

فقد ضمن شاعرنا نصه الشعري ببعض الألفاظ التي وردت في الآية القرآنية من قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾⁽⁴⁾ فتّم تضمين النص القرآني في النص الشعري من خلال توظيفه للفظتي (جباراً، عصياً)، كلاً منهما تفيد أن شدة التكبر، وعصيانه لأمر ربه. فالآية الكريمة جاءت لإظهار قدرة الله سبحانه وتعالى العظيمة على خلقه حين وهب سيدنا زكريا يحي ولداً وهو عليه هين.

فقد وظف الشاعر بعض الألفاظ في النص الشعري؛ لنقل مضمون الآية القرآنية منها (جباراً، عصياً) في الآية القرآنية ونفى بها التكبر ومخالفة أمر الله سبحانه وتعالى، بينما جاءت في النص الشعري مشيرة إلى الخروج، والتمرد، والكفر، والعصيان.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 163-164.

2- سورة النجم، الآيتان 19، 20.

3- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص 280.

4- سورة مريم، الآية 14.

وجاء توظيف السوسي لهذه الألفاظ للإشارة إلى قصة سيدنا زكريا عليه السلام حين وهبه الله ولده (يحيى) - عليه السلام - على الكبر، وكانت امرأته عاقراً؛ ليبين في الآية ما كان عليه نبي الله يحيى، فلم يكن جباراً، ولا عاصياً، ولا ناسياً أفضال ربه عليه.

بينما في النص الشعري ما أراده السوسي هو أن لا يكون الإنسان ناسياً لماضيه خيره وشره، فالنسيان مرتبته من مراتب التجبر، والعصيان.

ومن قصيدة (دمشق) يقول السوسي:

يَا جَبْهَةَ الرَّفْضِ الْمَنِيعَةِ مَا عَنَتْ إِلَّا لِعَزِّ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ⁽¹⁾

يتضمن البيت الشعري معنى اللفظ (عنت) في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾⁽²⁾

وضمن الشاعر نصه الشعري بعض الألفاظ التي وردت في النص القرآني من خلال توظيف السوسي الآية القرآنية لمضمون النص الشعري معتمداً في ذلك على اللفظ (عنت) التي جاءت بمعنى (خضعت، وذلت، واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء، يدبره، ويحفظه، فهو الكامل في نفسه،... كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به).⁽³⁾ أمّا ما يحمله النص الشعري من مضمون يتمثل في قوة العرب القتالية وهي تتصدى لعدوها بكل بسالة في جبهة الصمود، فهي لا تخضع إلا لخالقها، فالنص القرآني جاء واضحاً في خضوع الخلائق جميعها لله الواحد القهار، بينما في النص الشعري أكد الشاعر عدم خضوع العرب لعدوهم من خلال توظيفه لأداة النفي (ما) ليؤكد الشاعر لعدوه أن العرب لا تخضع إلا لله.

فنقطة الالتقاء بين النصين - النص الشعري والنص القرآني - هي حقيقة الخضوع والاستسلام لله.

كما يقول السوسي في قصيدة بعنوان (درنة والمهرجان):

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص12.

2- سورة طه، الآية 108.

3- تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، ص494.

وَمَا الَّذِي تَرَكْتُ مِنَّا السُّنُونُ لَهَا فَالظَّهْرُ مُحْدَوِدٌ وَالرَّأْسُ مُشْتَعِلٌ⁽¹⁾

يتضمن البيت الشعري معنى (واشتعل الرأس شيباً) في الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾⁽²⁾

وتم تضمين النص القرآني في النص الشعري من توظيف الشاعر اللفظ (اشتعل) الذي يفيد معنى انتشار الشيب في شعره، كانتشار النار في الحطب دلالة على الكبر، والضعف الذي يعتري الإنسان في هذه المرحلة من العمر، وهذا يسوقنا إلى قصة سيدنا (زكريا) عليه السلام حين دعا ربه دعاء خفياً أن يهب له ولداً يرثه، وامرأته عاقر ليجعله يرث العلم والنبوة أي يحمل رسالة الدين، والدعوة لله، وهذا ما يحمله مضمون الآية من "اضطراب المشيب في السواد والمراد من هذا إخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة."⁽³⁾ حيث يقول السوسي في قصيدة (أفريقيا):

وَمِنْ حَوْلِهِ كَلْبُهُ بِاسِطٌ ذِرَاعِيهِ فِي رَاحَةٍ مُنْتَعَةٍ⁽⁴⁾

يتضمن البيت الشعري معنى (باسط ذراعيه) في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾⁽⁵⁾

وجاء تضمينه النص القرآني في النص الشعري مما تحمله الآية القرآنية من معنى معتمد على بعض الألفاظ التي يدل مضمونها على ما تحمله الآية من دلالة تجسيد قصة أهل الكهف الذين آمنوا على التوحيد على غير ملة قومهم، وكان ملكهم (دقيانوس) فهربوا بدينهم حتى لجأوا إلى الكهف مع كلبهم فأماتهم الله ثلاثمائة وتسع سنة قمرية، ثم أيقظهم الله بعد رقودهم وظنوا أنهم مكثوا يوماً، أو بعض يوم، "وكان الكلب يحرسهم بالباب، وهذا

1- ديوان صدى السنين، حسن السوسي، ص210.

2- سورة مريم، الآية 3.

3- تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، ص442.

4- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص63.

5- سورة الكهف، الآية 18.

من سجيته، وطبيعته حيث يربض بباهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب⁽¹⁾

وجاء شاعرنا بتوظيف هذه الألفاظ للإشارة إلى قصة (أهل الكهف) وليبين معاناتهم وما لقوه من قومهم من تشريد، في حين يبرز النص الشعري حقيقة ما تعانيه (إفريقيا) وما تكابده من عدوها الذي قتل وجوع وشرد حتى قتل الأمل، والحلم الذي كان يحلم به أهل إفريقيا على الرغم مما تحتضنه هذه القارة من خيرات، ونعم كثيرة، فرض سيطرته فلم يرحم صغيراً ولا كبيراً، وهذا التوظيف الذي جاء به السوسي في النص من أجل ربط النص الشعري بالنص القرآني ومن أجل إظهار المعاناة التي يعانيها كل من قارة (إفريقيا) و (أهل الكهف).

ب، الحديث النبوي الشريف:

من نماذج تضمين معاني النصوص الشعرية بالحديث النبوي الشريف عند الشاعر قوله في قصيدته بعنوان (إناس):

إِذَا قَذَتْ عَيْنُ بَغْدَادٍ وَإِنْ رَمَدَتْ بَاتَتْ عَلَى سُهْدِهَا سَهْرَانَةً فَاسٌ
وَإِنْ تَأَلَّمَ فِي لُبْنَانٍ دُؤٌ وَجَعٌ فَالْقَيْرَوَانُ لَهَا شَكْوَى وَأُورَاسُ⁽²⁾

ضمّن شاعرنا نصه الشعري بعض الألفاظ التي وردت في الحديث الشريف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى".⁽³⁾

تضمين نص الحديث في داخل النص الشعري من خلال ما يحمله مضمون الحديث من مبادئ سامية تدور حول ترابط المسلمين وعدم تجزئتهم، ومن الألفاظ التي وظفها السوسي في نصه الشعري (باتت، قذت، سهرانة، شكوى) والتي تفيد في معناها على المعاناة التي يقاسيها العرب في أقطارهم في بغداد، وفاس، ولبنان، والقيروان،

1- تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، ص412، 413.

2- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص18، 19.

3- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري، تحقيق: محمد عبد الباقي، الجزء الرابع، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991، ص1099 - 2000.

وأوراس، فحين يتعرض أي قطر إلى نائبة تبيت الأقطار الأخرى تشكي وتسهر لشعورها بالمعاناة، فالهدف الذي يدور حول الحديث النبوي الشريف التعاضد، والتراحم، والتواد بين المسلمين، فأبرز الشاعر حقيقة ما جاء به الدين الإسلامي، وما حثت عليه السنة المحمدية في نصه الشعري.

وهنا يلتقي التضمين بين النصين في ترابطهم وتوثيق أوامر القربى في الدين والجوار التي جمعت العرب، وجعلتهم على قلب رجل واحد.

ومن تضمين الحديث في شعر السوسي في قصيدته بعنوان (إحسانكم قيد) حيث يقول:

مَنْ سَنَّ عَارِفَةً تَقَلَّدَ شُكْرَهَا وَعَلَى الْمَسِيءِ يُؤُولُ وَزُرُّ الْمُجْنِفِ⁽¹⁾

جاء البيت الشعري متضمناً معنى الحديث النبوي الشريف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ".⁽²⁾

تَمَّ تضمين نص الحديث النبوي الشريف داخل النص الشعري من خلال مضمون الحديث الذي وظف فيه السوسي بعض الألفاظ منها (سن، المسيء، وزر) التي تفيد معنى أَنَّ المؤمن مطالب بتقديم العمل الصالح الذي يؤجر عليه، وينال الثواب من عند الله جزاءً لما دعى إليه من عمل مفاده استمرار الحياة فذلك العمل يأخذنا إلى رجاحة العقل ونضجه.

فنقطة الالتقاء بين النص الشعري ونص الحديث الشريف السعادة التي يجنيها الإنسان من العمل الصالح في الدنيا والآخرة أي سعادة الدارين.

وفي موضع آخر للتضمين عند السوسي في قصيدة بعنوان (تلتقي الأرض ها هنا والسماء) يقول فيها:

تَعَسَ النَّفْطُ حِينَ يَحْرِقُ فِينَا مَا حَبَاهُ الْأَجْدَادُ وَالْآبَاءُ
تَعَسَ النَّفْطُ حِينَمَا يَتَلَاشَى فِي لِظَاهِ الشُّمُوحِ وَالْكَبِيرِيَاءِ⁽¹⁾

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص74.

2- صحيح مسلم، الجزء الرابع، ص2059، 2060.

ضمّن شاعرنا نصه داخل نص الحديث النبوي الشريف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ
وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ".⁽²⁾

جاءت إشارة تضمين نص الحديث النبوي الشريف داخل نص السوسي من خلال توظيف السوسي للفظ (تَعَسَّ) الذي يفيد في معناه على البعد، والهلاك، والسقوط، فالغاية التي تدور حول الحديث النبوي الشريف هي "أنّ المذموم من الدنيا كل ما يبعد العبد عن الله تعالى ويشغله عن واجب طاعته، وعبادته"،⁽³⁾ أمّا ما يحمله النص الشعري من مضمون فهو يتمثل في ذم النفط الذي كان سبباً في فرقة العرب، وتزايد النزاعات، والشقاق فيما بينهم حتى تلاشى ما زرعه الآباء، والأجداد في خلفهم من مودة، وألفة، وتعاقد، وقتل في نفوسهم روح العزة، والأنفة، والكبرياء، والشموخ. وهكذا يلتقي التضمين بين النص الشعري ونص الحديث النبوي الشريف في تغليب المطامع الدنيوية على الآخروية.

ومن هنا تتضح أنّ ثقافة السوسي الدينية أصبحت بارزة ممّا قدّمه من نماذج شعرية في قصائده التي طرحت العديد من قضايا أمته حيث ربط بين ما تتضمنه الآية، وقضية أمته المطروحة في نصه الأدبي لاستنتاج العبرة منها، ووصولاً للكشف عن الحقائق الكامنة وراء كل قضية تهم أمته ساعياً لإيجاد الحلول المناسبة، فمن ثقافته الواسعة بأمور الدين جعل يربط بين النصوص الدينية ونصوصه الشعرية، ومن توظيفه بعض الألفاظ من أجل بيان تجربته الشعرية، وتفصيل أبعاد قضيته داخل النص لإظهار قوة دلالاته. وهذا ما كان واضحاً من استحضاره للتراث الديني في شعره.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص 86، 87.

2- سُبُل السلام، الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمين، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، المجلد الثاني، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1958، ص 174.

3- المرجع السابق نفسه، ص 174.

ثانياً: التضمين الأدبي

هذا النوع من التضمين يكون في النصوص الشعرية والنصوص النثرية.

1- التضمين الشعري: حيث يكون فيه التضمين (جزئياً و كلياً).

أ. التضمين الجزئي:

يضمّن شاعرنا بعض أبياته مع أبيات غيره من الشعراء القدامى والمحدثين، ويكون بتضمين بيت، أو بيتين، أو مجموعة أبيات، أو شطر، أو عجز، أو صدر بيت، أو قول، أو عبارة، أو لفظ ليدعم به الشاعر قوله. وتعدد التضمين في شعر السوسي، وظهر في العديد من قصائده منها قصيدة (النجم الساطع) حيث ضمن السوسي عجز بيته بقول الأعشى:

كَأَنَّ مَشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا عَجَلٌ⁽¹⁾

فيقول:

وَلَمْ يَكُنْ سَيْرُنَا لَمَّا أَهَبْتَ بِنَا مَشْيِ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا مَهْلٌ⁽²⁾

جاء تضمين نص الأعشى داخل نص السوسي من توظيف السوسي الألفاظ التي جاءت في نص الأعشى لتحمل مضموناً مشتركاً من جهة، وتختلف معه من جهة أخرى، فكان الأعشى يصف مشي هريرة فتحمل معنى التوسط والاعتدال، بينما يخاطب به (جامعة النجم الساطع) التي كانت من أكبر المعازل أيام الاستعمار الإيطالي عُذِّبَ فيها، وقُتِلَ فيها الآلاف من الليبيين على أيديهم، أما اليوم فهي من أبرز المنابر العلمية للشعب الليبي، وهي تزدهر بأنواع العلوم والمعارف، فالنجم الساطع يحمل دلالة البطولة، والفداء، والانعقاد، والخلاص، والكبرياء، والشموخ، والعزة.

1- ديوان الأعشى، دار بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1980، ص144.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص41.

ووظف السوسي لفظ (السير) لما يتفق مع مدلول تجربته والذي يدل على المعاناة والمتاعب التي قاساها الشعب الليبي طول هذه الفترة، أما في (المشي) كما وظفه الأعشى يدل على الرغبة فكان مشي هريرة معتدلاً دليل على الارتياح النفسي.

ويأتي تضمين السوسي لعجز بيتين في قصيدة (المؤتمر الحادي عشر للأدباء العرب) بشطر من شعر أبي القاسم الشابي في قوله:

سَاعِيشُ رُغْمِ الدَّاءِ وَالْأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ⁽¹⁾

قائلاً:

قُلْتُ اصْرِفِي عَنْكَ الْهُمُومَ فَإِنَّنَا سَنَعُودُ رُغْمِ الدَّاءِ وَالْإِعْيَاءِ
مِلءَ الزَّمَانِ مُحَلِّقِينَ عَلَى الدَّرَى كَالنَّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ⁽²⁾

تظهر صورة التضمين بين نص الشابي ونص السوسي من توظيف السوسي بعض الألفاظ التي تحمل مضمون مشترك بين النصين الذي يتمثل في معاناة كل من السوسي والشابي، ومن توظيف السوسي لبعض الألفاظ التي تحمل دلالات منها: (الهموم، اصرفي، سنعود، الداء، الإعياء) تشير إلى عمق المعاناة وطول مدة الانتظار؛ لتحقيق إرادته وطموحه في العيش الكريم على وجه الأرض، فالنسر لا تعيش إلا فوق قمم الجبال العالية علو شأنها، والإنسان كذلك لا يرضى إلا حياة الشموخ، والكبرياء، والعزة فوق القمم الشماء، والشابي كذلك يريد تحقيق رغبته رغم الداء والإعياء، وهذا يدل على قوة العزيمة والإصرار على العودة، والعيش في أحضان وطنه الغالي، فالسوسي والشابي كلاهما عانى تجربة الغربة عن الوطن، وجاء التضمين بين النصين جلياً في إظهار قوة الإصرار على تحقيق الطموح.

1- ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة، د. ط، 1972، ص214.

2- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص57 - 58.

وفي قصيدة (أشواق) ضمن السوسي صدر بيته مع أول شطر من بيت جرير الذي يقول فيه:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا⁽¹⁾

حيث يقول السوسي:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ لَأَبْدَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمَامِ تُلْهِيئًا⁽²⁾

جاءت إشارة تضمين نص جرير داخل نص السوسي من خلال توظيفه بعض الألفاظ لتحمل مضمون نص جرير معتمداً على تكرار ألفاظ الشطر الأول، فنجد العيون في نص جرير أوصلته إلى حالة القتل، وهذا يدل على قوة تأثيرها على الناظر لها، في حين نجدها في نص السوسي كذلك دالة على قوة التأثير على الناظر لها حتى ألهمته وصرفت نظره عن ذلك الحمام، وانشغل بالنظر في تلك العيون.

وهنا يبرز السوسي قوة أشواقه وأحلامه المشحونة بالذكريات حين زار (تونس الخضراء) معبراً عما شاهده من حسن وجمال حتى وصفها بالعيون الحور لشدة جمال طبيعتها الساحرة. ويعني في طرفها حور أي بجانبها يشتد بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترف جفونها، وبياض ما حوالها، ولا يكون في بني آدم بل يستعار لها، فكانت الدلالة عند جرير مخصصة بوصف العيون التي في طرفها حور، بينما كانت الدلالة عند السوسي مخصصة بوصف جمال ذلك القطر العربي (تونس)، فيلتقي التضمين بين النصين في عامل التأثير الذي يحمل مضمون الغزل.

وفي قصيدة (النجم الساطع) ضمن السوسي بعض الألفاظ من قصيدة أبي تمام حين يقول:

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّيحِ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ⁽³⁾

حيث يقول السوسي:

هَذَا النَّزَى الطُّهْرُ كَمْ رِيَعَتْ مَحَارِمُهُ وَكَمْ نَوَى فَوْقَهُ مِنْ أَهْلِنَا رَجُلٌ

1- ديوان جرير، دار صادر، بيروت، د. ط، 2012، ص492.

2- ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن السوسي، ص165.

3- ديوان أبي تمام، دار صعب، بيروت، الطبعة الثانية، د. ت، ص388.

مَنْ لَمْ يَمُتْ فَوْقَهُ صَبْرًا وَمَسْغَبَةً أَوْدَى بِهِ الْغَيْظُ أَوْ أَزْرَتْ بِهِ الْعِلَلُ⁽¹⁾

تَمَّ التضمين بين النصين من خلال توظيف السوسي بعض الألفاظ وهي (من لم يموت) مشيراً إلى (لو لم يموت) ليحمل بعضاً من مضمونه في نصه والذي مفاده أنَّ حقيقة الموت أمر محتوم، فقد تعددت الأسباب والموت واحدة. وكان أبو تمام يرثي (ابن حميد) بينما السوسي يرثي من استشهد من الأبطال من أهل وطنه (ليبيا) الذين تصدوا للاحتلال الإيطالي فوق أرضهم وتحت سمائهم.

فالموت تعبيراً عن النهاية، وكل شيء يسقط فقد انتهى لا مرد له، فالسوسي يهدف إلى مغزى من خلال نصه الذي يدعو فيه إلى التضحية، واستيقاظ الهمم في سبيل تحرير وطنه، ليعيش حياة العزة والكرامة فنقطة الاشتراك بين النصين هي قضية (الموت) وهو حاصل لا محالة، فالحياة في عز أو الموت بشرف.

ب. التضمين الكلي:

يقصد به تضمين قصيدة مع قصيدة أخرى من خلال توظيف النص كاملاً، وهنا أنموذجان لتوضيح ذلك التضمين، الأنموذج الأول للشاعر حسن السوسي في قصيدته التي تحمل عنوان (بنغازي) والأنموذج الثاني للشاعر أبي الطيب المتنبّي في قصيدته بعنوان (مدح أبي بكر علي بن صالح الروذبادي).

يقول السوسي في قصيدة (بنغازي):

يَا أَهْلَ بَنْغَايَ وَيَا بَنْغَايَ	مَنْ ذَا يُكَافِي فِعْلَكُمْ وَيَجَايِ ؟
بَعْضُ الْمَدَائِنِ أَهْلُهَا وَفِعَالُهُمْ	فِي الْقَلْبِ يُشْبِهُ مِثْقَبَ الْخَرَّازِ
لَكِنَّ أَهْلَكَ فِي الْجِرَاحِ بَلَّاسِمٌ	وَطَرَارُهُمْ فِي النَّاسِ أَيُّ طَرَارِ ؟
هَيْهَاتَ قَصَرَ عَنْ مَدَارِكَ كُلِّ مَنْ	ظَنَّ الْكَوَائِبِ سَهْلَةً الْإِخْرَارِ
أَمَّنُ الضَّعِيفِ ... وَرَاحَةُ الْعَانِي هُنَا	وَرَفَاهَةُ الْمَتَمَوِّلِ "الْمُقْتَارِ"
سَبَّاقَةً - أَبَدًا - لِكُلِّ مَسْرَرَةٍ	مِنْ غَيْرِ جُلْجُلَةٍ وَلَا اسْتِفْرَازِ

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص38.

ثِقَّةً بَأَنَّ مَدَاكَ أَبْعَدُ غَايَةٍ
مَنْ ذَا يُزَاحِمُ إِنْ وَثَبَتْ لِيْغَايَةٍ
إِنِّي أَحْبَبْتُ مُوسِراً أَوْ مُعْسِراً
الْبَاذِلِينَ وَلَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ مَو
جُبُلُوا عَلَى الْإِثَارِ تِلْكَ طَبِيعَةٌ
كَمْ لَائِذْ بِكَ لَيْسَ تَمْلِكُ كَقُفْهُ
أَلْقَى عَصَاهُ لَدَيْكَ بَعْدَ تَشَرُّدٍ
أَكَلَتْ مَلَامِحَهُ الطَّرِيقُ وَلَوَحَتْ
أَنْزَلَتْهُ مَا بَيْنَ أَهْلِكَ مَنْزِلًا
"الْبَرْجُوزِيُّ" الَّذِي لَمْ يَسْتَمِعْ
نَسِي الْعَصَا وَالْخُرْجَ بَعْدَ قَرَارِهِ
يَا لَيْتَ لَمْ يُنْكِرْ صَنِيعَكَ لَيْتَهُ
شَاهَدْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ وَمَدِينَةٍ
لَكِنْ كَمِثْلِكَ مَا رَأَيْتُ مَدِينَةً
أَوْ هَكَذَا يَبْدُو وَمَنْ يَكُ عَاشِقًا
إِنِّي ذَكَرْتُكَ - مَرَّةً - فِي غُرْبَةٍ
بَلَغَتْ حُدُودَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَزَلْ
شَاهَدْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِسِمَاتِهَا
مَنْ أَيْنَ؟ قَالَتْ: لَا تَسَلْ "فَنَفَائِلِي"
إِنِّي مِنَ الْبَلَدِ الْعَزِيزِ بِأَهْلِهِ

عَنْ كُلِّ مَنْ طَلَبَ الْعُلَا "دَرَّازِي"
أَوْ مَنْ يُحَلِّقُ فِي مَجَالِ الْبَازِ؟
وَأَعِزُّ أَهْلَكَ أَيَّمَا إِغْزَارِ
إِلَّا النَّدَى بَذَلَ الْفَتَى الْمَخْرَارِ
فِيهِمْ وَغَيْرُهُمْ عَلَى الْإِخْرَارِ
غَيْرِ اسْمِهِ، وَالشُّوبِ، وَالْعُكَارِ
فَنَجَا مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِعْوَارِ
قَسَمَاتِهِ. وَاجْتَارَ كُلَّ مَجَارِ
رَحْبًا وَقَبْلَكَ كَانَ غَيْرَ مُجَارِ
يَوْمًا لَصُوتِ ضَمِيرِهِ الْوَحَّارِ
وَمِدَاسُهُ الْمُلْقَى لَدَى الْخَرَارِ
لَمْ تُلْفِهِ لِسَوَاكَ كَالْمُنْحَارِ
بَيْنَ الْمُحِيطِ الْجَوْنِ وَالْقَوَقَارِ
وَكَمِثْلِ أَهْلِكَ كَانَ كَالْإِعْجَارِ
مِثْلِي فَمَا يَهْتَمُّ بِاللَّمَّارِ
بِمَلِيحَةٍ رَحِمَتْ عَلَيَّ مَجَازِي
ظِلُّ الثَّلَاثِينَاتِ فِي "الْبِرُّوَارِ"
مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا إِيْعَارِ
تُنْبِي - وَهَذَا "الْخَطُّ" وَ"الْغَمَّازِي"
بَلَدِ الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى .. بِنُغَّازِي

وَطَنِ الْجَمِيلَاتِ الْخِفَافِ لَطَافَةً
لَوْ ذَاقَ "أَحْمَدُ" مَا تُجِيلُ تُغَوِّرُنَا
لَكَ فِي الْهَوَى مِنْهُنَّ كَمَ مِنْ غَزْوَةٍ
لَمْ تَقْتَحِمِ تِلْكَ الثُّغُورَ وَإِنَّمَا
قُلْتُ: اخْتَفَتْ تِلْكَ النُّقُوشُ فَلَمْ تَعُدْ
حُسْنُ الْقِتَاءِ الْيَوْمَ فِي تَتَقِيْفِهَا
صَارَتْ تُنَاقِشُ فِي الْعُلُومِ، وَحَاضِرَتْ
وَرَوَتْ مَسَائِلَ "سَيَبُويَه" وَهَمَشَتْ
قَالَتْ: نَعَمْ وَلِكُلِّ جِيلٍ حَلِيَّةٌ
جِيلَ رَبِّهِ مَنَاعَةٌ وَتَحَشُّمٌ
لَمْ تَمْشِ فِي الْأَسْوَاقِ رَاجِلَةً وَلَا
أَوْ مَسَتْ الْأَصْبَاعُ وَجَنَّتْهَا وَلَا
أَوْ فَرَّقَتْ بَيْنَ اللَّحُونِ وَفَاضَلَتْ
أَوْ أَنَّهَا تُصْغِي وَيَفْرُقُ سَمْعُهَا
لَكِنْ تَرَاهَا فِي حَوَائِجِ بَيْتِهَا
قُلْتُ: الَّذِي قَدْ كَانَ عِنْدَكَ جُنْحَةٌ
إِنِّي وَأَنْتِ الْآنَ جِيلٌ حَسْبُنَا
يَمْضِي الزَّمَانُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
لَوْ دَامَ شَيْءٌ دَامَ فِي أَغْنَاقِنَا
لَكِنَّهُ وَلَّى وَأَقْبَلَ بَعْدَهُ

الرَّاجِحَاتِ بِكَفَّةِ السُّرُوزِ
مَا كَانَ يَذْكُرُ سُكَّرَ الْأَهْوَازِ
لَكِنْ بِرَبِّكَ كَيْفَ عَادَ الْغَازِي؟
قَدْ عُدْتَ مَهْزُومًا كَجَيْشِ "النَّازِي"
سِمَةُ الْجَمَالِ بِهِذِهِ الْأَلْغَازِ
وَسُلُوكِهَا الْمُتَفَرِّدِ الْمُتَنَازِ
فِي "ابن الطُّفَيْلِ" وَجَادَلْتُ فِي "الرَّازِي"
سَطْرًا عَلَى "الرَّجَاجِ" وَ"الشَّيْرَازِي"
وَالْوَشْمُ حَلِيَّةٌ جِيلُنَا "الْفَنُطَازِي"
فَقَتَاتُهُ كَيْتِيْمَةُ الْكَنَّازِ
وَقَفْتُ عَلَى اللَّحَامِ وَالْخَبَّازِ
سَهَرْتُ عَلَى "الْفِيدْيُو" أَوْ "التَّلْفَازِ"
مَا بَيْنَ "مُوزَرْتِ" وَبَيْنَ "حِجَازِي"
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ وَبَيْنَ نَشَازِ
طُولَ النَّهَارِ كَلَاعِبِ "الْجُمْبَازِ"
قَدْ صَارَ فِيهِ الْيَوْمُ أَلْفُ جَوَازِ
أَنَا مَدَدْنَا الْجِسْرَ لِلْمُجْتَازِ
وَيَمُرُّ مَا دُونَنَا بِدُونِ "جَوَازِ"
نَيْرُ "الْبَرِيْجَادِيرِ" وَ"الْمُنْطَازِ"
عَصْرُ الْبِنَاءِ الضَّخْمِ وَالْإِنْجَازِ

وَلِكُلِّ جَبَلٍ فِي الْحَيَاةِ مَحَاسِنٌ
وَمَسَاوِيٍّ، وَمَفَاخِرٌ، وَمَخَازٍ
فَخُذِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا تُعْطِي فَمَا
بَعْدَ الَّذِي وَلَّى سِوَى الْعُكَّازِ⁽¹⁾

يضمن السوسي قصيدته الشعرية مع قصيدة المتنبي التي يقول فيها:

كَفَرِنْدِي فِرْنِدُ سَيْفِي الْجُرَّازِ
لَذَّةُ الْعَيْنِ غُدَّةُ الْبَرَّازِ
تَحَسَّبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي لَهَبِ النَّارِ
رِ أَذَقَّ الْخُطُوطِ فِي الْأَجْرَازِ
كُلَّمَا رُمَتْ لَوْنُهُ مَنَعَ النَّارِ
ظَرَ مَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَارِي
وَدَقِيقٌ قَدَى الْهَبَاءِ أَنْيَقُ
مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَّازِ
وَرَدَ الْمَاءُ فَالْجَوَانِبُ قَدْرًا
شَرِبَتْ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِي
حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى
هِيَ مُخْتَاجَةٌ إِلَى خَرَّازِ
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارِي
لَهُ وَلَا عَرَضُ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِي
يَا مُزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شَرِبِي وَمَعْقَلِي فِي الْبَرَّازِ
وَالْيَمَانِي الَّذِي لَوْ اسْطَغَتْ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غَمْدَهُ مِنْ الْإِعْرَازِ
إِنَّ بَرْقِي إِذَا بَرَقَتْ فِعَالِي
وَصَلِيلِي إِذَا صَلَلَتْ ارْتَجَازِي
لَمْ أَحْمِلْكَ مُعْلِمًا هَكَذَا
إِلَّا لِيَضْرِبَ الرِّقَابَ وَالْأَجْوَارِ
وَلَقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا
فَعِلَانَا لِحْنِسِهِ الْيَوْمَ غَازِ
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْدَبَارِي
فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحَبَّازِ
فَارِسِيَّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجُ
وَتَمَنِّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي
طَالِبُ لَابَنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَاذِي
وَلَا كُحْلُ مَا يَطِينُ بِبَازِ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص 47 - 55.

نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي
وَكَأَنَّ الْقَرِيدَ وَالذَّرَّ وَالْيَا
تَقْضُمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي
بَلَّغَتْهُ الْبَلَاعَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْ
حَامِلُ الْحَرْبِ وَالذِّيَاتِ عَنِ الْقَوِ
كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا
أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفَنَاءِ وَمَا فِيهِ
بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأَسِنَّةِ عِنْدِي
وَأَنْتَنِي عَنِّي الرُّدَيْنِي حَتَّى
وَبَابَائِكَ الْكِرَامِ التَّائِبِي
تَرْكُوا الْأَرْضَ بَعْدَمَا ذَلَّلُوهَا
وَأَطَاعَتْهُمْ الْجُيُوشَ وَهَيَّبُوا
وَهَجَانٍ عَلَى هَجَانٍ تَأْتِي—
صَفَّهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ
وَحَكَى فِي اللَّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفِ
كُلَّمَا جَادَتْ الظُّنُونُ بِوَعْدِ
مَلِكٍ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَذْرَى بِفَحْوَا
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ

وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازٍ
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْبَازِ
قُوتَ مَنْ لَفْظُهُ وَسَامَ الرِّكَازِ
دُونَهُ قَضَمَ سُكَّرِ الْأَهْوَازِ
وِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِجَازِ
مِ وَثَقَلَ الدُّيُونِ وَالْإِغْوَازِ
وَبِهِ لَا يَمُنُّ شَكَاهَا الْمَرَازِي
لَهُ مَبِيتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ
كَشَبَا أَسْوَاقِ الْجَرَادِ النَّوَازِي
دَارَ دَوَرِ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ
وَالْتَسَلَّى عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِي
وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازِ
فَكَلَامُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنَّحَازِ
كَ عَدِيدِ الْخُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ
فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ
رِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكَنَّازِ
عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْجَازِ
يَضَعُ الثُّوبَ فِي يَدِي بَزَّازِ
هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ
شُعْرَاءُ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ

وَهُوَ فِي الْعُمَى ضَائِعُ الْعُجَازِ

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهِـذَا

كَ وَعَقْلُ الْمُجِيرِ عَقْلُ الْمُجَازِ⁽¹⁾

كُلُّ شَعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيهِ

حدث التضمين بين قصيدتين من خلال توظيف السوسي لقصيدة المتنبي لمضمون النص معتمداً على بعض الألفاظ في قصيدته منها (الخرار، الطراز، الأحراز، الإعواز، الإعجاز، الأهواز، الإنجاز...)، ليبين نقطة من نقاط الاتفاق بين النصين في معاني الألفاظ، كما اتفق كليهما في (المدح) إلا أن السوسي كان مدحه لمدينة (بنغازي) وأهلها واصفاً المدينة، وما تتمتع به عن غيرها من المدن الأخرى في ليبيا، كما مدح طبيعة معاملة أهلها، وما يتصفون به من خصال الإيثار والكرم.

بينما المتنبي مدح شخصاً بعينه وهو (أبو بكر علي بن صالح الروذباري) واصفاً شجاعته، ومواقفه البطولية في ساحات الوغى، وما يتمتع به من خصال، ومناقب تميز بها ذلك البطل عن غيره من المقاتلين في ميدان الحرب.

ومن أوجه الاختلاف بين النصين أن قصيدة المتنبي تقدمت في الفترة الزمنية على قصيدة السوسي، كما كان الاختلاف في عدد الأبيات، فكانت أبيات المتنبي أقل عدداً من أبيات السوسي.

فالسوسي وظف قصيدة المتنبي رغبة منه في الإشارة إلى ما تحمله من مضمون ينظر من خلاله إلى تقارب قصيدته مع قصيدة المتنبي، وهو الإشادة بالصفات والخلال الحميدة، والخصال الكريمة، فليس بالضرورة أن تذكر لشخص بعينه كما جاء بها المتنبي بل يمكن ذكرها حتى للمدن وأهلها كما جاء بها السوسي.

ويُعدّ اطلاع السوسي على التراث الأدبي القديم منه والحديث عاملاً مساعداً في إثراء ثقافته الأدبية بالإضافة إلى البيئة الثقافية التي عاش فيها بالدرجة الأولى بدأها بواحة الكفرة منذ نعومة أظافره، وأكملها في الأزهر بمصر.

1- ديوان المتنبي، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1958، ص202-205.

من هنا تظهر إبداعات السوسي من استحضار التراث الأدبي الأصيل في نصوصه الشعرية التي وظف فيها بعضاً من ألفاظ غيره من الشعراء للربط بين الأحداث القديمة منها والحديثة، وكشف نقاط الاتفاق والاختلاف بينها، للوصول إلى الحقيقة المشتركة من خلال الإشارة إليها.

2- التضمين النثري:

هذا اللون من التضمين يتمثل في الأمثال العربية منها والشعبية، والحكم، والعادات، وهنا نقف على دراسة بعض النماذج من الأمثال سواء كانت عربية، أو شعبية، ضمنها الشاعر حسن السوسي مع بعض أبياته الشعرية.

أ. الأمثال:

(المَثَلُ): المعنى اللغوي: "كَلِمَةٌ تَسْوِيَةٌ، يُقَالُ: هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، كَمَا يُقَالُ شِبْهُهُ وَشَبَّهَهُ، وَالْمَثَلُ: الشَّيْءُ الَّذِي يُضْرَبُ لِشَيْءٍ مَثَلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَهُ."⁽¹⁾

المعنى الاصطلاحي:

"هو القول السائر ...، وهو من المجاز المركب، ولفشو استعماله على سبيل الاستعارة سُمِّيَ بالمثل."⁽²⁾

وتنقسم الأمثال إلى أمثال عربية، وأمثال شعبية:

1. الأمثال العربية:

نجد تضمين السوسي للأمثال العربية في شعره في قصيدته بعنوان (أنديرا) إذ يقول:

وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبُوْثُهُ وَلَقَدْ يَنْبُؤُ السَّيْفُ الذَّكَرُ⁽³⁾

يضمن السوسي بيته الشعري معنى المثل العربي الذي يقول فيه: "وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبُوْثُهُ."⁽⁴⁾

1- لسان العرب ابن منظور، مادة مثل، ج14، ص18.

2- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ص742.

3- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص94.

4- موسوعة الأمثال العربية الفصحى، مصطفى فتحي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2001، ص227.

يظهر التضمين واضحاً بين بيت السوسي ونص المثل العربي من توظيف السوسي بعض الألفاظ في نصه ليحمل مضمون المثل، الذي صُرب للإنسان الذي يخفق في حياته، فالمثل جاء عاماً ولم يكن خاصاً، فكل عمل ناجح يقدمه الإنسان قد يصيبه الفشل لأنَّ النجاح والفشل متضادان كالخير والشر في الحياة.

ونص السوسي يتمحور حول قضية (أنديرا) التي أخطأت حين استخفت بعقائد، ومقدسات الشعوب فأردوها قتيلة، وتعتمد السوسي في توظيف (الكبوه) لإظهار حقيقة الفشل الذي آلت إليه (أنديرا) فأخذ هذه القضية ليعبر بها عما يدور في نفسه من نقل تجارب الآخرين في الزمن الماضي واستحضارها في الزمن الحاضر.

وأما في قصيدته (النجم الساطع) فضمن السوسي المثل العربي في بيته، فيقول:

والدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ عَابِسٌ نَكْدٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَيَوْمٌ ضَا حَكُّ جَذْلٌ⁽¹⁾

يضمن السوسي بيته الشعري معنى المثل العربي الذي يقول فيه: " الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ عَلَيْنَا."⁽²⁾

ويظهر التضمين بارزاً بين البيت الشعري والمثل العربي من توظيف السوسي بعض الألفاظ في نصه، إلى جانب ما يحمله المثل من مضمون مفاده استغلال أوقات الفراغ المهدورة فيما لا يجدي، والاستفادة مما لنا على الذي علينا، فظهر التخصيص في المثل من خلال (الدهر يومان)، (لنا، علينا) كما ظهر التعميم في نص السوسي من تقديم الذي علينا يوم عابس نكد لا خير فيه لدلالته على المعاناة التي نحن فيها، يوم ضحك جذل لدلالته على النصر، فنص السوسي يعبر عن معاناة الشعب الليبي حين كان يعاني الأمرين تحت وطأة الاحتلال الإيطالي الذي قتل، وشرد، وعذب، وذلك يوم عابس نكد إشارة إلى يوم علينا دلالة على معاناة الشعب الليبي من المستعمر الإيطالي، بينما يوم ضاحك جذل إشارة إلى يوم لنا دلالة على الراحة، والانبساط من ذهاب المستعمر الإيطالي، فالمثل يضرب في تبدل أحوال الزمان.

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص39.

2- موسوعة الأمثال العربية الفصحى، مصطفى فتحي، ص271.

2. الأمثال الشعبية:

نجد تضمين السوسي للأمثال الشعبية في شعره في قصيدته بعنوان (الكفرة) التي يقول فيها:

وَجَاهَدْتُ حَتَّى أَنْفَذَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَمَا مِنْ مَقَادِيرِ الْأُمُورِ هُرُوبُ
فَمَا يَوْمُ (هُوَارِي) بِخَافٍ مَكَانَهُ وَلَا هُوَ عَنْ سِفْرِ الْجِهَادِ يَغِيبُ⁽¹⁾

يضمن السوسي نصه الشعري معنى المثل الشعبي الذي يقول: "المَكْتُوبُ مَا مِنْهُ هُرُوبُ".⁽²⁾

فحدث التضمين بين النص الشعري والمثل الشعبي من توظيف السوسي بعض الألفاظ في النص إلى جانب ما يحمله المثل الشعبي من مضمون يُضرب به في عدم قدرة الإنسان على رد القضاء والقدر خيره وشره، فمضمون المثل جاء عاماً، لدلالته على حتمية نفاذ أمر الله فلا مرد له، وتلك هي سنة الحياة.

في حين أَنَّ السوسي يخاطب (واحة الكفرة) التي غزاها الاحتلال الإيطالي، ودافع عنها المجاهدون بكل بسالة، ولم يتمكنوا من دحر عدوهم، حيث شهدت هذه الواحة معركة ضارية من معارك الجهاد. ووظف السوسي هذا المثل للدلالة على تَرَسُّخِ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر والرضى بالمكتوب خيره وشره.

وفي قصيدة (طحَّان) ضمن السوسي عجز بيته مثلاً شعبياً إذ يقول:

وَمِنْ قَدِيمٍ سَمِعْنَا مَنْ يَقُولُ لَنَا مَنْ يَلْبَسَ الدَّهْرَ مَا يَنْفُكُ غُرْيَانَا⁽³⁾

يضمن السوسي بيته الشعري معنى المثل الشعبي الذي يقول: "المتغطي بالأيام عريان".⁽⁴⁾

تَمَّ التضمين بين البيت الشعري والمثل الشعبي من توظيف السوسي بعض الألفاظ إلى جانب ما يحمله المثل الشعبي من مضمون يُضرب به مثلاً للتحذير من تقلبات الدهر الذي لم يبقَ على حال.

فالمرء مهما بلغت نجاحاته وزهواته لن تدوم على حال بسبب صروف الزمان، وهكذا نجد المثل نتج عن تجربة حقيقية عاشها الإنسان وخاض غمارها في الزمن الماضي، بينما في النص أكدها الشاعر من خلال توظيفه

1- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص93.

2- من الذاكرة الشعبية.

3- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص304.

4- من الذاكرة الشعبية.

لأداة الشرط (مَنْ) ليؤكد حقيقة هذا المثل في الزمن الحاضر، والهدف من توظيف المثل الشعبي في نص السوسي ليربط الحاضر بالماضي، وتذكير الخلف بموروث السلف الذي تجاهله الكثير من الناس، ولأخذ العبرة منه، ولكي يستطيع الناس التغلب على ظروف الحياة الصعبة.

إنَّ استحضار الشاعر للأمثال العربية والشعبية لا يكون إلاّ لتدعيم شعره وتقوية دلالاته، وإمالة اللثام عنه من هذا التدعيم عن الكثير من الحقائق التي تناساها وتجاهلها الكثير من الناس حتى وقعوا في شراكها. فالأمثال هي أحد الكنوز الثمينة التي ورّثها السلف للخلف باعتبارها عُصرة للمواقف، والسير، والأحداث المتنوعة في الحياة، والتي مفادها تقريب الحقيقة إلى أذهان المتلقين، وأخذ العبرة منها.

ثالثاً: لغة الحياة اليومية (اللهجة الليبية)

وهي تعني "الألفاظ التي تدور على ألسنة الناس في أحاديثهم اليومية وحياتهم المعيشية، فهي كثيرة الاستعمال في كلامهم، وهم يستخدمونها في معظم شؤون حياتهم، فتكون مبتذلة لذلك."⁽¹⁾ فالشاعر ابن البيئة التي يعيش فيها فيتأثر بها ويؤثر فيها، وينهل منها الكثير من الألفاظ المتداولة في حديثه اليومي، مما يجعل الشاعر يمنح لغته اليومية شحنة شعرية ببساطة دون تكلف، (فاستخدام الأنساق اللغوية الدائرة في لغة التواصل اليومي، وفي اللغة الإعلامية فهي تولد في المتلقي إحساساً بأنّ الشاعر ينطق بلغة بسيطة مألوفة متداولة بين الناس)،⁽²⁾ "ليتمكن من الاستفادة من الوسائل التعبيرية المتاحة له، ومن ثم توظيفها لتحقيق ما يصبو إليه من تغيير للقيم والمفاهيم التي تسود المجتمع على كافة الأصعدة، ولغة التواصل اليومية أدت إلى إثراء التجربة الشعرية عند الشاعر، وزادت أدواته التعبيرية قوة وجمالاً، وبالتالي الوصول إلى ذهن المتلقين مع اختلاف مستويات الفهم والتلقي لديهم لأنّ لغة التواصل اليومي هي لغة الأمي والمتعلم."⁽³⁾

1- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال نجم العبيدي، ص163.

2- انظر: نصّ على نصّ قراءات في الأدب الحديث، زياد الزعبي، ص14.

3- الشعر المعاصر في واحات الجفرة، سعاد امحمد بشير وعبه، ص73.

وأهمية استخدام مفردات اللغة المتداولة بين أفراد المجتمع تكمن في الغايات التالية: " تقريب الفهم ومضاعفة

الحس بالمشكلة المطروقة، أو لإشعار المخاطب بالقرب منه".⁽¹⁾

كما أنّ الشعراء الذين تناولوا هذه الصيغ من المفردات شعروا بقيمتها، وأهميتها في بلوغ ما يرمون إليه من "طرح أفكارهم وبيان لرؤى يصعب على غيرهم إدراكها أو الولوج إلى أعماقها، وتتيح لهم فرصة الثورة على كل ما هو نابٍ يتطلب التغيير. كما تتيح لهم خلق معجم شعري يمنحهم القدرة الكافية على طرق كل قضايا الإنسان ومحاولة جذب الآخرين، ليقفوا معهم في مواجهة هذه القضايا والتغلب عليها، ولا بد لإتمام هذه الغاية من الاعتماد على لغة حية، ألفاظها متداولة".⁽²⁾

ومن هنا "أدرك الشعراء الليبيون هذه الأفكار، وتنبهوا لأهميتها، أمّا بوعيهم ونضجهم اللغوي، أو بتأثير الاتجاهين الوطني والقومي بالإضافة إلى الاتجاه الذاتي بالغ الأثر في التوجه إلى لغة الحياة اليومية، فتعمدوا استخدام المفردات العربية الدارجة والأجنبية التي شاع استعمالها نتيجة الاحتلال، أو باللجوء إلى ما هو أعمق تأثيراً، "كالأمثال الشعبية" وهذا لا يعني أنّ من حق الشاعر أن يعتمد اعتماداً كلياً أو مبالغاً فيه على لغة الحياة اليومية ليكون ذلك على حساب خصوصية لغة الشعر".⁽³⁾ وهكذا تتفاوت مواهب وقدرات الشعراء قديماً وحديثاً في توظيف لغة الحياة اليومية، وهذا ما كان واضحاً في توظيفهم لنصوصهم الشعرية.

ومن هذه التوظيفات للغة الحياة اليومية في النصوص الشعرية للشاعر حسن السوسي، نجد توظيف ما ورد في قصيدة (مصالحة) إذ يقول:

لِقَسَمِ الْعَامِلِينَ لِكَيْ يَزِنُطُوا فَإِنَّ مُدِيرَهُمْ رَجُلٌ غَنِيٌّ⁽⁴⁾

1- قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، ص 223.

2- المرجع السابق نفسه، ص 223.

3- المرجع السابق نفسه، ص 224.

4- ديوان المواسم، حسن السوسي، ص 109.

أتى الشاعر بكلمة (يزيطو) وهي كلمة دارجة مستخدمة في لغة الحياة اليومية، ومعناها الخروج بالحالة الشعورية من المؤلف إلى غير المؤلف من التصرف بعفوية، وتكون عشوائية بدون ضوابط، (يزيطو) ليجسد مبدأ التقارب، والتآلف، والوئام، والانسجام بين المتخصصين.

وفي قصيدة (نشال) يقف السوسي على كلمة (لطش) والتي وردت باللغة الدارجة حين يقول:

قَدْ لَطَشَ السَّاعَةَ مِنْ مِغْصَمِي بَبَابِ حَانُوتِ أَمَامِ الْحُسَيْنِ⁽¹⁾ (*)

وظف الشاعر كلمة (لطش) بالعامية وهي تعني الاختلاس، والسرقة، والنهب، وهي تدل على خفة اليد للممتهنين لهذه المهنة.

وأورد الشاعر كلمة (برداق) في قصيدة (لاقبي) قائلاً:

حُلُوتِي (بِرْدَاقُ) (لَاقِبِي) تَرَكُوهُ فَتَخَمَّرُ⁽²⁾

يداعب الشاعر (البرداق) المليء بشراب اللاقبي حلو المذاق، وعند بقاءه مدة طويلة يتحول هذا الشراب الحلو إلى شراب مُسكر يذهب العقل. ووظف السوسي كلمة (برداق) باللهجة المحلية والتي تعني الإناء المخصص لشرب اللاقبي،(*) وهي "الجرة أو الكوز الخزفي الكبير".⁽³⁾

كما استخدم الشاعر في قصيدته بعنوان (جرب أنت) كلمة (زمزكنا) باللغة العامية حيث قال:

تَقَرَّبْنَا وَزَمَزَكْنَا كَثِيرًا فَلَمْ تُضِغِ الْجَمِيلَةُ لِلْمَقَالِ⁽⁴⁾

يُظهر الشاعر في هذا المقام حياء، وعفة، وتأدب المرأة الطاهرة ورجاحة عقلها حين تغزل بها، فلم تصغ له ولم تُعير له أي اهتمام لما قال لها من كلام. ووظف الشاعر كلمة (زمزكنا) وهي كلمة دارجة مستخدمة في لغة الحياة اليومية بمعنى (تملقنا).

1- ديوان نوافذ، حسن السوسي، ص54.

* هو مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه وأرضاه بالقاهرة.

2- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص313.

* اللاقبي هو شراب شعبي معروف عند بعض سكان المناطق الليبية وكثيراً ما تشتهر به الواحات حيث تواجد النخيل بكثرة.

3- المصدر السابق نفسه، ص313.

4- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص127.

كما استخدم الشاعر بعض المسميات الشعبية من الملابس الخاصة بالمجتمع الليبي وما جاوره منها (الفراشية، الجربي) وأخرى مستخدمة في أقوالهم.

ومن النصوص التي وردت فيها لغة الحياة اليومية في قصيدته (المؤتمر الحادي عشر للأدباء العرب) حيث يقول :

لَقْتُ قَوَّامًا كَالْقَضِيبِ حَسْبُهُ لَيْنًا بَقَرَّاشِيَّةٍ (*) بَيْضَاءٍ⁽¹⁾

هنا يصف السوسي اللباس الشعبي للنساء في المنطقة الغربية بـ (ليبيا) معبراً عن حسنه وجماله على المرأة. فوظف كلمة (الفراشية) بالعامية والتي تعني "الملاءة البيضاء التي تلتحف بها النساء عند الخروج"⁽²⁾ في مدينة طرابلس.

كما يصف في قصيدة (هوامش على دفتر العشق) لباس شعبي آخر للنساء في المنطقة الشرقية بـ (ليبيا) معبراً عن جمال منظره على المرأة الليبية وهي ترتديه، حيث يقول:

مَرَّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِي "جَرْبِيَّهَا" عِنْدَ الْغُرُوبِ كَحُرْمَةِ الرِّيحَانِ⁽³⁾

وظف كلمة (الجربي) بالعامية والتي يعني "ملحفة صوفية ثقيلة النسيج بنية اللون كانت تلتحف بها بعض النساء في ذلك الوقت"⁽⁴⁾ في منطقة المرج.

واستخدم السوسي في قصيدة (أصلهما مغربي) قولاً مشهوراً في لغة الحياة اليومية واصفاً مدى حبه، وحنينه، وشوقه لبني المغرب حيث يقول:

فَإِنِّي إِلَى "شَوْشْتِي" غَارِقٌ فَمِنْ مَنَقْذِي مَنْ هُوَ مُتَعَبِي؟⁽⁵⁾

* الفراشية: ملحفة بيضاء كانت تلتحف بها نساء مدينة طرابلس، وهي أقرب إلى السفاري التونسي منها إلى (الجرد) البنغازي.

1- ديوان الجسور، حسن السوسي، ص53.

2- المصدر السابق نفسه، ص53.

3- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص31.

4- المصدر السابق نفسه، ص31.

5- ديوان الرسم من الذاكرة، حسن السوسي، ص43.

ووظّف السوسي القول الشعبي (غارق إلى شوشتي) باللغة الدارجة والتي تعني وصل الشيء حده.

كما ورد في قصيدة (نبيلة) المثل الشعبي (ما باليد حيلة) حيث قال:

حَقْدَهُمْ أَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ يُمِثُّوا النَّاسَ غِيْلَهُ

وَيَعُودُوا إِنَّهُمْ عَادُوا وَمَا بِالْيَدِ حِيلُهُ⁽¹⁾

يذكرنا الشاعر بزمان الغارة الأمريكية البشعة على بنغازي وطرابلس مصوراً حقد الأعداء، وغدرهم لليبيين، فوظّف

السوسي القول الشعبي (ما باليد حيلة) باللغة الدارجة، والذي يعني العجز وعدم القدرة على رد القدر.

بالإضافة إلى هذا استعمله بعض الألفاظ الأجنبية في شعره، بعضها لغرض الفكاهة، والمداعبة، والبعض

الآخر لغرض الوضوح، والدلالة، وتقريب المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي من عامة الناس، ليسهل عليهم

استيعابه، وفهمه ببساطة دون عناء، ويُستبعد أن يكون السوسي من الشعراء الليبيين الذين تأثروا بالألفاظ

الإيطالية.

ووظف السوسي في نصوصه الشعرية بعضاً من الألفاظ الأجنبية، ففي قصيدة (نبيلة) أورد السوسي ألفاظ

إيطالية في نصه قائلاً:

كُلَّ جِيلٍ قَدْ مَضَى يَذْكُرُ بِالْحِكْمَةِ جِيْلَهُ

فَزَمَانُ الدُّنْيَا شَيْءٌ مَالِي (نُونُ شَيْءٍ مَالِي) وَزَمَانُ (الكَابُوفِيْلَهُ)

وَمَآسِي النَّاسِ فِي الْمَقْرُونِ أَوْ حَوْلَ الْعَقِيلَةِ⁽²⁾

فكلمة (نُونُ شَيْءٍ مَالِي) الإيطالية تعني بالعامية العربية "لا بأس"،⁽³⁾ وكلمة (الكَابُوفِيْلَهُ) الإيطالية تعني بالعربية

"الرئيس"،⁽⁴⁾ ووظّف السوسي هذه الألفاظ في نصه لتذكير الليبيين بأيام مضت لها آثار على الشعب الليبي،

1- ديوان إشارات حسن السوسي، ص121.

2- المصدر السابق نفسه، ص120.

3- المصدر السابق نفسه، ص120.

4- المصدر السابق نفسه، ص120.

عندما كان يئن تحت وطأة الاحتلال الإيطالي البغيض، ويحرسه (الكابُوفِيْلَةُ) في معتقلات العقيلة، والبريقة، والمقرون، والأبيار وغيرها.

وكذلك في قصيدة (هوامش على دفتر العشق) يوظف السوسي كلمة (شَلْيُونِيَّهَا) الإيطالية في نصه والتي تعني "عقبة المرتفع في الجبل الواقع شرقي المرج"،⁽¹⁾ إذ يقول:

ذَاكَ النَّهَارُ وَيَوْمُ (شَلْيُونِيَّهَا) الْمُوحِيَانِ بِهِـذِهِ الْأَوْزَانِ⁽²⁾

كما يوظف الشاعر في قصيدة (بنغازي) كلمتان (البريجادير، والمنطاز) في نصه فيقول:

يَمْضِي الزَّمَانُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ وَيَمُرُّ مَاذُونًا بِدُونِ جَوَارِ
لَوْ دَامَ شَيْءٌ دَامَ فِي أَغْآقِنَا نَيْرِ الْبَرِيْجَادِيرِ وَالْمُنْطَازِ⁽³⁾

فالألفاظ (البريجادير والمنطاز) إيطاليتان جاءتا بمعنى "رتبتان من رتب الشرطة الإيطالية".⁽⁴⁾

ووجد السوسي في استعماله لألفاظ لغة الحياة اليومية، طريقاً ليعبر من خلاله إلى أعماق المتلقين، وذلك من توظيفه لها توظيفاً فنياً، ما يخدم أغراضه التي يهدف إليها بأسلوب بسيط يعينه على إيصال أفكاره للعامي، والمتعلم، ولغة الحديث اليومي هي لغة يتكلمها العامة من الناس، فتعد طاقة تعبيرية، يعبر بها الشاعر عن همومه وقضاياه، مما زاد تكتيف قوة الدلالة في النص الأدبي، ويُعَدُّ هذا العمل تجديداً في لغة الشعر يضيف على العمل الإبداعي رونقاً وجمالاً، بالإضافة إلى تسهيل عملية التواصل بين الشاعر والمتلقي، وبذلك استطاع الشاعر من خلالها حل قضايا الإنسان المعاصر، ومعالجة همومه ومشاكله في أسرع وقت.

1- ديوان ألحان ليبية، حسن السوسي، ص35.

2- المصدر السابق نفسه، ص35.

3- المصدر السابق نفسه، ص54، 55.

4- المصدر السابق نفسه، ص55.

فهرس المحتويات

ر. م	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	أ إلى ج
	التمهيد	
1	المطلب الأول : عوامل التكوين الفكري والأدبي	
10	المطلب الثاني : تطور الحركة الأدبية في ليبيا	
الفصل الأول		
الأغراض والاتجاهات الشعرية عند السوسي		
1-29	الأغراض والقضايا الشعرية	
أ	الأغراض التقليدية	31
1	الوصف	31
2	الغزل	35
3	المدح	39
4	الرثاء	41
5	الهجاء	45
ب	الأغراض التجديدية المعاصرة	48
1	القضايا الوطنية	48
2	القضايا القومية	51
3	القضايا الاجتماعية	53
2-58	الاتجاهات الشعرية	
أ	الاتجاه التقليدي	61
ب	الاتجاه التجديدي	63
1	الاتجاه الرومانسي	64
2	الاتجاه الرمزي	79
ج-	الشعر الجديد	90

الفصل الثاني

النزعة القومية في شعر السوسي

97	 القضايا القومية	1- -
103	 قضية فلسطين	أ
111	 مصر	ب
115	 تونس	ج
116	 الجزائر	د
118	 المغرب	هـ
120	 الأمة العربية عبر التاريخ	2- -
121	 الشخصيات التاريخية	أ
134	 المدن التاريخية	ب
143	 المعارك التاريخية	ج

الفصل الثالث

النزعة الوطنية في شعر السوسي

147	 القضايا الوطنية	1- -
150	 حب الوطن	أ
155	 قضية الحرية	ب
158	 التحريض على الثورة	ج
161	 الصومود	د
165	 الجوانب الوجدانية	2- -
167	 التغزل بالوطن	أ
170	 حب الديار ووصف حالها	ب
172	 وصف الطبيعة	ج
180	 الفخر بالوطن	د

الفصل الرابع

الخصائص والسمات الفنية في شعر السوسي

184	 الصورة الشعرية ودلالاتها عند السوسي	1-1
187	 التشبيه	أ
199	 الاستعارة	ب
211	 الرمز	ج
229	 اللغة الشعرية عند السوسي	2-1
232	 التكرار	أ
241	 التضمين	ب
263	 لغة الحياة اليومية	ج
269	 الخاتمة	
272	 المصادر والمراجع	
287	 فهرس المحتويات	

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر.

1. ديوان إشارات، حسن أحمد محمد السوسي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، 2008.

2. ديوان ألحان ليبية، حسن أحمد محمد السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998.

3. ديوان تقاسيم على أوتار مغربية، حسن أحمد محمد السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998.

4. ديوان الجسور، حسن أحمد محمد السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1998.

5. ديوان الرسم من الذاكرة، حسن أحمد محمد السوسي، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 2004.

6. ديوان الركب التائه، حسن أحمد محمد السوسي، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1963.

7. ديوان الزهر والعصفور، حسن أحمد محمد السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1992.

8. ديوان صدى السنين، حسن أحمد محمد السوسي، الناشر مجلس الثقافة العام، ب. ط، 2006.

9. ديوان الفراشة، حسن أحمد محمد السوسي، منشورات مركز دراسات الثقافة العربية، الطبعة الأولى، 1988.

10. ديوان ليالي الصيف، حسن أحمد محمد السوسي، منشورات دار الكتاب الليبي، 1970.

11. ديوان المواسم، حسن أحمد محمد السوسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1986.

12. ديوان نماذج، حسن أحمد محمد السوسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

13. ديوان نوافذ، حسن أحمد محمد السوسي، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1987.

ثالثاً: المراجع.

1. الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1997.

2. الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب عبد المجيد بن جلون (أنموذجاً)، قرية زرقون نصر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 2008.

3. الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب، عبد الكريم بن ثابت (أنموذجاً)، قرية زرقون نصر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1426 ميلادية.

4. الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، د . ط، 1985.

5. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، الناشر مكتبة الشباب، د . ط، 1988.

6. اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، أحمد عوين، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2010.
7. اتجاهات نقد الشعر الليبي الحديث في الفترة من 1950 - 1995، أحمد محمد الجرم، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الطبعة الأولى، 2010.
8. الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918 إلى 1968، محمد عبد عبد الله عطوات، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
9. الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، محمد الصادق عفيفي، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، القاهرة، بغداد، الطبعة الأولى، 1969.
10. أحمد الشارف دراسة وديوان، علي مصطفى المصراطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثالثة، 2000.
11. الحس النضالي في الشعر الليبي المعاصر دراسة موضوعية فنية، خليفة أحمد محمد العتيري، دراسة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبية، إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد سالم الذيب، والأستاذ الدكتور: خالد أحمد أبو جندي، جامعة السابع من أبريل الزاوية، 2004.
12. الأدب العربي الحديث، حمدي الشيخ، المكتب الجامعي الحديث، د . ط ، 2010.
13. الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة التاسعة، 1988.
14. الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987.
15. الأدب وفنونه، محمد مندور، نهضة مصر، د . ط، د . ت.
16. أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، أحمد المعداوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، 1993.

17. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1998.
18. الأسس الجمالية في النقد العربي "عرض وتفسير ومقارنة"، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1974.
19. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، المجلد الثاني، المجلد الرابع، الطبعة العاشرة، 1992.
20. أغنيات للوطن، عبد الله زاقوب، منشورات مجلس الثقافة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 2006.
- 21- بينات الأدب العربي، يوسف حسن نوفل، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984، ص158.
22. تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، ب. ط، ب. ت.
23. تاريخ حركات التحرر في العالم، محمد إمام الطوير، منشورات الزاوية، ليبيا، الطبعة الثانية، 2002.
24. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد دنون طه، صالح مطلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.
25. تاريخ العرب الحديث، زاهية قدورة، دار النهضة العربية، د. ط، 1985.
26. تاريخ العرب الحديث، علي سلطان، منشورات مكتبة طرابلس العلمية والعلمية، د. ط، 1997.
27. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
28. تاريخ النقد العربي، محمد زعلول سلام، دار المعارف، مصر، د. ط، 1964.

29. التشبيه والاستعارة، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 2010.
30. التصوير الشعري، التجربة الشعرية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1980.
31. تطور تعليم البنات، أحمد محمد القماطي، المنشأة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1984.
32. التعريف بالأدب الليبي، الطاهر بن عريفة، منشورات دار الحكمة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1997.
33. التجربة الوجدانية في الشعر الليبي الحديث أحمد الشارف وأحمد رفيق أنموذجاً، زينب أبو عجيبة علوان القنصل، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: الطيب الشريف، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2006.
34. ثنائية الموت والحياة في الشعر الليبي (1950 - 1969) حليلة الصادق العائب، منشورات الشؤون الثقافية، الجماهيرية، د. ط، 2010.
35. الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث بداياتها - اتجاهاتها - قضاياها - أشكالها - أعلامها، قرية زرقون نصر، الجزء الأول، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.
36. الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1967.
37. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، حسن علي حسن، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى، 1980.
38. خليفة محمد التليسي ناقداً وأديباً، مصطفى محمد جحيدر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الطبعة الأولى، 1986.

39. دراسات في أدب خليفة التليسي، بأقلام مجموعة من الكتاب العرب، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1984.
40. دراسات في تاريخ العرب تاريخ الدولة العربية، السيد عبد العزيز سالم، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، 1993.
41. دراسات في نقد الشعر، إلياس خوري، دار بن رشد، الطبعة الثانية، 1981.
42. دراسات في الوعي بالتاريخ، محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981.
43. دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، مطبعة المدني مصر، الطبعة الثانية، 1990.
44. الدولة الأموية، الشيخ محمد الخضري، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998.
45. ديوان أبي تمام، دار صعب، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت.
46. ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة، د. ط، 1972.
47. ديوان جرير، دار صادر - بيروت، د.ط، 2012.
48. ديوان الأعشى، دار بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1980.
49. ديوان شظايا ورماد، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، د. ط، 1949.
50. رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم، خالد محمد خالد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.
51. رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، الدار العربي للكتاب، الجماهيرية، د. ط، 1988.
52. الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، الناشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د. ط، 1998.

53. الرمز في الشعر العربي، الطاهر محمد بن طاهر، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الطبعة الثانية، 2007.
54. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1984.
55. الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث السياب ونازك والبياتي، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.
56. الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، دار العودة، د. ط، 1973.
57. سرايا وغزوات الرسول، كمال علي المنتصر، دار الجيل، بيروت، دار الرواد، ليبيا، الطبعة الأولى، 1998.
58. شاعرية الرقيعي في ضوء النقد الحديث، فتحي رمضان القراضي، منشورات جامعة السابع من أبريل، د. ط، 2000.
59. الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، الناشر المكتبة الأكاديمية، الطبعة الخامسة، 1994.
60. الشعر الليبي في القرن العشرين "قصائد مختارة لمئة شاعر"، اختارها وقدم لها: عبد الحميد عبد الله الهرامة، عمّار محمد جحيدر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001.
61. الشعر المعاصر في واحات الجفرة، سعاد امحمد بشير محمد وعبه، دراسة لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور: علي محمد برهانة، جامعة التحدي، سرت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2009.
62. صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصراطي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، الطبعة الأولى، 1960.

63. صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد الدومي، المكتبة التحضيرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.
64. الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث شعر خليفة التليسي نموذجاً، نجاه عمار الهمالي، مجلس الثقافة العام، د. ط ، 2008.
65. الصورة الشعرية في القصيدة الليبية المعاصرة، سليمان زيدان، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، الطبعة الأولى، 2013.
66. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.
67. الصورة الفنية في شعر ابن المعتز، زكية خليفة مسعود، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1999.
68. الصورة الفنية في شعر علي الفزاني، مسعود عبد الله مسعود، دار شموع الثقافة، الطبعة الأولى، 2010.
69. الظاهرة القومية مدخل الفكر القومي العربي، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998.
70. علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1985.
71. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، المراغي أحمد مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.
72. الغريال، ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، الطبعة السابعة، 1964.
73. الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، عبد الواحد دنون طه، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2004.
74. فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، 1959.

75. في الأدب العربي الحديث، سالم المعوش، الجامعة المفتوحة، الطبعة الأولى، 1993.
76. في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ط، د. ت.
77. في التاريخ العباسي والأندلسي، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
78. في قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، إعداد: محمود أمين العالم وآخرون، دار الثقافة، تونس، د. ط، 1988.
79. في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعة، د. ط، 1996.
80. القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، واصف أبو الشباب، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.
81. القصيدة الرومانسية في ليبيا 1969 - 1937 "دراسة نقدية تحليلية"، تهاني مفتاح راشد، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 2004.
82. قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر، سليمان زيدان، الناشر مجلس الثقافة العام، د. ط، 2006.
83. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1974.
84. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، الطبعة الثالثة، 1967.
85. لغة الشعر العربي الحديث ومقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعة، د. ط، د. ت.
86. لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال نجم العبيدي، دار زهران، عمان، د. ط، 2003.

87. ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، فرانثيسكو كورو، ترجمة: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د. د. ط، د. ت.
88. ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، صالح مصطفى مفتاح المزيني، الدار العربية للنشر والتوزيع، طبرق، الطبعة الثالثة، 2002.
89. ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، توزيع الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1974.
90. المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د. د. ط، 1988.
91. مختصر تاريخ العرب، تحقيق: عفيف بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1961.
92. المتنبي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1958.
93. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000.
94. مدارات نقدية في إشكالية النقد والحدثة والإبداع، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. د. ط، 1987.
95. المدخل إلى المذاهب الأدبية الكلاسيكية - الرومانسية - الواقعية - الرمزية، رجاء جابر، مكتبة الشباب، 1989.
96. مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، إبراهيم خليل، دار المسيرة، عمان، الطبعة الأولى، 2003.
97. المدرسة الأدبية ومذاهبها - القسم التطبيقي 2، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

98. مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملاحم أدبه، محمد مسعود جبران، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1984.
99. معارك العرب ضد الغزاة، محمد عمارة، المركز العربي الدولي، مصر الجديدة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991.
100. المعاني الوطنية عند شعراء الإمارة الأردنية "شكلاً ومضموناً"، صالح عبد الله قرقر، دار الكتاب الثقافي ، الأردن، إربد، د. ط، 2005.
101. موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية، بو جمعة بو بعيو، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 1995.
102. موسوعة الأمثال العربية الفصحى، مصطفى فتحي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2001.
103. الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد بن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1995.
104. المصطلح النقدي في نقد الشعر دراسة لغوية تاريخية نقدية، إدريس الناظوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الثانية، 1984.
105. نحو منهج جماهيري في النقد الأدبي، فوزي الطاهر البشتي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1983.
106. النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، فصل سالم العيسى، دار اليازوري، عمان، الأردن، د. ط، 2006.
107. نصّ على نصّ قراءات في الأدب الحديث، زياد الزعبي، عمان عاصمة الثقافة الكبرى، عمان، د. ط، 2002.

108. نظرية الأدب، شفيق يوسف البقاعي، جامعة السابع من أبريل، الطبعة الأولى، 1425 ميلادية.

109. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، د. ط، د. ت.

110. النقد الأدبي الحديث مقاييسه واتجاهاته وقضاياها ومذاهبه، العربي حسن درويش، دار الاتحاد العربي للطباعة، الطبعة الثانية، 1991.

111. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د. ط، د. ت.

112. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986.

113. الوطن والإنسان والثورة في أدب علي الرقيعي، خديجة محمد الأخطل، مجلس الثقافة العام، د. ط، 2008.

رابعاً: المعاجم اللغوية

1. أكسفورد للفلسفة، تد هوندترتش، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، ج2.

2. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت .

3. مجمل اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 1994.

4. معجم الشعراء الليبيين، عبد الله سالم مليطان، دار مدار، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 2008.

5. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984.

6. معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د. ط، 1983.

6. المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

7. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، الجزء الأول، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، الطبعة الثالثة، 1985.

8. الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، الطبعة الأولى، 1986.

خامساً: كتب التراث

1. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ. ريتز، دار الكتاب للتراث العربي، د. ط، د. ت.

2. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، 1991.

3. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الثاني، الجزء الرابع، د. ط، 1958.

4. عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: محمد زعلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، د. ت.

5. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، 2004.

6. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي، منقحة عن: أحمد محمد كنعان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.

7. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986.

8. الموازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو، دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية، بو جمعة بو بعيو، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1995.

9. مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، المجلد الأول والثاني، د. د. ط، د. د. ت.

10. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، المجلد الثالث، د. د. ط، د. د. ت.

11. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. د. ط، 1956.

12. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. د. ط، د. د. ت.

سادساً: الدوريات

1. مجلة الثقافة العربية، تكريم الشاعر حسن السوسي، عبد السلام شلوف، العدد 273-274، السنة 2006.

2. مجلة البحوث التاريخية، الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد الإيطالي، عمر محمد التومي الشيباني، العدد الثاني، السنة 2004.

3. مجلة الثقافة العربية، دار الكتب الوطنية ... حسن السوسي شاعر الحُبِّ، إعداد: عذاب الركابي، العدد 292، السنة 2008.

4. مجلة الثقافة العربية، رحيل شيخ المحبين الأستاذ الشاعر حسن السوسي، العدد 290، السنة 2007.

5. مجلة الرفقة، احتلال العراق - المستهدفات والإشكاليات، إبراهيم الزروق الشريف، العدد 8، السنة 2003.

6. مجلة الفصول الأربعة، حوار مع الشاعر، العدد 64 - 65، الطبعة الثانية عشر، السنة 1992.

7. مجلة الفصول الأربعة، قصيدة ليلاي بلادي، العدد 8، السنة الثانية، د.ت.

سابعاً: الرسائل العلمية

1. حسن السوسي حياته وشعره، محمد جاب الله عبد الله الفرجاني، دراسة لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور: عبد المطلوب عبد الحميد الطبولي، جامعة قاريونس كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1998.

2. الصورة الشعرية في شعر حسن السوسي، مسعود محمد الصيد الزنتاني، دراسة لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور: الطاهر خليفة القراضي، جامعة السابع من أبريل كلية الآداب والعلوم بالزنتان، فرع يفرن، قسم اللغة العربية، 2002.